

الخطابة

في دراسة نوعية شاملة

لآية الله الكرباسي

إعداد

القاضي العلامة الشيخ حميد المبارك

بيت العلم للنابهين

بيروت - لبنان

الخطابة

في دراسة نوعية شاملة

لآية الله الكرباسي



الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م

بيت العلم للنابهين

ص. ب: ٥٧٣٣ ـ ١٤. المزرعة ـ بيروت ١١٠٥٢٠٧٠ ـ لبنان. هاتف: ٠١/٥٥٠٩٩٢

الخطابة

في دراسة نوعية شاملة
لآية الله الكرباسي

إعداد
القاضي العلامة الشيخ حميد المبارك

بيت العلم للنابهين
بيروت ـ لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

نسمع كثيراً أو ربما نقرأ أو نقول عبارة (فألقى خطاباً) أو (فخطب خطبة) أو (فقام فيهم خطيباً)، وهي عبارات تدل على أن شخصاً ما ألقى كلاماً في محفل من الناس واقفاً على منبر أو مرتفع، واعظاً أو مبيناً لموقفه، أو طارحاً لمبادىء ما، في مسجد أو حسينية أو قاعة، أو غير ذلك.

هذا في الحقيقة هو مبدأ الخطابة، لكن ما هي الخطابة وما معناها، وما هو تاريخها، وكيف هي الخطابة في الإسلام وسائر الملل والأديان، فهذا ما يتكفل بشرحه وتوضيحه الكتاب الذي بين يديك.

ومن الخطابة عموماً ينطلق المؤلف للحديث بإسهاب عن الخطابة الحسينية ـ لأنها الأبرز ـ وعن مراحلها، وتطورها عبر التاريخ، كما تحدث عن التفنن في الخطابة، والخطابة ودورها الإعلامي، ودور الخطباء في التبشير، ومسؤولية الخطيب، وموقعه ومكانته وعلمه ومواصفاته، وأشار إلى مرادفات الخطيب، وتناول أيضاً موضوع نوعية الخطابة وزي الخطيب ولغة الخطيب وطرح سماحة المؤلف ضرورة إقامة نقابة عالمية للخطباء فأسهب في

الحديث عن نظامها وأهدافها والمغزى منها، إلى الكثير من المواضيع التي تتعلق بهذا الموضوع.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا الكتاب هو دراسة مفصلة عن الخطابة قام بها المؤلف سماحة آية الله الشيخ محمد صادق محمد الكرباسي لتكون بمثابة مقدمة تمهيدية لكتابه (معجم الخطباء الحسينيين) وهو أحد أجزاء الموسوعة الكبرى (دائرة المعارف الحسينية) ولقد قام سماحة القاضي العلامة الشيخ حميد المبارك بانتزاعها من الكتاب الأم وعلق عليها وقدمها لتطبع مستقلة، لما وجد فيها من الأهمية والفائدة، وبالتالي رأى أنها لو طبعت مستقلة عن الكتاب ففيها عموم الفائدة ويسرها للباحث والدارس والقارىء.

ونحن في بيت العلم للنابهين نساهم بدورنا في تعميم الفائدة للجميع، راجين من الله العون والسداد إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

١٣/ شعبان/ ١٤٢٦هـ

١٧/ أيلول/ ٢٠٠٥م

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدت الله على كل نعمائه ولا زلتُ، وصليت على سادة الأنبياء والمرسلين محمد وما زلت، وسلّمت على أولياء الله وأوصيائه آل الله ورسوله وما برحت، عليهم آلاف التحية وأسمى البركات.

رغم أن وسائل تثقيف وإصلاح المجتمع تعددت بمرور الزمان وتطورت، إلا أن الخطابة لم يُهجر دورها الرائد في الاتجاهين ولا زال الجميع يعتمدونها، من سياسيين ومثقفين ودينيين ودنيويين، ومن هنا حينما لاحظ سماحة العلامة المفضال القاضي الشيخ حميد المبارك حفظه الله تعالى فيما كتبته كمقدمة تمهيدية لمعجم خطباء المنبر الحسيني من «دائرة المعارف الحسينية» أنها جديرة لأن تحظى بمداولتها من قبل الخطباء الكرام وبالأخص الحسينيون منهم، فلذلك عمد إلى إبرازها لتأخذ منحًى استقلالياً عن المعجم، فلمست أن التوفيق كان حليفه، وأرجو أن يكون نافعاً كأصله إن شاء الله تعالى، وعليه سبحانه الاتكال في جميع أمورنا، وهو العليّ القدير.

محمد صادق محمد الكرباسي
لندن ـ المملكة المتحدة
٥/٤/١٤٢٦هـ ـ ١٤/٥/٢٠٠٥م

مقدمة المُعدّ

المنبر الحسيني إلى أين؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله المنتجبين الطاهرين. وبعد فإن الله تعالى لما خلق الخلق كانت إرادته قاضية بإرشادهم إلى فلسفة الحياة والخلقة ألا وهي العودة إلى المطلق والاتصال به، فغمرهم بألوان اللطف الموصلة إلى تلك الغاية، فاللطف الأول هو الامتياز بالعقل الذي يدل الإنسان على الخير، وقد حكم الله تعالى العقل في كتابه الكريم وتكرر منه قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، واللطف الثاني هو الفطرة التي فطر الناس عليها، واللطف الثالث هو إرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الأئمة، واللطف الرابع هو جعل الجزاء على الأعمال ثواباً وعقاباً، واللطف الخامس التنبيه بألوان المصائب وسائر جهات الفقدان والقصور دفعاً للإنسان إلى اللجوء إلى مصدر القدرة، وقد جعل الله للإنسان القدرة على التذكر والتعلم من تاريخه الغابر صنوف العبر وألوان الموعظة، فلذلك سطر الله للإنسان تاريخ الأمم والأنبياء، وما صار إليه مصير الظالمين، وما انتهى إليه صبر الصابرين، وهذه هي اللبنة الأولى لما جاء في استحباب ذكر ما

جرى على الأولياء وبالخصوص سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، وما حل بقتلتهم من الخزي والعار والشنار.

ولا شك في استحباب ورجحان قراءة المراثي في ذكرى وفيات الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فإن ذلك مما يدل عليه العقل والنص عموماً وخصوصاً، أما العقل فلما يترتب على إحياء الذكرى من استلهام المعاني الراقية التي تتضمنها حياة المعصوم في جهاده ودعوته إلى الخير وما تشتمل عليه تضحياته من عبر ودلالات تحيي القلوب الميتة وترقى بالنفوس المستعدة، وأما النص العام فلأن التذكير بتلك العبر يحقق مفهوماً قرآنياً أصيلاً دل عليه قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩] ونستلهمه من إكثار القرآن الكريم من قصص الأنبياء والأولياء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، و﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وأما النص الخاص فلما تواتر عن النبي وأهل بيته من الأمر بالرثاء والتحزن بل وقيام بعض أئمة أهل البيت باستدعاء الشعراء لرثاء الأولياء خصوصاً سيد الشهداء قاطبة الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

كما أنه لا يجوز إنكار ما للمنبر الحسيني من أثر جيد لصالح التدين العام حيث إنه يمثل متنفساً مهماً للمعاني الدينية في عصر طغيان المادة، وقد كان ولا يزال المنبر الحسيني هو النافذة التي يطل الدين من خلالها على جميع الفئات وكل المستويات وشتى الأعمار، وتجد الناس في موسم محرم الحرام يهرعون بلهفة وحرص شديدين ليتحلقوا حول المنبر الحسيني تملأ نفوسهم

الطمأنينة والثقة بأنهم يؤدون عملاً من أهم الأعمال الدينية، ويخرج كل واحد منهم بفائدة تقدَّر بوسع الخطيب وتتناسب مع سعة المستمع ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، وأقل شيء يخرج به قاصد المأتم الحسيني هو التشبع بالروح الدينية التي يفوح شذاها بذكر الله تعالى وذكر النبي وآله صلى الله عليه وعليهم، إلا أنه لا يمكن الغفلة عن سؤال ملح مفاده هل إن عطاء المنبر الحسيني وصل إلى مستوى الطموح؟ ثم هل يتناسب عطاؤه مع مقدار ما ينفق لأجله من أموال ويصرف من طاقات؟ إذ لا شك أن المؤمنين ينفقون الكثير من أجل المنبر الحسيني وكل نفوسهم رضا بذلك، وهو أمر راجح في نفسه ينبغي التشجيع عليه والإصرار على استدامته، ولكن الأمر الذي يجب أن لا يغيب عن أنظارنا هو أن الدين حبّذ الاعتدال وحثّ عليه ونفّر من السَّرَف ونهى عنه، ومقياس الاعتدال والسَّرف يستند إلى مقدار ما نجنيه بنسبة ما ننفقه، فإذا كان مقدار ما نجنيه أقل مما ننفقه فهو وقوع في الإسراف، هذا مضافاً إلى أن التصرف في ريع الوقف لا بد أن يكون منسجماً مع ما هو الأوفق بمصالح الوقف، ولا أظن أحداً يحتمل أن عطاء المنبر الحسيني في العصر الحاضر يتقارب مع مقدار ما يسخّر له من طاقات، فالبون بينهما شاسع والمسافة كبيرة وإن لم تتوفر لنا إحصاءات دقيقة لأننا بعد لم نكتسب ثقافة الإحصاء والأرقام، ولكن لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الكثير من المنابر الحسينية اليوم وكما هو مشاهد محسوس هي عبارة عن مكررات يعاد فيها ما يقال مرة بعد أخرى حسب ما تقتضيه المناسبة، حيث أصبح المستمع يعلم مسبقاً ماذا سيقول

الخطيب في كل مناسبة، وحتى لو طرح الخطيب عنواناً عصرياً من العناوين البراقة فإن المستمع لا يتوقع وراء العنوان سوى كلمات منمّقة وتعابير محفوظة ودعاوى غالباً ما تكون غير مقرونة بالبرهان، وأصبحت المحاضرات على المنابر الحسينية في الغالب أشبه بالشعر الحماسي الذي ينفذ إلى الأحاسيس لكنه لا يلامس الأذهان ولا يثير دفائن العقول، وحتى لو حاول الخطيب أن يخرج عن المحفوظ المكرر فإنه يبقى في مستوى الضفاف أو قريباً من ذلك، ولا يجرؤ أن يدنو من العمق إما لعدم ثقته في قدرته على خوض ذاك العباب أو لخوفه ممن هو أعلى منه شأناً وأغزر منه علماً إذا وقع في زلة لسان أو لم يسعفه التعبير أو خالف السائد المتعارف شيئاً قليلاً، وهذا ما يدفعه إلى أن يركن إلى السهل ويستريح إلى حفظ ما ردده من قبله وما سمعه من أساتذته وأقرانه، أو ما قرأه في بعض الكتب وتلقاه بغير روية ولا دراية، ولا يخاطر بما يتجاوز ذلك، ونتيجة ما سبق هو أنه يصبح عنصراً مستهلكاً غير قادر على الإنتاج والإبداع، وما الذي يضيره في ذلك إذا كان يضمن بالحد الأدنى من العطاء أن يستمر في أداء دوره كخطيب يرقى المنبر ويجتمع الناس إليه، خصوصاً إذا ما كان يستطيع جبران ذلك بإجادة الرثاء والتفنن في طرائقه وأساليبه، ولا أقول هذا تقليلاً من شأن الرثاء وإنما لبيان إشكالية اختلاط الفكرة بالعبرة وتداخل العقل والعاطفة لا في سياق تكاملهما المتوقف على انضمام كل واحد منهما إلى الآخر بصيغته التامة بل في اتجاه تأثير كل واحد منهما سلباً على الآخر وجعله مبتوراً غير ناهض في نفسه، مما يلفتنا إلى معضلة كبيرة تلقي على علماء

الدين والباحثين دوراً مهماً في محاولة الخروج من هذا المنحدر، وتحتم المسارعة في دراسة هذه الإشكالية والحد من تبعاتها السيئة، ولعله يمكننا أن نشير في هذا السياق إلى صيرورة المنبر الحسيني عملاً يعطى الخطيب في مقابله أجراً، ولا أقول إن هذا أمر سيّيء في نفسه، إذ أن الخطيب لا يمكنه أن يتفرغ للخطابة إلا إذا ضمن مصدر رزقه، وأن يتلقى الخطيب أجراً على عمله خير له من قبول الصدقات، فلست في صدد الذم المطلق لتلقي الأجرة على الخطابة ولكني في صدد بيان بعض التبعات التي يمكن أن تترتب على ذلك، ولقد أحسن من قال إن السر في تأثير حركة الأنبياء وديمومتها على مر العصور هو حقيقة ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، ومما لا شك فيه هو أن العمل التطوعي أكثر مصداقية وتأثيراً في النفوس من العمل الذي يطلب من ورائه العوض المادي ويتحول فيه العامل إلى أجير، وهذا الأمر بلا شك له تأثير سلبي على الهدف السامي الذي نظر إليه النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام، فمن خلال نظرة خاطفة نستطيع أن نلاحظ آثاراً بينة وواضحة لهذه الإشكالية على أداء المنبر الحسيني معنوياً وثقافياً، خصوصاً في هذا العصر الذي تعددت فيه منابع المعرفة وتجددت فيه الأسئلة حول الدين والمذهب والحياة وتطورت فيه التحديات وتسارعت فيه التقلبات، وبكلمة واحدة تزايدت فيه متطلبات العلم والمعرفة، مما أحوج صاحب الكلمة إلى مطالعات مستديمة ومتابعات متلاحقة لكل المستجدات في سوح العقيدة والفكر والثقافة، وعندما نلاحظ تدني بعض المستويات الفاعلة في مجال الخطابة الحسينية فلا بد

أن نرجع ذلك إلى أن الغاية تستدعي ما يناسبها، فإذا كان الهدف عند البعض هو الأجر المادي فذلك وإن لم يكن أمراً محرماً إلا أنه بلا شك لا ينحصر بالنوعيات القادرة على العطاء الجيد بل ينفتح على مستويات أخرى قد لا تكون مؤهلة جيداً.

ولا بد من الإشارة إلى أن المرجعية الدينية التي ولدت من رحم الإمامة وبمباركتها في عهدي العسكري والحجة كما جاء في النص عن العسكري (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه)، ثم تشيّدت في عصر الغيبة الصغرى ٢٥٥ ـ ٣٢٩هـ في وثيقة أخرجها الإمام الحجة عجل الله فرجه لشيعته جاء فيها: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم» وقد تخرّج على أثر ذلك فقهاء أفذاذ أخذوا على عاتقهم نشر رسالة السماء في الآفاق وإيصال ثمار العلم إلى قلوب وأسماع الأمة بشتى الوسائل لكي لا تعيش الأمة في حالة من الفراغ، فكان الفقهاء حكاماً وخطباء وكتاباً.

ثم بدأت تتسع العلوم وفضاءات المعرفة مما آل إلى نوع من التخصص وبدأت الخطابة تستقل عن الفقاهة، ولكنهما بقيا عدلين لا يفترقان في خدمة الدين وأهله.

ومن هنا يتبين ما للخطابة من دور عظيم لا يستهان به، فإذا كان الفقيه هو العقل المدبر للنهضة الدينية، فالخطيب هو لسانها، فإذا كانت المرجعية مؤسسة تشريعية فالخطابة مؤسستها الإعلامية، وستبقى المؤسستان متفاعلتين متعاضدتين إلى أن يشاء الله.

كما لا يخفى أن الخطابة والخطيب قد لعبا دوراً كبيراً في

تأسيس الوعي الديني عامة والوعي الشيعي خاصة، وهو ما حدا بسماحة آية الله الكرباسي لوضع باب مستقل عن ذلك في موسوعته الرائدة (دائرة المعارف الحسينية) والتي أصبحت مرجعاً في هذا الباب لا على مستوى الشرق وأعلامه فحسب بل على مستوى الغرب وأعلامه كذلك، ولمّا أُتيح لي الاطلاع على مقدمة باب معجم خطباء المنبر الحسيني من الموسوعة وجدتها كثيرة الفوائد وفيرة العوائد.

وفي صيف ١٤٢٥هـ جمعتني الصدفة التي هي أفضل من ألف ميعاد بسماحة المؤلف في دار عمله الدؤوب (المركز الحسيني للدراسات) بلندن، فدار الحديث عن الخطابة والخطباء فأطلعني على هذه المقدمة فراقني طرحها وأسلوبها، وترجح عندي فصل المقدمة عن التراجم لتصبح أسهل تناولاً وأكثر انتشاراً، والرجاء أن يقع ذلك محل النفع، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

حميد المبارك

المنامة ـ البحرين

٤ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ

الخطابة

الخَطابة: بالفتح مصدر خطَب بالفتح يخطُبْ، ويأتي المصدر أيضاً خُطبة وخَطْباً، وهو إلقاء الكلام على الغير، ومجازاً يأتي خطب بمعنىٰ وعظ لأنه يمارس الوعظ عن طريق مخاطبة الناس، وقيل: إن الخطبة اسم للكلام وضع موضع المصدر كما عليه جمع من اللغويين.

واسم الفاعل منه الخطيب وهو الذي يلقي الكلام، والجمع خطباء، وإذا قيل رجل خطيب: أي حسن الخُطبة، ويقال: فلان أخطب أهل زمانه إذا لم يكن هناك أحسن منه في الخطابة أسلوباً أو مضموناً، والخطّاب كثير الخطابة، والمؤنث منه الخطّابة، والخطبة عند العرب هو الكلام المنثور المسجّع ونحوه.

والخطابة هذه إحدى أغراض علم المنطق والتي تسمىٰ بالصناعات الخمس، وهي: صناعة الشعر، صناعة المغالطة، صناعة البرهان، صناعة الجدل، وصناعة الخطابة.

وجاء تعريفها في المنطق: بأنها صناعة علمية يمكن

بواسطتها إقناع الجمهور بالأمر الذي يتوقع حصول التصديق به بقدر الإمكان[1]، وقولهم صناعة: أي ملكة[2] يقدر صاحبها بواسطتها على الإيفاء بغرضه، وفيما نحن فيه تكون الخطابة قدرة التكلم مع الناس بشكل يفي بالغرض المطلوب، وعرفها الحوفي[3]: فن مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته[4]، وقال أرسطو[5]: الخطابة هي القوة القادرة على الإقناع[6].

فيتضح مما سلف ذكره أن الخطابة هو العمل الذي يقوم به الخطيب، والخطيب هو الممارس لتلك القدرة على إيفاء الغرض عبر التكلم مع الناس مشافهة[7]، فعلىٰ هذا تعتبر

---

(١) المنطق للمظفر: ٣٦٩.

(٢) بغير الملكة خرج الكثير ممن يرتقون المنبر حيث لا يمتلكون مثل هذه الملكة ـ المعلق.

(٣) الحوفي: هو غير علي بن إبراهيم بن سعيد المتوفىٰ عام ٤٣٠ هـ، أديب مفسر مصري، توفي في مستهل شهر ذي الحجة، من مؤلفاته: إعراب القرآن، البرهان في تفسير القرآن، والموضح في النحو، بل هو من المعاصرين، إلا انني لم أحصل على ترجمته.

(٤) فن الخطابة: المقدمة.

(٥) أرسطو: ويقال له ارسطاطاليس (١٠٣٨ ـ ٩٧٤ ق. هـ) فيلسوف يوناني، من كبار مفكري اليونان، تولى تربية الاسكندر، له مؤلفات منها: المقولات، الجدل، الخطابة، السياسة، النفس، وما بعد الطبيعة.

(٦) معجم الخطباء: ١/ ٢٧ عن كتاب الخطابة لأرسطو.

(٧) كما أن المخاطَب: بالفتح هو المستمع، والخِطاب: بالكسر هو الكلام الصادر عن الخطيب (الخاطِب)، ويقال له الخطبة أيضاً باعتبار آخر، وربما ميّز بينهما فاختص الأول بالمادة التي يتناولها الخطيب، والثاني =

الخطابة فناً[1] من فنون علم المنطق، وهذا لا ينافي كونها فناً من فنون الأدب لأن الأدب هو محصل استخدام جوانب مختلفة للعديد من العلوم كالمنطق والنحو واللغة والصرف في إطاره الخاص.

والخطابة تعتمد على أمور ثلاثة: الخطيب، الجمهور، والمادة[2]. وسنحاول إلقاء الضوء الكاشف على كل واحدة منها إن شاء الله تعالى[3].

= بالكلام الذي يفوه به الخطيب، وذلك على مبنى المصنف في اللغة وهو عدم وجود المترادفات إلا من باب المجاز، وإنما يرى أن اللفظ لم يوضع إلا لمعنىً واحد، والعكس أيضاً صحيح ـ المعلق.

(١) لا خلاف بين ذوي الاختصاص في أن الخطابة تمتلك مقومات الفن دون غيره فلذلك لا يصح التعبير عنها بغيره، وما في بعض المقروءات أو المسموعات بأنها علم أو فن فهو من الاستخدام الأدبي المحض والذي لا يمت إلى الحقيقة بشيء وإنما هو من باب المجاز والمبالغة، ويفهم من كلام بعضهم أن الخطابة من فنون علم النفس وهي لون من ألوانها وجعلوها عدلاً لفن التربية التي هي الأخرى لون من ألوان علم النفس وعدّوا الفارق بينهما أن الخطابة خاصة بالكبار بينما التربية خاصة بالصغار ـ راجع الخطابة وأصولها لمحمد أبو زهرة ـ.

(٢) وقد حدد أرسطو عناصر الخطابة كالآتي: «الخطيب، الموضوع، والسامع».

(٣) والخطابة تعتمد على المقدمة والمحتوى والخاتمة وربما اعتبر بعضهم أن أهم مقاطع الخطابة المقدمة والخاتمة، وقال بعضهم: إن للخطابة مراحل ثلاث تحضير المادة الخطابية وتنظيمها وبيانها.

المنبر

ولتلازم كلمة المنبر مع كلمة الخطابة في هذه الأيام فلا بد من شرحها في ذيل الحديث عن كلمة الخطابة ولو بإيجاز.

فالمنبر: اسم آلة على زنة مفعل كمبرد بالكسر، وهو مرقاة الخاطب[١] وإنما سمي بالمنبر لارتفاعه وعلوه، يقال: نبرت الشيء أنبرته نبراً إذا رفعته[٢].

وقال ابن الأنباري[٣]: النبر عند العرب ارتفاع الصوت[٤]، يقال: نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو[٥]،

(١) ويصح إطلاق مفردة المخطب بالكسر على مبنىٰ المصنف الذي يرىٰ بأنّ اللغة العربية لغة الاشتقاق وهو في الغالب قياسي، وهذا ما يميزه عن غيره، فيكون المخطب بالكسر اسم آلة حيث يستخدم لأجل أن يخطب من عليه، ولا يخفىٰ ما عرف به اليوم بالمنصّة، فهو والمنبر واحد، وكل واحدة من التسميات لمناسبة ما ـ المعد.

(٢) راجع مجمع البحرين: ٣/ ٤٨٧.

(٣) ابن الأنباري: هو محمد بن عبد الكريم الشيباني سديد الدولة المتوفىٰ عام ٥٥٨هـ، من الكتّاب والوزراء في العهد العباسي، له مساجلات أدبية بينه وبين الحريري صاحب المقامات.

(٤) لسان العرب: ١٤/ ١٨، تاج العروس: ١٤/ ١٦٤.

(٥) ومن المجاز اطلاق النبرة على ذبذبة الصوت.

ومنه قول الشاعر ـ من الكامل ـ:

إنـي لأسـمـع نَـبرةً مِـن قـولـهـا فـأكـاد أن يـغـشـىٰ علـيّ سـرورا

ولعل التسمية جاءت من التداعي بعلو الصوت وعلو المكان وارتفاعهما، فالمنبر مكان مرتفع ومن عليه يرفع الخطيب صوته.

ومن اشتقاقاته: انتبر بمعنىٰ ارتقىٰ، بعلاقة الملابسة، يقال: انتبر الخطيب أي ارتقىٰ فوق المنبر[١] ونبر الشيء إذا رفعه[٢].

وربما اطلقت النبرة على الحرف المهموز لأن الهمزة توجب ارتفاع الحرف أو أنها ترتفع عليه، ومن هنا يعلم أن أصل النبر هو الارتفاع، فيقال للورم إذا ارتفع في الجسد نبر وانتبر[٣].

ومن المؤسف جداً أن تسمع من هنا وهناك نعرة بإرجاع الكلمات العربية إلى أصول غير عربية، ومن تلك قولهم: إن المنبر كان أصله «وَنْبَر» وهي كلمة حبشية ولما استعربت أبدلت واوها ميماً فأصبحت «منبر» وقالوا بأن «ونبر» عند الأحباش تعني الكرسي[٤].

---

(١) تاج العروس: ١٤/ ١٦٧.

(٢) العين: ٦/ ٨١.

(٣) راجع القاموس المحيط: ٢/ ١٩٤.

(٤) إن المصنف كثير التمسك بأصالة المفردة العربية اتباعاً لمنهج الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، راجع كلمة الديوان في مقدمة المدخل إلى الشعر الحسيني: ١/ ١٧، رغم أنه في قبال ذلك يرىٰ بأن اللغة العربية لا زالت تستوعب المفردات الأجنبية وتعربها كما كانت فلا يصح غلق الباب أمام ذلك، ولكن بشرطين، الأول: عدم إمكانية وضع أو اشتقاق مفردة له، والثاني خضوع المفردة الأجنبية إلى عملية التعريب ـ المعلق.

إن هذه النعرات ومع الأسف هي من تزريق بعض المستشرين في ذهنية الكاتب العربي غير المطلع على تراثه أو المتشوق إلى ظاهرة التجدد ولو على حساب الواقع والحقيقة، وقد فصلنا الحديث عن المنبر في محله[1].

هذا وقد عرّف بعض المتأخرين المنبر بقوله: «بناء ثابت من خشب أو حجر»[2]. وعرّفه آخرون «بأنه مرقاة متنقلة لها درجات»[3] وكلاهما ليسا بتعريف شامل بل الأفضل أن يقال: إنه مرقاة الخطيب ليشمل الثابت منه والمتنقل وما له درج وما ليس له، وإن كان الغالب وجوده فيه، والجمع منه منابر. وعلى أي حال فإن أول منبر صنع في الإسلام هو منبر رسول اللهﷺ حيث كان إذا خطب قام فأطال، فقيل أوتي له بجذع نخلة فحفر له وأقيم إلى جنبه قائماً فكان يستند إليه[4] وربما استند إلى أعمدة المسجد التي كانت من جذع النخلة[5].

ويبدو أن الأصحاب لاحظوا أن وقوف الرسولﷺ يسبب له المشقة والتعب فصنعوا له منبراً من الطين وكان الذي صنعه تميم الدارمي، وفيه قال النبيﷺ: «إن أتخذ منبراً فقد اتخذه أبي إبراهيم، وإن أتخذ عصاً فقد اتخذها أبي إبراهيم»[6].

---

(١) راجع باب قاموس النهضة الحسينية من هذه الموسوعة.

(٢) دمشق من سنة ١٠٧٥ إلى سنة ١١٥٤.

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: ١٢٤ عام ١٣٧٣ هـ.

(٤) خطباء المنبر الحسيني: ١/ ٦٦ عن وفاء الوفا: ١/ ٣٨٩.

(٥) المساجد في الإسلام: ١٩٣.

(٦) وفاء الوفا: ١/ ٣٨٩.

ولما كانت السنة السابعة للهجرة ورد المدينة رجل يقال له كلاب، كان في خدمة عم النبيﷺ العباس بن عبد المطلب[1]، فصنع للنبيﷺ منبراً من الخشب ذا درجتين ومقعد، فكان الرسولﷺ يجلس على مقعد المنبر وقيل غير ذلك[2].

وآخر منبر صنع للرسولﷺ هو الذي عمله سلمان[3] وأبو ذر[4] وعمار[5] في الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة حيث قام المقداد وسلمان وأبو ذر وعمار بوضع الأحجار أو أقتاب الجمال بعضها فوق الآخر ليرتقي الرسولﷺ عليها في غدير خم[6] ويخطب الناس بخطبة الغدير المعروفة.

---

(١) العباس: حفيد هاشم بن عبد مناف (٥١ ق.هـ ـ ٣٢هـ) كان له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام في الجاهلية، وإليه ينتسب العباسيون.

(٢) المساجد في الإسلام: ١٩٣.

(٣) سلمان: هو أبو عبد الله (منده) بن بوذخشان الفارسي، لقبه الرسولﷺ بالمحمدي كان من الصحابة الأجلاء ومن حواري أمير المؤمنينعليه السلام، عمر طويلاً قيل ٣٥٠ عاماً ولا يشك بأنه عاش ٢٥٠ سنة، توفي عام ٣٦هـ على المشهور في مدائن العراق.

(٤) أبو ذر: هو جندب بن جنادة الغفاري (توفي بالربذة عام ٣٢هـ) على المشهور، من أجلة الصحابة ومن حواري أمير المؤمنينعليه السلام خامس من أسلم وهو أول من حيّا الرسولﷺ بتحية الإسلام.

(٥) عمار: هو ابن ياسر بن عامر الكناني المذحجي، صحابي جليل من حواري أمير المؤمنينعليه السلام (٥٧ ق.هـ ـ ٣٧هـ) كان من الولاة الشجعان ذوي الرأي السديد.

(٦) سفينة البحار: ٨/ ١٧٣.

وكان الإمام السجاد عليه السلام أول من استخدم الكرسي[1] في استقبال الناس لنعي أبيه الحسين عليه السلام ومن عليه كان يحدث الناس بما جرىٰ على أبيه وأهل بيته وأنصاره بكربلاء، وبين يديه بشر بن حذلم[2] ينشد الشعر، تقول الرواية: «فخرج من الفسطاط وبيده خرقة يمسح بها دموعه وخلفه مولًى ومعه كرسي فوضع له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العَبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كل ناحية يعزونه فضجت تلك البقعة ضجة شديدة فأومأ بيده أن اسكتوا فسكتت فورتهم فخطب فيهم خطبة مؤثرة»[3] وذلك عند دخوله المدينة.

---

(١) الكُرسيّ: بضم أوله وتشديد آخره، وكسر أوله لغة، وهو اسم رباعي مزيد فيه وليس له اشتقاق من صيغته واصطلح استخدامه على عرش الملك ـ المعلق.

(٢) بشر بن حذلم: من أصحاب الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام المتوفىٰ عام ٩٥ هـ، من شعراء القرن الأول هو وأبوه.

(٣) مقتل الحسين للمقرم: ٣٧٤.

تاريخ الخطابة

يعود تاريخ الخطابة إلى تاريخ الإنسان نفسه[١] إذ هي إحدى وسائل التعبير التي استعملها الإنسان في مجالات حياته، ولا شك أنها أقدم من الشعر، وهما فنّان أدبيّان استعملهما العرب كبقية الأمم[٢] للإيفاء بغرض من الأغراض وبينهما عموم وخصوص من وجه كما في الخطيب والشاعر فإن بعض الشعراء خطباء وبعضهم ليسوا بخطباء والعكس بالعكس[٣].

وممن اعتنى بالخطابة اليونانيون، فقد قام علماؤهم بدراستها، ومنهم أرسطو حيث بحث موضوع الخطابة وأسسها

---

(١) حيث إن النطق هو الوسيلة الوحيدة التي جاءت مع خلقة الإنسان وستظل معه إلى أن ينتهي.

(٢) قال الحوفي في كتابه فن الخطابة: ٤١ «لقد حفظها خط آشور المسماري وقيدها خط الفراعنة الهيروغليفي، ثم رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي منذ القرن السابع قبل الميلاد، وبها أخضع بوذا الجموع الهندية لتعاليمه، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام وفي أسواقهم الأدبية بنوع خاص».

(٣) وقد اشتهر في العهد الجاهلي بالخطابة والحكم قيس بن ساعدة المتوفىٰ في حدود عام ٢٢ ق.هـ، واكتم بن صيفي المتوفىٰ عام ٨ هـ. «المنجد في الإعلام: ٤٩٢».

وتقسيماتها الثلاثة الاستشارية والقضائية والاستدلالية حسب تقسيماته[1].

وأما الخطابة في الجاهلية فكانت لها مكانة لديهم[2]، وكان الاسلوب الخطابي عندهم يعتمد السجع في الكلام، ولعله هو الاسلوب المفضل عند العرب البلغاء، ولذلك نرىٰ ان هذا الأسلوب هو المتبع في القرآن الحكيم وكلام أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وتختلف الخطبة باختلاف الغرض الذي سيقت إليه فربما كانت حماسية إذا أنشئت في مجال الحرب والقتال، وربما كانت تفاخرية إذا ما تناولت ذكر أمجاد قومهم أو آبائهم أو بلدهم، وربما كانت غير ذلك كالمستعملة في زواج[3] أو ممات أو

---

(١) خلفية هذا التقسيم زمنية بحت لأنه وزع الخطابة على الماضي والحاضر والمستقبل فسمىٰ التي تتعلق بالماضي بالخطب القضائية لأنك تحكم على الماضي أو أن القضية الواقعة تبحث عنها في أروقة القضاء، وسمىٰ التي تتعلق بالحاضر بالخطب الاستدلالية أو التثبيتية لأن الشخص يسعى إلى الاستدلال بقضية حاضرة وتثبيتها، كما سمىٰ التي تتعلق بالمستقبل بالخطب الاستشارية إذ تبحث عن قضايا لم تقع بعد ويطلب حلها.

(٢) ذكر معروف في كتابه الأدب الإسلامي في صدر الإسلام: ١١ «ان العرب عرفوا منذ جاهليتهم بأنهم أهل فصاحة وبيان وان الخطابة كانت عادتهم في كثير من مواقفهم الاجتماعية والسياسية».

(٣) خطبة الزواج: من الأعراف التي سادت في الأوساط العربية سواء في الجاهلية أو الإسلام ان كبير القوم أو ولي الأمر يقوم بإلقاء خطبة أمام حشد من أقارب الطرفين ومعاريفهما يطلب فيها مصارحة الطرف الآخر، ولا يخفى أن ما عرف بالخطبة في الزواج فهو بالكسر وتعني طلب نكاح =

إصلاح أو تهنئة أو القضاء[1] أو ما شابه ذلك، ولا معنىٰ لتحديدها بموارد معينة لأنها تتبع الغرض الذي لأجله تنشأ الخطبة.

وفي الإسلام تنوعت الأغراض، وقد استعملها الرسولﷺ في الدعوة إلىٰ الدين وفي المناسبات الإسلامية العامة والدينية الخاصة، ولأهمية الخطبة فقد جعلها الإسلام جزءاً من العبادة في بعض الموارد وصبغها بصبغة الوجوب كخطبة الجمعة والعيدين ولهذا أصبحت الخطبة في الإسلام مميزة، وازدهرت أكثر من الشعر وأصبح لها شأنٌ هامٌ في مجالات العمل الإسلامي بل وسائر المجالات.

نعم إن الإسلام هذّب بعض الأعراف الجاهلية ومنها مسألة التفاخر بالأنساب فجعلها تفاخرٌ بالاتباع للدين، وهذب الحماس عما كان عليه في الجاهلية.

ويقول الخطيب المعاصر الشيخ جعفر الهلالي[2]: «إن الإسلام أضاف إلى الأغراض الخطابية التي كانت، أربعة أغراض

= المرأة ومنه الحديث: نهىٰ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه.

(١) الخطبة القضائية: هي الخطبة التي تلقى في محفل القضاء بين المتخاصمين من الطرفين لبيان وشرح وجهة نظر الطرفين قبل بدء المناقشة وفي هذه الأيام يتولى هذا الأمر محامي الخصم أو الدفاع.

(٢) جعفر الهلالي: هو ابن عبد الحميد بن إبراهيم، ولد عام ١٣٤٦ هـ في البصرة، درس في النجف، سكن الكويت ثم قم، خطيب متكلم، وأديب شاعر، وكاتب محقق، من مصنفاته: معجم شعراء الحسين، المجالس المنبرية، والملحمة العلوية.

أخرىٰ هي التبليغية والوعظية والتربوية والسياسية»[1] ولكن لا دليل لهذه النسبة ولا للحصر فقد كانت موجودة أيضاً في الجاهلية إلا أنها كانت بأسلوب آخر كالخطب السياسية مثلاً، وهناك الخطب العلمية[2] التي مارسها الإسلاميون مما لم تكن على أيام الجاهلية فالأفضل أن لا تحصر بأغراض معينة بل تذكر من باب المثال.

وسيأتي مزيد من الكلام عند الحديث عن الخطابة في الإسلام وسائر الأديان.

---

(١) مجلة رسالة الحسين: العدد: ١/الصفحة: ١٦٢ مقال بعنوان الخطابة الحسينية.

(٢) إذ كانت الخطبة أفضل الوسائل المتاحة لإعلام المسلمين لتثقيف الأمة، وإيصال كلمة السماء إليهم، وربما كان أنجعها أيضاً ـ المعد.

يذهب بعض الدارسين إلى أن الخطابة كَفَن بَدأت منذ أن انتبه كراكس[١] إلى ضرورتها وذلك حين مثّل أهالي سيراكوس[٢] أمام محاكم اليونان بعد رجعتهم إلى ديارهم إثر الاستيلاء على أملاكهم وذلك عام ١١٠٢ ق. هـ (٤٤٦ ق.م) وعندها قام بوضع أسس الخطابة القضائية ومن بعده توالى الخطباء في اليونان أمثال: انتيفون[٣] الذي وضع أسس الخطابة السياسية والذي أعدم على أثره، وكركياس[٤] الذي ربّىٰ جيلاً من الخطباء، وايتكا ليسياس[٥] الذي وضع بعض الخطب القضائية إلى جانب عدد من الخطب السياسية، وامپه دوكلس[٦] الشاعر والفيلسوف اليوناني،

---

(١) كراكس (corax): مفكر يوناني ولد في سيراكوس عاش في القرن الحادي عشر قبل الهجرة الموافق للقرن الخامس قبل الميلاد.

(٢) سيراكوس (Syracuse): مقاطعة يونانية.

(٣) انتيفون (Antiphon): مفكر يوناني ولد عام ١١٣٧ ق. هـ (٤٨٠ ق. م).

(٤) كركياس (Gorgias): خطيب يوناني عاش ما بين (١١٣٧ ـ ١٠٣٤ ق.هـ) الموافق لـ(٤٨٠ ـ ٣٨٠ ق. م).

(٥) ايتكا ليسياس (Lycias): يوناني عاش ما بين (١١١٤ ـ ١٠٣١ ق. هـ) الموافق لـ(٤٥٨ ـ ٣٧٨ ق. م).

(٦) امپه دوكلس (Empedocles) يوناني عاش ما بين (١١١١ ـ ١٠٤٩ ق. هـ) الموافق لـ(٤٥٥ ـ ٣٩٥ ق.م).

ومن بعدهم جاء دور ايسوقراطس[١] والذي عد من أكبر خطباء تلك العصور كما يعد مؤسساً للمدرسة الخطابية، وجاء بعده أرسطو[٢] الذي وضع كتاب الخطابة والمؤلَف قبل عام ٩٧٤ ق.هـ (٣٢٢ ق. م)، وقد تخرج من مدرسته العديد من الخطباء من أبرزهم دموستن[٣].

وأما في روما فاشتهر سيسرو[٤] كأول خطيب لروما، ثم جاء دور مارك انطوني[٥] إلا أن الدور الثقافي في أوروبا توقف في غضون فترة القرون الوسطى[٦] وقد يلوح في أفقها الخطابي بعض الأسماء إلا أن أكثرهم من الفرنسيين[٧].

لم تكن الخطابة خاصة بالعرب دون سائر الأمم ولا بالمسلمين دون سائر الملل بل كان غير العرب وغير المسلمين

---

(١) ايسوقراطس (Isocrates) يوناني عاش ما بين (١٠٩٢ ـ ٩٩١ ق. هـ) الموافق لـ (٤٣٦ ـ ٣٣٨ ق. م).

(٢) أرسطو أو أرسطاطاليس (Aristote) المتوفى عام ٩٧٤ ق.هـ (٣٢٢ ق. م) سبقت ترجمته.

(٣) دموستن: كان من الوطنيين اليونانيين وخطيباً قديراً ولد في أثينا عام ١٠٣٨ ق. هـ (٣٨٤ ق.م) وتوفي بها عام ٩٧٤ ق. هـ (٣٢٢ ق.م).

(٤) سيسرو: (Cicero) من أشهر خطباء روما عاش ما بين (٧٥١ ـ ٦٨٦ ق.هـ) الموافق لـ (١٠٦ ـ ٤٣ ق.م).

(٥) مارك انطوني (Mark Antony).

(٦) القرون الوسطى: الفترة الزمنية ما بين العامين ١١٣٣ ق. هـ ٩٠٦ هـ (٤٧٦ ق.م ـ ١٥٠٠ م).

(٧) اداب سخن: ١٦ ـ ٢٤.

يستخدمون الخطابة في مهرجاناتهم الدينية والوطنية كالأعياد والحروب.

وكان الأنبياء[1] عليهم السلام يستخدمون هذه الوسيلة[2] لإبلاغ مبادىء السماء إلى الناس بأسلوبهم الإرشادي والتربوي، وعبر هذه الطريقة استطاعوا هداية الإنسان، ولكن لا نعهد أنها كانت بالقوة التي أعطاها إياها الإسلام[3] وبالمكانة التي أولاها الرسول محمد ﷺ حيث إنه ﷺ بدأ دعوته بخطابه التاريخي الذي ألقاه على عشيرته الأقربين[4] ثم استمر ﷺ يخاطب المشركين، إلا أنه لم يجد فيهم اذناً صاغية، فهاجر إلى المدينة وبدأ يخاطب

---

(١) إن الاستدلال بالآية ٢٠ من سورة ص التي تحكي قصة النبي سليمان عليه السلام ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ لا يتم إلا على ضعف، ومع هذا فلا يراد منه إلا التكلم، نعم ان سيرة الأنبياء وقصصهم مليئة بالحديث عن محاضراتهم عليهم السلام. وبما أن النبي شعيب عليه السلام كان أكثر الأنبياء خطاباً ومحاضرة لقبه الرسول ﷺ بخطيب الأنبياء.

(٢) يذكر ابن رشيق في العمدة: ١/٦٦ «أن الخطابة في عصر الدعوة صارت فوق الشعر لأن الشعر اتجر به وأصبح مكسباً للشاعر، فلذلك أصبحت منزلة الخطيب أرفع من منزلة الشاعر في تخليد المآثر وحماية العشيرة».

(٣) لقد كان الرسول ﷺ وأهل بيته أخطب الخطباء وأبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، فهم سادة الخطابة والبلاغة والفصاحة والأدب فهم أئمتها الذين لا يمكن العدول عنهم، وفي ذلك يقول الإمام أمير الفصاحة والخطابة علي بن أبي طالب عليه السلام: «وإنا لأمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه».

(٤) إشارة إلى الآية: ٢١٤ من سورة الشعراء ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

المهاجرين والأنصار إن لم نقل كل يوم فليس أقل في كل أسبوع لصلاة الجمعة، واهتم بها الإسلام إلى حدٍ أنها أصبحت جزءاً من العبادة في صلاة الجمعة وصلاة العيدين.

وقد استخدمها الرسولﷺ في إصلاح المجتمع وتربيته والدعوة إلى الله وفي حروبه، كما استخدمها في المناسبات الدينية.

وقد بدأ الرسولﷺ دعوته بالخطاب في أول يوم من دعوته وختم دعوته بالخطاب في آخر يوم من حياته، ولعل أهم خطاب جماهيري خطبه الرسولﷺ هو الذي خطبه في غدير خم والذي أكمل به الدين ورضي بالإسلام ديناً للبشرية جمعاء لنصب الإمام أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ للولاية[1].

وقد اعتاد الخلفاء والحكام في الإسلام[2] أن يبدأوا عهدهم

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

(٢) يقول الدكتور عمر فروخ في كتابه تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٥٦ «وأما ازدهار الخطابة فكان لحاجة الإسلام إلى الخطابة في سبيل الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحميس الجند، ثم حدثت حاجة الخلفاء والأمراء في الجيش والولاة إليها لإعلان سياسة الدولة وتبليغ أوامرها، فكان الرسولﷺ والخلفاء الراشدون وأمراء الجيوش وولاة الأمصار والقضاة من الخطباء ضرورة، غير أن بعضهم كان أخطب من بعض، فعلي بن أبي طالب كان خطيباً موهوباً فوق عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب، ولا غرو فكلام علي يأتي في مراتب البلاغة بعد القرآن والحديث».

بخطاب جماهيري بمجرد توليهم الحكم، فيحددون فيه عادة سياستهم المزمعين على تطبيقها.

ولعل من أكثر الأئمة والخلفاء خطابة هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان عهده عهداً حساساً للغاية، والخطابة كانت الوسيلة شبه الوحيدة لتوعية الناس وإرشادهم، ولو قسمت خطاباته حسب الأغراض لكانت أغراضها مختلفة ولكن غلبت عليها السياسة والحماسة والمعرفة والتربية.

وإذا ما نظرنا إلى نجله الحسين عليه السلام نراه قد بدأ نهضته بخطابه التاريخي الذي ألقاه على الجماهير في منىٰ والذي هو بمثابة بيانه الأول للنهضة ضد الطاغية يزيد ثم تلت خطاباته إحداها تلو الأخرىٰ ولم يتوقف عنها وهو في طريقه إلى كربلاء وحتى إلى قبيل استشهاده، وما إن استشهد حتىٰ استلم عنه هذه المسؤولية حواريه وتكفلوا بالأمر نيابة عنه[١].

وأما أدب الخطابة في الإسلام فالملاحظ فيه أنه مرتكز على السجع[٢] في الكلام سواء في القرآن الكريم أو في خطابات أهل البيت عليهم السلام، مما يوحي بأن هذا اللون من الأدب هو المميز عندهم لكثرة استخدامهم له.

● فأما القرآن الكريم فنرىٰ فيه أحياناً سورة كاملة جاءت على قافية واحدة وتارة نرىٰ أن كل آيتين أو أكثر تأتي على قافية

---

(١) راجع باب الخطب الحسينية (حديث الحسين) من هذه الموسوعة.

(٢) السجع: هو الكلام المقفىٰ ذات فواصل، ولا تختل القافية باستخدام الحروف المتقاربة المخارج ـ المعد.

واحدة وهكذا، فالأول كما في سورة الأعلىٰ مثلاً حيث إن آياتها التسع عشرة تنتهي بالألف، وإذا ما راجعنا سورة الغاشية فنرىٰ أن قسماً كبيراً جاءت آياتها على الشكل التالي:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ

فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ(١)

● وإذا ما لوحظ في خطاب الرسولﷺ في مؤتمر الغدير عند رجوعه من مكة في حجّة الوداع بدأ كلامه قائلاً.

الحمد لله الذي علا في توحّدِهْ

ودنا في تَفرُّدِهْ

وجلّ في سلطانِهْ

وعظم في أركانِهْ

وأحاط بكل شيء علماً وهو في مكانِهْ

وقهر جميع الخلق بقدرتِه وبرهانِهْ

مجيداً لم يزلْ

---

(١) سورة الغاشية الآيات: ٨ ـ ١٦.

محموداً لا يزالْ

بارىء المسموكاتْ

وداحي المدحوّاتْ

وجبارُ الأرضين والسماواتْ

قدُّوسٌ سُبّوحْ

ربُّ الملائكة والروحْ

متفضل على جميع من برأْ

متطول على جميع من أنشَأْ[1]

إلى آخر خطبته المباركة التي استخدم فيها السجع.

● ومن خطبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها ابتداء الخلق فيقول:

الحمد لله الذي لا يبلغُ مدحتَه القائلون

ولا يحصي نعماءَه العادونْ

ولا يؤدي حقَّهُ المجتهدونْ الذي لا يدركه بُعد الهممْ[2]

ولا يناله غوصُ الفطنْ

الذي ليس لصفته حدٌّ محدودْ

---

(١) كلمة الرسول الأعظم: ٦١ عن الاحتجاج: ١/ ١٣٨.

(٢) في السجع لا يعتمد على الكتابة بل على الصوت، ولذلك يكفي أدنى القرب بخلاف الشعر فإن حرف الروي ملاحظ فيه الكتابة والصوت (الموسيقى) معاً.

ولا نعتٌ موجودْ

ولا وقت معدودْ

ولا أجل ممدودْ

فطر الخلائق بقدرتِهْ

وكمال معرفته التصديق بهْ[1]

إلى آخر خطبته الملاحظ فيها السجع واضحاً.

● وقالت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها التي خطبتها بعد وفاة أبيها في جملة ما قالته في ذكر فضائل زوجها المغصوب حقه:

قذف[2] أخاه في لهواتها.

فلا ينكفىء حتىٰ يطأ صماخها بأخمصِهْ

ويخمد لهبها بسيفهْ

مكدوداً في ذات الله

مجتهدا في أمر الله

قريباً من رسول الله

سيداً في أولياء الله

مُشهراً ناصحاً

---

(١) نهج البلاغة: ٦٨.

(٢) أي قذف الرسول صلى الله عليه وآله أخاه علياً عليه السلام في لهوات الحرب على المشركين والمنافقين واللهوات، كناية عن معترك القتال.

مجدّا كادحاً

وأنتم في رفاهية من العيش وادعون

فاكهون آمنونْ

تتربصون بنا الدوائرْ

وتتوكفون الأخبارْ

وتنكصون عند النزالْ

وتفرّون من القتال[1]

وبهذه الكلمات ختمت خطابها هذا، والملاحظ فيه انها استعملت السجع في كلماتها.

● وإذا ألقينا نظرة على خطب ابنيها وابنتيها الحسنين والزينبين فنرى السجع ظاهراً منها، وهذا كلام ابنها الإمام الحسن عليه السلام حين خطب الناس بعد استشهاد أبيه الإمام علي عليه السلام فقال:

فلقد مات والله جديْ

وقتل أبيْ

وصاح الوسواس الخناسْ

في قلوب الناسْ

ونعق ناعق الفِتْنَةْ

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: ٤١٥.

وخالفتم السُّنَةْ

فيا لها من فتنة صمّاء عمياء لا يُسمعُ لداعيها

ولا يجابُ مناديها

ولا يخالفُ واليها

ظهرت كلمة النفاقْ

وسيّرتْ راياتُ أهل الشقاقْ

وتكالبتْ جيوش أهل المراقْ

من الشام والعراقْ

هلمّوا رحمكم الله إلى الافتتاحْ

والنورِ الوضّاحْ

والعلمِ الجحجاحْ

والنور الذي لا يطفىٰ

والحق الذي لا يخفىٰ[1].

● ويقول أخوه الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً الذين جاؤوا لمحاربته بعدما قتلوا أنصاره:

إيه... يا منتحلة دين الإسلامْ

ويا أتباع شر الأنامْ

هذا آخر مقام أقرع به أسماعكمْ

---

(١) كلمة الإمام الحسن: ٧٧.

واحتجُّ به عليكُمْ

زعمتم أنّكم بعد قتلي تتنعمون في دنياكمْ

وتستظلون قصوركمْ

هيهاتَ، هيهات، ستحاطون عن قريب بما ترتعد به فرائصكمْ

وترجفُ منه افئدتُكمْ

حتى لا يؤويكم مكانْ

ولا يَظِّلكم أمانْ.

إلى آخر خطبته الشريفة حيث لا يتخطى السجع فيها، والحال أنه في ساحة الحرب مثكول بقتل أصحابه وأنصاره.

● وإذا ما أتينا إلىٰ كلام أخواته بعده في الكوفة والشام نرىٰ أنهن لا يتخطين هذا الأدب المميز عندهم فتقول السيدة زينب عليها السلام [1] في جملة كلامها لأهل الكوفة:

يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل، لا، فلا رقأتِ العبرةْ

---

(١) وهي التي تكلمت في مجلس ابن زياد بالكوفة. بقولها: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرزت من أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي فإن شفك هذا فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد: هذه سجّاعة ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فقالت: ما للمرأة والسجاعة، إن لي عن السجاعة لشغلا ولكن صدري نفث بما قلت.

«زينب وليدة النبوة والإمامة: ١٦٢».

ولا هدأتِ الرنّةْ

إنما مثلكم كمثل التي نقضتْ غزلها من بعد قوة انكاثا

تتخذون أيمانكمْ... دخَلا بينكمْ

ألا وهل فيكم الا الصلفْ... والشنفْ

وملق الإماءْ

وغمزُ الأعداءْ

وهل أنتم الا كسرعىً على دمنةْ

وكفضة على ملحودةْ

ألا ساء ما قدمت أنفسكمْ

أنْ سخط الله عليكم.

إلى أن تقول:

وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوةْ

ومعدن الرسالةْ

وسيد شبّان أهل الجنّةْ

ومنار مَحجتكمْ

وَمِدْرَه حُجّتَكمْ

وَمُفْرِخ نازلتكمْ[1].

---

(١) جمهرة خطب العرب: ٢/ ١٣٤، بلاغات النساء: ٣٧.

● وتقول اختها السيدة أم كلثوم[1] في الكوفة بعد مقتل أخيها الحسين عليه السلام:

يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموهْ

وانتهبتم أمواله وورثتموهْ

وسبيتم نساءه ونكبتموهْ

فتبا لكم وسحقاً! ويلكم أتدرون أي دواهٍ دهتكمْ

وأي وزر على ظهوركم حملتمْ

وأي دماء سفكتموها؟

وأي كريمة اصبتموها؟

وأي صبية سلبتموها؟

وأي أموال انتهبتموها؟[2]

● ويقول الإمام السجاد عليه السلام في الكوفة بعد مقتل أبيه الحسين عليه السلام مُعرّفاً نفسه: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين.

المذبوح بشط الفرات

---

(١) هناك خلاف حول حضور السيدة أم كلثوم شقيقة السيدة زينب عليها السلام كربلاء، ولكن المصنف توصل في تحقيقاته على حضورها، كما دحض كل الشبهات التي اكتنفت زواجها وذلك في مكانين من موسوعته الرائدة في باب الشبهات وفي باب معجم أنصار الحسين ـ قسم النساء ـ المعد.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ٣١٦، حياة الإمام الحسين للقرشي: ٣/ ٣٤١، اللهوف: ٦٥.

من غير دخل ولا تراثْ

أنا ابن مَنْ اُنْتُهك حريمُهْ

وسلب نعيمُهُ

وانتهب مالُهْ

وسبي عيالُهْ

أنا ابن من قتل صبرا

فكفى بذلك فخرا[1].

• وتقول السيدة فاطمة ابنة الحسين عليه السلام وهي بالكوفة مخاطبة أهلها:

الحمد لله عدد الرمل والحصى

وزنة العرش إلى الثرى

أحمده وأؤمن به

وأتوكل عليه

واشهد أن لا إله إلاّ الله

وحده لا شريك له

وأن محمداً عبده ورسوله

وأن أولاده ذبحوا بشط الفراتْ

---

(١) أدب الحسين وحماسته: ١٨٧ عن الاحتجاج: ٢/ ٣٢ ومناقب آل أبي طالب: ٤/ ١١٥.

من غير ذحل ولا تراث[1].

هذه جملة من خطابات قادة الإسلام وزعمائه من الرسولﷺ وأهل بيتهعليهم السلام تكوّن لنا فكرة عامة عن لون الأدب الخطابي عندهم مما يدلنا على أنهم توالٍ لتلو القرآن الحكيم، ولو أضيفت إليها الأدعية الواردة عنهم وبالأخص أدعية الإمام السجادعليه السلام والزيارات التي تتلىٰ عند قبورهم ومزاراتهم لتشكلت المدرسة الأدبية الخاصة بأهل البيتعليهم السلام في إطار الخطابة.

ولا يخفىٰ أن هذا النوع من الأدب لا يخص الخطابة عندهم بل إن رسائلهم وحواراتهم أيضاً مليئة بهذا السجع اللطيف المميز.

● وسرىٰ هذا النهج بين علماء المسلمين إلى يومنا هذا حيث صاغوا خطب كتبهم بالأدب المسجع، ولا مجال لسرد الكثير من هذه النماذج، إلا أننا سنذكر بعضها تأييداً للفكرة، فهذا الشيخ محمد عبده[2] قدم على شرحه لنهج البلاغة قائلاً:

حمدُ الله سياج النعمْ

(١) كتاب فاطمة بنت الحسين: ٤٧، وأدب الحسين وحماسته: ١٨٣ عن الاحتجاج: ٢/ ١٠٤.

(٢) محمد عبده: هو ابن حسن خير الله التركماني (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ) ولد في مصر وتوفي فيها، مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح، من آثاره: تفسير القرآن الكريم، رسالة التوحيد، شرح المقامات للهمذاني.

والصلاة على النبيّ وفاءُ الذممْ

واستمطار الرحمة على آله الأولياءْ

وأصحابه الأصفياءْ

عرفان الجميل

وتذكار الدليل[1].

● ويقول الشريف الرضي[2] جامع كتاب نهج البلاغة في مقدمته له:

أما بعد حمداً للّه الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه.

ومعاذاً من بلائه

وسبيلاً إلى جنانه

وسبباً لزيادة إحسانه

والصلاة على رسوله نبي الرحمة

وإمام الأئمة

وسراج الأمة

المنتخب من طينة الكرم

---

(١) نهج البلاغة: ٩.

(٢) الشريف الرضي: هو محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ) من أعلام الإمامية تولى نقابة الطالبيين بعد أبيه، أديب شاعر ومؤلف بارع، من آثاره: الحسن من شعر الحسين، المجازات النبوية، تلخيص البيان.

وسلالة المجد الأقدم

ومغرس الفخار المعرق

وفرع العلاء المثمر المورق[1].

ومن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع أمثال كتاب مقامات الحريري، بل يراجع الكتب التي تعتني بنشر الخطب الإسلامية الملقاة في أيام الجمع[2] والعيدين فتراها مليئة بهذه الخطب المنسوجة على هذا السبك المسجع.

وهذا النوع من الأدب لا يختص بالعرب بل انتشر حتى عند غيرهم من المسلمين إلى يومنا هذا، ولقد حضرت بعض المجالس الفارسية والأُردوية والتركية فرأيت الخطباء يحاولون أن تكون خطاباتهم مسجعة بالسجع الإسلامي سواء في الخطب العامة أو الحسينية منها.

وسيأتي تفصيل الكلام في الخطابة الحسينية إن شاء الله تعالى.

---

(١) نهج البلاغة: ١٧.

(٢) وهنا تذكرت كلاماً لعبد الملك بن مروان الأموي عن أهمية الخطبة وصعوبتها حين قيل له عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين قال: «وكيف لا يعجل علي وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين، أو قال شيبي صعود المنابر وخوف اللحن» ـ صناعة الخطابة: ٣٠ ـ.

الخطابة الحسينية ومراحل تطورها

لقد مرت الخطابة الحسينية بمراحل مختلفة[1] منذ تأسيسها إلى يومنا هذا، ونحاول هنا بيان هذه المراحل بشكل متسلسل مراعين الإيجاز والاختصار تاركين التفاصيل إلى محالها.

المرحلة الأولى

هي المرحلة التي رافقت عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام والتي بدأت باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من محرم عام ٦١هـ وانتهت بالغيبة الكبرىٰ للإمام المهدي عليه السلام في الخامس عشر من شعبان عام ٣٢٩هـ، وهذه المرحلة وإن لم تكن على وتيرة واحدة إلا أن الشرعية المباشرة من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام كانت قائمة وداعمة لأجل المواصلة، وربما تتلخص في الفترات التالية:

---

(١) لقد استعرض هذه المراحل بعد صدور الكتابة من قبل ثلاثة من الأفاضل، من العراق الشيخ فيصل الكاظمي في كتابه المنبر الحسيني، ومن إيران الشيخ محمد باقر المقدسي في كتابه دور المنبر الحسيني، ومن فلسطين الدكتور خالد السنداوي في كتابه الخطبة الحسينية المعاصرة ـ المعد.

١ ـ الفترة التأسيسية:

وقد سبقت الإشارة إلى أن أول من مارس الخطابة الحسينية من الرجال هو الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام ومن النساء السيدة زينب الكبرىٰ إبنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتداولها سائر أهل البيت عليهم السلام ممن عايش محنة الأسر بعد مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، وكانت هذه الفترة تحمل في طياتها مواجهة الحكم الظالم القائم آنذاك والمتمثّل في يزيد بن معاوية الأموي، وكانت تلك الخطب تطير بسرعة فائقة في آفاق البلاد الإسلامية بجناحين جناح العطف والتظلم وجناح فضح الظلم والظالم، بهذا الشكل تأسس جهاز الاعلام الحسيني، ومن تلك الخطب التي نقل المؤرخون نصوصها هي الخطب الثلاث التي ألقاها الإمام السجاد عليه السلام .

الأولى: تلك التي واجه بها الجماهير في شوارع وساحات مدينة الكوفة والتي بدأها بعد الحمد والثناء بقوله: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات...»[1] وكان لهذه الخطبة ذلك الوقع الكبير في نفوس الناس حيث سرقت الاسماع والقلوب.

الثانية: تلك التي ألقاها في الجامع الأموي بدمشق بمحضر

---

(١) راجع: باب وثائق النهضة الحسينية من هذه الموسوعة، أدب الحسين وحماسته: ١٨٧، الاحتجاج: ٢/ ٣٢، مناقب آل أبي طالب: ٤/ ١١٥، نفس المهموم: ٢١٣، مثير الأحزان: ٩٠، بحار الأنوار: ٤٥/ ١١٢.

يزيد بن معاوية والعائلة المالكة والحرس والقواد والمستشارين، وذلك عندما استأذن يزيد فأذن له على مضض، فبدأ بعد الحمد والثناء بقوله: «أيها الناس أُعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع أعطينا العلم والحلم...»[1] ولم ينزل من تلك الأعواد إلا بفضيحة بني أمية واجهاش الناس بالبكاء.

الثالثة: تلك التي وقعت في الساحة التي عند مدخل المدينة المنورة حين استقبله أهلها ومعه آل أبي طالب، فقال بعد الحمد والثناء: «أيها القوم... ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته وسبي نسائه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية...»[2] ومن تلك الخطب أيضاً خطبتان للسيدة زينب الكبرىٰ ابنة علي أمير المؤمنين عليه السلام:

الأولى: تلك التي ألقتها في أزقة الكوفة وطرقاتها وذلك حين تجمهر الناس وقامت النسوة بالبكاء واللطم على ما جرىٰ على الحسين عليه السلام وأهل بيته ونسائه، فعندها أومأت العقيلة إلى الناس أن اسكتوا فلما سكنت الأنفاس وهدأت الأجراس قالت

---

(١) راجع: باب وثائق النهضة الحسينية من هذه الموسوعة، أدب الحسين وحماسته: ١٩٠، مقتل الحسين للخوارزمي: ٢/٦٩، اللهوف: ٨٢، الاحتجاج: ٢/١٣٩ مناقب آل أبي طالب: ٤/١٨٦، مقاتل الطالبيين: ٤٩.

(٢) راجع: باب وثائق النهضة الحسينية من هذه الموسوعة، أدب الحسين وحماسته: ١٩٢.

بعد الحمد والثناء: «يا أهل الكوفة[1] يا أهل الختل[2] والخذل فلا رقأت العبرة ولا هدأت الرنة...»[3] ولم تسكت إلا بعدما ماج القوم بالنحيب والعويل.

الثانية: تلك التي خاطبت بها يزيد بن معاوية وهي في باحة القصر الملكي عندما شاهدت يزيد ينكت بثنايا أخيها الحسين عليه السلام فانطلقت أمام الأمراء والوزراء قائلة: «صدق الله ورسوله يا يزيد ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[4] أظننت يا يزيد انك حين أخذت علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى...»[5].

وهكذا واصل أهل بيت الحكمة والتقىٰ خطبهم في سياق واحد مغتنمين تلك الفرص الذهبية، فقد نقل المؤرخون بأن السيدة فاطمة الكبرىٰ ابنة الحسين بن علي عليه السلام خاطبت الجماهير في الكوفة قائلة: «الحمد لله عدد الرمل والحصى...

---

(١) طبعاً المقصود بأهل الكوفة آنذاك وهم الذين خرجوا لمحاربة الإمام الحسين عليه السلام - المعد.

(٢) ختله: خدعه - المعد.

(٣) راجع: باب وثائق النهضة الحسينية من هذه الموسوعة، جمهرة خطب العرب: ٤/ ١٣٤، بلاغات النساء: ٣٧.

(٤) سورة الروم، الآية: ١٠.

(٥) راجع: باب وثائق النهضة الحسينية من هذه الموسوعة، جمهرة خطب العرب: ٢/ ١٣٦، بلاغات النساء: ٣٤، أدب الحسين وحماسته: ١٧٩، الاحتجاج: ٢/ ١٢٤.

واشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات...»[1] ولم تنته من خطبتها حتى ارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، ثم قامت بعدها السيدة أم كلثوم ابنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فخاطبت الجموع الغفيرة بعد الحمد والثناء: «يا أهل الكوفة سوأة لكم ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتم نساءه ونكبتموه...»[2] فلم ير غير باك وباكية، وأخذت النسوة تدعو بالويل والثبور.

وهناك الكثير من المجالس الحسينية انعقدت في هذه الفترة الزمنية وبالأخص في المدينة المنورة بدعم من الامام السجاد عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام واشرافهما بغرض التأسيس.

وهنا أود الإشارة إلى أن مجالس العزاء والنياحة كانت قائمة إلى جانب المجالس الخطابية، فقد أقيمت على قبر الإمام الحسين عليه السلام من قبل أهل بيته ومارستها نساء بني أسد بعد رحيل آل الحسين عليهم السلام إلى الكوفة، كما مورست في بيوتات الكوفة وفي أروقة البلاط الملكي بدمشق وفي بيوتات المدينة والمسجد النبوي ومقبرة البقيع، وقد منح أهل البيت عليهم السلام

---

(١) راجع: باب وثائق النهضة الحسينية من هذه الموسوعة، فاطمة بنت الحسين: ٤٧، أدب الحسين وحماسته: ١٨٣، الاحتجاج: ٢/ ٢٩.

(٢) راجع: باب وثائق النهضة الحسينية من هذه الموسوعة، حياة الإمام الحسين: ٣/ ٣٤٠، اللهوف: ٦٥، الحسين قتيل العبرة: ١٤٢، مقتل الحسين للمقرم: ٣١٦، أسرار الشهادة: ٤٦٩، ناسخ التواريخ: ٣/ ٤٨.

شرعيتها للموالين وأولوا اهتمامهم بها، إلا أنها خارجة عن موضوعنا وقد بحثناها في محلها[1].

وبالإجمال فإن أبرز خطباء هذه الفترة هم الإمام السجاد عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام والسيدة أم كلثوم عليها السلام والسيدة فاطمة الكبرى بنت الحسين عليه السلام، وتحرك في ظلهم نفر من الموالين والهاشميين في الكوفة والمدينة، منهم بشر بن حذلم الذي حثه الإمام السجاد عليه السلام على ذلك فنعى الحسين عليه السلام لأهل المدينة عبر أبيات شعرية[2] وهذا عبد الله بن عفيف الأزدي[3] الذي قاطع ابن زياد وهو يخطب أهل الكوفة بخطاب أرضى به ضميره رغم أن حياته كانت فيه[4]، وفي هذه الفترة بالذات بدأ الرثاء أيضاً، ولعل من أبرز الرائين من غير أهل البيت عليهم السلام هو سليمان بن قتة العدوي[5] المتوفى عام ١٢٦ هـ إلى جانب عشرات الرائين الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية رثاء

---

(١) راجع: فصل مجالس العزاء من باب الشعائر الحسينية تاريخها ومقوماتها من هذه الموسوعة.

(٢) راجع: ديوان القرن الأول: ١/١٧٦ من هذه الموسوعة.

(٣) عبد الله بن عفيف الأزدي: كان من رؤساء الشيعة وخيارهم في الكوفة، كانت له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذهبت عينه اليسرى في حرب الجمل، واليمنى في يوم صفين، قتله عبيد الله بن زياد عام ٦١هـ.

(٤) راجع: باب السيرة من هذه الموسوعة فصل الكوفة بعد مقتل الإمام.

(٥) سليمان: هو سليمان بن حبيب بن محارب القرشي المتوفى عام ١٢٦ هـ بدمشق، اشتهر باسم أمه قتة، كان من التابعين المشهورين بالولاء لأهل البيت عليهم السلام وكان لا يترك مناسبة إلا ويذكرهم في أشعاره.

الإمام الحسين عليه السلام ممن ذكرناهم في ديوان القرن الأول، والثاني[1] إلى جانب السيدة رباب[2] زوجة الإمام الحسين عليه السلام وسائر الهاشميات[3].

٢ ـ الفترة الانتقالية:

هناك نوع ترابط بين الخطابة الحسينية والمجالس الحسينية، فمتىٰ ما انعقدت المجالس تواجدت الخطابة وكان المؤسس لهذه المجالس في الفترة التأسيسية والخطيب متحدين، فكان تارة الإمام السجاد عليه السلام أو السيدة زينب عليها السلام أو غيرهما من سائر أهل البيت عليهم السلام، وكان كل واحد منهم يقيم المجالس أو يحوّل المجالس العامة والخاصة إلى مجلس حسيني ويبدأ بالتحدث عن مأساة كربلاء ويثير جانباً عاطفياً منها، أو جانباً موضوعياً ويخاطب المجتمعين من خلاله عما يريد التحدث عنه بأسلوب حزين ومشجٍ للغاية أو علمي مقنع هادىء، ولكن في الفترة الانتقالية التي تلت تلك الفترة قام أئمة أهل البيت عليهم السلام بخطوة أخرىٰ نحو تطوير الخطابة وذلك حين طلبوا من الشعراء والمنشدين أن يقوموا بدور الخطيب والمنشد الحسيني لتتسع دائرة الخطابة الحسينية وتتحول من دائرتهم إلى دائرة أوسع وتنتشر بين

---

(١) راجع ديوان القرن الأول بجزأيه وديوان القرن الثاني من هذه الموسوعة.

(٢) السيدة رباب: هي ابنة امرىء القيس بن عدي بن أوس الكندي المتوفاة عام ٦٢ هـ عن عمر ناهز الخمسين، زوجة الإمام الحسين عليه السلام، كانت من خيار نساء عصرها وأفضلهن، وكانت تنظم الشعر.

(٣) راجع باب السيرة الحسينية من هذه الموسوعة.

الناس، وبالفعل فقد عمد الإمام الباقر عليه السلام بعد وفاة أبيه عام ٩٥ هـ إلى ترسيخ هذه الخطوة، وكذلك فعل ابنه الإمام الصادق عليه السلام حينما وجدا الأرضية الخصبة لذلك بسبب ضعف الدولة الأموية من جهة وعدم استتباب سلطان بني العباس، فحث الباقر عليه السلام الشعراء على الإنشاء والإنشاد في جده الحسين عليه السلام وبيان مصائبه بمحضره ومحضر جمع من الموالين وأهل البيت، فكان للكميت[1] الدور البارز في ذلك حيث تواصل هذا النوع من الرثاء مع ثلاثة من أئمة أهل البيت: السجاد والباقر والصادق عليهم أفضل الصلاة والسلام فكان لكل منهم دور في صقل نفسيته الولائية، وقد شرع برثاء الإمام الحسين عليه السلام بطلب منهم[2]، ولم يعد رثاؤه عليه السلام حكراً على الكميت بل اتسع الأمر ليشمل شعراء آخرين طلب الإمام الصادق عليه السلام منهم ذلك، حين استقبل في بيته الشعراء كالطائي[3] وابن غالب[4]

---

(١) الكميت: هو ابن زيد بن خنيس الأسدي (٦٠ ـ ١٢٦ هـ) من فحول الشعراء يلقب بشاعر الهاشميين وشاعر أهل البيت عليهم السلام، وكان خطيب بني أسد وفقيه الشيعة وكان فارساً شجاعاً، له ديوان شعر.

(٢) راجع باب الحكايات تحت عنوان الكميت وأهل البيت من هذه الموسوعة.

(٣) الطائي: هو جعفر بن عفان الكوفي المتوفى حدود عام ١٥٠ هـ، كان مكفوف البصر، وكان من الشعراء الموالين لأهل البيت عليهم السلام وقد انشد فيهم أبياتاً كثيرة، وربما ذكروه جعفر بن عثمان وهو تصحيف.

(٤) ابن غالب: هو عبد الله بن غالب الأسدي، من شعراء القرن الثاني الهجري، من أصحاب الإمام الباقر وابنه الصادق عليهما السلام وكان من شعراء أهل البيت عليهم السلام.

والحميري[1] والعبدي[2] وطلب منهم أن ينشدوه في جده الحسين عليه السلام من أشعارهم في محفل من أصحابه وأهل بيته رجالاً ونساءً[3].

ومن الملاحظ أن في هذه الفترة بالذات انضم الرثاء المنظوم إلى الرثاء المنثور ليشكل ظاهرة جديدة في الخطابة الحسينية وذلك بفضل حث الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام على إقامة المآتم والندب على الإمام الحسين عليه السلام حيث يقول الباقر عليه السلام: «ثم ليندب الحسين ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء والجزع ويقيم في داره مصيبة بإظهار الجزع عليه»[4] ومن جهة أخرىٰ، ففي أوائل القرن الثاني على عهد الإمام الصادق عليه السلام وبتحريض منه برز في فن الخطابة المجموعة التي تسمىٰ بالمنشدين حيث كان الإمام عليه السلام يحث من له قابلية

(١) الحميري: هو إسماعيل بن محمد بن يزيد والملقب بالسيد (١٠٥ ـ ١٧٨ هـ)، ولد بعُمان وتوفي ببغداد، كان من شعراء أهل البيت عليهم السلام، وقد نظم أغلب الفضائل التي وردت في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) العبدي: هو سفيان بن مصعب، المتوفى عام ١٧٧هـ له صحبة مع الإمام الصادق عليه السلام، شاعر بليغ موالٍ لأهل البيت النبوي عليهم السلام، له مساجلاته مع الحميري، من مؤلفاته: أخبار سفيان العبدي وشعره.

(٣) راجع فصل شرعية الشعائر من باب الشعائر الحسينية تاريخها ومقوماتها من هذه الموسوعة.

(٤) راجع كامل الزيارات: ١٧٥، ويقول الإمام الباقر عليه السلام أيضاً: «رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكروا في أمرنا فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما...».

الإنشاد للقراءة على جده الحسين عليه السلام وبذلك تكونت طبقة من الخطباء باسم المنشدين والنائحين وعرفوا بهذا الاسم، ومن أبرزهم: أبو عمارة المنشد[1] وأبو هارون[2] المكفوف المنشد، وأبو داود المنشد[3] وامثالهم[4]، وكان الأئمة يحثونهم على ذلك فقد قال الإمام الصادق عليه السلام لفضيل[5]: «يا فضيل تجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها فاحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا»[6].

واستمر هؤلاء يقرأون الشعر على الإمام الحسين عليه السلام في

---

(١) أبو عمارة المنشد: ستأتي ترجمته في هذا الجزء ان شاء الله تعالى.

(٢) أبو هارون: هو موسىٰ بن عمير الكوفي من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام المتوفى عام ١١٤ هـ وابنه الإمام الصادق عليه السلام المتوفى عام ١٤٨ هـ وكان يدخل على الإمام الصادق عليه السلام ويدعوه بالرثاء على طور الراثين حيث الرقة، وكان ينشد أبيات السيد الحميري في الإمام الحسين عليه السلام، ستأتي ترجمته في حرف الميم من هذا المعجم.

(٣) أبو داود المنشد: هو أبو داود المسترق سليمان بن سفيان المتوفىٰ عام ٢٣١هـ تلميذ سفيان بن مصعب العبدي، وإنما لقب بالمسترق لأنه كان يسترق قلوب الناس بأشعار السيد الحميري، كان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وكان يدخل عليه فيحثه على الإنشاد فينشد له ولأهل بيته ولأصحابه، وستأتي ترجمته في حرف السين من هذا المعجم.

(٤) مجلة رسالة الحسين: ٢/ ١٦٢ بقلم الشيخ باقر المقدسي.

(٥) فضيل: هو ابن فضالة التغلبي الكوفي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام المتوفىٰ عام ١٤٨ هـ، روىٰ عنه بكر بن محمد الأزدي.

(٦) بحار الأنوار: ٧١/ ٣٥١، قرب الإسناد: ٣٦.

المآتم التي تقام على الإمام الشهيد والناس يبكونه، ولقد تولى الإمام الصادق عليه السلام بالذات إنشاء هذه المآتم، فقد عقد في بيته عدداً من المآتم وكان يدعو المنشدين إلى قراءة الشعر في مصاب جده الحسين عليه السلام باللحن الدارج عند المنشد كما فعل بأبي هارون المكفوف وأبي عمارة(١).

وفي قبال هؤلاء المنشدين والنائحين ظهر عدد من الخطباء المحدثين والقصاصين(٢) الذين كانوا يذكرون سيرة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله للناس، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام عنهم عندما سمع بأنبائهم: «بلغني أن قوماً يأتونه ـ قبر الحسين ـ من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم ونساء يندبنه وذلك في النصف من شعبان فمن بين قارىء يقرأ وقصاص يقص ونادب يندب»(٣).

ويظهر من هذا النص التاريخي أن في هذه الفترة الزمنية كان هناك ثلاث فرق يقيمون المآتم الحسينية: المنشدون،

---

(١) أعيان الشيعة: ٦/ ٣٢٨.

(٢) برزت ظاهرة القصاصة هذه في القرن الأول الهجري وبالتحديد على عهد عثمان بن عفان، وكان موضوعها في البداية الموعظة والإرشاد حيث كان القصاص يقوم بنقل القصص ليعتبر الناس، وقد أخذت الفكرة على الظاهر من القرآن الكريم، وقد انخرط فيه عدد من كبار الصحابة كالأسود بن سريع، ومن التابعين عبيد بن عمير الليثي، وصار للقصاصين حلقة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة كحلقة الدرس وكان ممن التزم ذلك مسلم بن جندب الهذلي، ونحا هذا المنحىٰ الحسن البصري ـ راجع تاريخ الأدب العربي لمصطفى بن صادق الرافعي: ٢/ ٣٧٩ ـ ولاستدرار العَبرة صار الخطباء الحسينيون يستخدمون القصص في خطاباتهم.

(٣) كامل الزيارات: ٣٢٥.

والقصاصون، والنادبون، بينما نشاهد أن الخطيب الحسيني في المراحل اللاحقة تمكن من القيام بالأدوار الثلاثة، فكان يقرأ مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وسيرته ويطعّمه ببعض القصص لدعم موضوعه ثم يختمه بإنشاد بعض الأبيات في رثائه عليه السلام، ومن هذا المنطلق ربما تمكنا من القول بأن نواة الخطابة التقليدية نشأت في هذه الفترة.

وكان الإمام الصادق عليه السلام والذي تمتع بحرية أكثر مما كان عليه آباؤه أخذ يحث ويحث الموالين على دعم المنبر الحسيني بكل أشكاله: النياحة والقراءة وغيرهما رجالاً ونساءً، وفي هذا المجال أوصى مواليه قائلاً: «يا معشر الشيعة علموا أولادكم شعر العبدي فإنه على دين الله»[1] بل ذهب إلى أكثر من ذلك، فقد ذكر الأمين[2]: ان الإمام الصادق عليه السلام قال لسفيان ابن مصعب العبدي قل شعراً تنوح به النساء[3].

٣ ـ فترة ما قبل الغيبة:

أصيبت هذه الفترة بنكسة، حيث عمد العباسيون بعدما أرسوا قواعد حكمهم إلى اضطهاد أئمة أهل البيت عليهم السلام أكثر من

---

(١) أدب الطف: ١/ ١٧٠.

(٢) الأمين: هو محسن بن عبد الكريم العاملي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١ هـ) ولد في شقراء (جبل عامل) وتوفي في بيروت ودفن في دمشق، من علماء الإمامية وأعيانهم وأدبائهم، من مؤلفاته: كشف الارتياب، المجالس السنيّة، مفتاح الجنات.

(٣) أعيان الشيعة: ٧/ ٢٦٧.

ذي قبل، وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام قد مهدوا لهذه الفترة المظلمة حيث حث الإمام الصادق عليه السلام شيعته عبر أصحابه... على عقد المجالس بقوله: «تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا واحيوا أمرنا»[1] وقام الأئمة من بعده على حث الشعراء والرائين والموالين على إقامة هذه المجالس ولكنهم امتنعوا من إقامتها في دورهم إلا في السر، فهذا الإمام الكاظم عليه السلام الذي لاقىٰ أشد أنواع العذاب في سجون بغداد لم يتوان عن حث دعبل الخزاعي[2] على ذلك وما ان وجد الأخير الفرصة مؤاتية قدم على الإمام الرضا عليه السلام بصحبته شاعر آخر وانشداه مرثية في الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكتف الإمام الرضا عليه السلام بذلك فحسب بل كان يحرض الناس على إقامة المجالس والنوح على جده الإمام الحسين عليه السلام، ومن ذلك قوله في كلام طويل له في هذا الاتجاه: «ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[3].

وفي هذه الفترة انتشر النائحون[4] من جهة في بغداد وكربلاء كما انتشر القصاصون[5] من جهة أخرىٰ وبدأوا يحكون

---

(١) بحار الأنوار: ٧١/ ٣٥٢.

(٢) دعبل الخزاعي: هو ابن علي بن رزين (١٤٨ ـ ٢٤٦ هـ) من فحول الشعراء، عرف بولائه لأهل البيت النبوي الشريف، من مصنفاته: طبقات الشعراء، ديوان شعر.

(٣) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٧٨ عن أمالي الصدوق: ٧٣.

(٤) وممن اشتهر بالقصص أبو القاسم البغدادي.

(٥) ممن اشتهر بالنوح ذرة النائحة.

قضية مأساة الإمام الحسين عليه السلام على الناس بشكل مثير، ولا شك انها كانت ضمن حركة مدروسة للغاية، وفي ذلك يقول أبو دلف[1] المتوفىٰ عام ٢٢٦ هـ عن المجتمع البغدادي ـ من الهزج ـ:

ومنا النائح المبكي ومنا المنشد المطري[2]

فكلما ازدادت الرقابة علىٰ الأئمة ازداد العمل بهذا الاتجاه وبشكل خفي، وقد ازدادت الضغوطات باطراد منذ عهد الإمام الجواد عليه السلام فعمد الإمام الهادي عليه السلام[3] إلى شراء العبيد وتعليمهم في دورات مكثفة خلال سنة واحدة واطلاق سراحهم بعد تزويدهم بالإمكانات المادية والمعنوية لينتشروا في الأقطار الإسلامية، وفي ظاهرة أخرىٰ قام الإمام الهادي عليه السلام بإرسال نائب عنه ليدعو له عند جده الإمام الحسين عليه السلام ليشفيه الله من مرض ألمّ به وما ذلك إلا لإحياء ذكر جده عليه السلام .

وأما الإمام العسكري فقد عمد إلى إرسال الرسل والرسائل

---

(١) أبو دلف: هو قاسم بن عيسى العجلي المتوفىٰ عام ٢٢٦ هـ، كان من الأمراء الشعراء، قائد جيش المأمون العباسي، له مؤلفات منها: سياسة الملوك، البزاة والصيد، توفي في بغداد.

(٢) المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة: ٢١٠.

(٣) جاء في كتاب الحرية الإسلامية: ٥١ «إن الإمام السجاد عليه السلام كان يربي العبيد ويجعلهم علماء أتقياء وينشرهم في البلاد لإعطاء الأمة الوعي، ونُقل عن سيد الأهل أن عدد العبيد الذين اشتراهم الإمام السجاد عليه السلام ورباهم ثم حررهم، وصل خمسين ألفاً».

إلى أكناف المدن الإسلامية للرموز الولائية التي كان على اتصال دائم بها ليزودهم بتعليماته في تلك الظروف الصعبة التي لم يتمكن هو مباشرتها حيث تعرض للسجن لأكثر من مرة، وقد نهج في ذلك منهج جده الإمام الجواد عليه السلام حيث كان هو الآخر قد استخدم طريق المراسلة، وفي هذه الفترة ظهر عدد آخر من النائحين والرائين والقصاصين تخرجوا من مدرسة أهل البيت عليهم السلام منهم ابن أصدق[1] وأبو القاسم الشطرنجي[2] والمزوق[3] وخلب[4] وذرة النائحة[5].

وأما الإمام المهدي عليه السلام فإنه سجل في الزيارة التي خرجت من ناحيته[6] نوعاً من الخطاب الشجي والعاطفي في حق

---

(١) ابن أصدق: هو علي بن أصدق الحائري، كان عصره بين المائة الثالثة والرابعة وكان ينوح على الإمام الحسين عليه السلام عند قبره، وستأتي ترجمته في حرف العين من هذا المعجم إن شاء الله تعالى.

(٢) أبو القاسم: هو عبد العزيز البغدادي، كان عصره في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، وكان يقص على الناس حديث مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

(٣) المزوق: هو أحمد المزوق النائح ستأتي ترجمته في هذا الجزء إن شاء الله تعالى.

(٤) خلب: البغدادية النائحة، كانت تنوح على الإمام الحسين عليه السلام في بغداد وأمر رئيس الحنابلة الحسن بن علي البربهاري المتوفى عام ٣٢٩ هـ بقتلها بسبب نوحها على الإمام الحسين عليه السلام، وستأتي ترجمتها في حرف الخاء من هذا المعجم.

(٥) ذرة: من النساء النائحات في القرنين الثالث والرابع وكانت تنشد أبياتاً لبعض الكوفيين.

(٦) هناك زيارتان الأولى خاصة بالإمام الحسين عليه السلام والمخصصة ليوم

جده أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته الاطهار وأنصاره الكرام الذين استشهدوا في تلك المجزرة الرهيبة التي قام بها أنصار الطاغية يزيد بن معاوية والتي يقول فيها: السلام على من نكثت ذمته، السلام على من هتكت حرمته، السلام على من أريق بالظلم دمه، السلام على المغسل بدم الجراح، السلام على المجرّع بكاسات الرماح، السلام على المضام المستباح، السلام على المنحور في الورىٰ، السلام على من دفنه أهل القرىٰ، السلام على المقطوع الوتين، السلام على المحامي بلا معين، السلام على الشيب الخضيب، السلام على الخد التريب، السلام على البدن السليب، السلام على الثغر المقروع بالقضيب، السلام على الرأس المرفوع، السلام على الأجسام العارية في الفلوات تنهشها الذئاب العاديات وتختلف إليها السباع الضاريات... قد عجبتْ من صبرك ملائكة السماوات فأحدقوا بك من كل الجهات، واثخنوك بالجراحِ، وحالوا بينك وبين الرواح، ولم يبق لك ناصر وأنت محتسب صابر، تذب عن نسوتك وأولادك حتى نكسوك عن جوادك فهويت إلى الأرض جريحاً، تطؤك الخيول بحوافرها وتعلوك الطغاة ببواترها...»[1].

وحاصل المرحلة الأولى: إن الخطابة الحسينية بدأت بأرض

= عاشوراء وهي مما لا شك فيها أنها وردت من قبل الإمام المهدي عليه السلام ، والثانية وردت في حق أنصار الإمام الحسين عليه السلام وهذه الزيارة لعل نسبتها إلى أبيه الإمام العسكري عليه السلام أقوىٰ كما ناقشنا ذلك في باب الزيارات فليراجع.

(١) ضياء الصالحين: ٧٩٢ ـ ٧٩٥.

المعركة كربلاء عام ٦١ هـ وقد ابتدع نمطها أربعة من حواريي سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وهم:

١ ـ نجله زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

٢ ـ شقيقته الكبرىٰ زينب بنت علي عليه السلام.

٣ ـ شقيقته الأخرى أم كلثوم بنت علي عليه السلام.

٤ ـ كريمته فاطمة بنت الحسين عليه السلام.

حيث تحملوا مسؤولية توعية الجماهير وتخليد ذكر إمامهم أبي الشهداء عبر خطاباتهم الحسينية في كبريات المدن آنذاك: الكوفة، دمشق، المدينة، وهم في أسر الأمويين، وكان لتلك الخطابات الوقع المباشر لاستنهاض الشعوب على الطاغية يزيد، وإيصال صوت الحسين إلى الأحرار في كل العالم.

وكان لزام علينا أن نورد هنا نصوص الخطابات باعتبارها النموذج الأول للخطابة الحسينية إلا أن الوقوع في التكرار منعنا عن ذلك حيث أفردنا باباً خاصاً لذلك[1]، هذا وسيأتي الحديث عنهم وعن أسلوبهم الخطابي عند ترجمتهم في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

هذه إذاً هي النواة الأولى الحقيقية لهذا الجهاز الإعلامي الشريف الذي تبناه أئمة أهل البيت عليهم السلام ولم يتوان كل منهم بدوره في مواصلة دعمه له لتترسخ دعائمه وتتوضح معالمه، ولم ينته الأمر بمجرد الدعم والتأييد بل تولوا أمرها في فترات عصيبة

(١) راجع باب وثائق النهضة الحسينية من هذه الموسوعة.

وأقاموا المجالس الحسينية في بيوتهم وطلبوا من الشعراء والمنشدين أن يمارسوها بمحضرهم، وقد فصلنا الكلام عن تلك المجالس والممارسات في محله[1].

بهذا الشكل بدأت الخطابة الحسينية وأخذت مجراها عبر العصور المظلمة رغم الاضطهاد الممارس من قبل السلطات الطاغية، ولقد تبنىٰ ذلك أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فأخذوها من أئمتهم وطوروها فأصبحت بحد ذاتها فنّاً مميزاً[2] ذات نمط فريد تختلف عن سائر الفنون الخطابية الأخرىٰ بما لها من مميزات خاصة وموضوع خاص وأسلوب لطيف مختص بها.

وقد امتاز الخطباء الحسينيون عن غيرهم بأسلوبهم وتعبيرهم وأهدافهم بما يخالف الخطباء السياسيين والعلماء أو غيرهم من

---

(١) راجع فصل المجالس الحسينية من الشعائر الحسينية تاريخها ومقوماتها من هذه الموسوعة.

(٢) الخطباء على شكلين قسم يرتجل الكلام وقسم آخر يقرأ خطاباً قد حرره، لقد استقرت الخطابة الحسينية على أن يرتجل الكلام فلا يعهد الآن من يقرأ خطابه محرراً وهذا لا يعني أنه يرتجل التفكير، بل على الخطيب أن يعد قواه العلمية بالمطالعة والتحضير.

ولعل من مميزات الخطابة الحسينية أن الخطيب لا يرتبط بجهات رسمية ليصبح موظفاً لدائرة من الدوائر الحكومية ويفقد حريته وطلاقته في التعبير، ومن المؤسف جداً أن بعض الحكومات حاولت ولا زالت تحاول أن تلجم الخطابة الحسينية بهذا اللجام لتصبح آلة أخرىٰ من آلات النظام ويصبح الخطيب من وعاظ السلاطين.

الذين يستخدمون الخطابة لأغراضهم الخاصة، فأصبحت الخطابة الحسينية نسيج وحدها.

بدأت الخطابة الحسينية في اتجاهين فقط السياسي والمأساوي ولكنها سرعان ما تطورت لتدخل كافة المجالات الاجتماعية مقتحمة بذلك المجال الثقافي والتربوي والإرشادي وما ذلك إلا لأنها امتداد لخط أهل البيت عليهم السلام.

وتعتبر المجالس الحسينية مدرسة سيارة تعنى بنشر تراث أهل البيت عليهم السلام عقيدة وفكراً، أحكاماً وأخلاقاً إلى غيرها من المجالات.

المرحلة الثانية

تبدأ هذه المرحلة بغيبة الإمام[1] المهدي عليه السلام الكبرىٰ في عام ٣٢٩ هـ والتي التزم الموالون لأهل البيت عليهم السلام القيام بمهمة إحياء ذكر الإمام الحسين عليه السلام التي أرادها أئمة أهل البيت عليهم السلام أن تبقى ساخنة طول التاريخ وفي مقدمتها إقامة المجالس الحسينية التي يتم فيها ذكر الإمام ورثاؤه، ولمعرفة المزيد من مراحل تطوير ذلك راجع الأبواب التالية من هذه الموسوعة:

١ ـ ديوان القرون.

٢ ـ معجم المصنفات الحسينية.

٣ ـ الشعائر الحسينية تاريخها ومقوماتها.

٤ ـ وثائق النهضة الحسينية.

---

(١) كانت الغيبة الصغرى للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فترة تدريبية لممارسة مرجعية الفقهاء وأما الغيبة الكبرىٰ فجاءت كمرحلة تطبيقية لذلك، وقد مهد إليها في البداية الإمام العسكري عليه السلام ثم طبعها الإمام المهدي عليه السلام ، راجع ديوان القرن الرابع من هذه الموسوعة الرائدة ـ المعد.

٥ ـ الحسين في التراث الشعبي.

وباختصار شديد لقد ظهرت أثناء الغيبة الصغرىٰ للإمام المهدي عليه السلام والتي بدأت عام ٢٦٠ هـ ثلاث دول من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام إحداها في المغرب الإسلامي واثنتان منها في المشرق الإسلامي فقد أقام المهدي الفاطمي[١] دولته في تونس عام ٢٩٧ هـ على مقربة من عاصمة دوله أخرىٰ كانت قائمة هناك ألا وهي دولة الأدارسة[٢] بالفاس[٣] والتي هي الأخرى بالإضافة إلى انتسابها إلى الرسول صلى الله عليه وآله كانت من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والفاطميون حكموا مساحة واسعة من البلاد الإسلامية حتى عام ٥٥٥ هـ، بينما أقام أبو شجاع بويه الديلمي[٤]

---

(١) المهدي الفاطمي: هو عبد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق (٢٥٩ ـ ٣٢٢ هـ) مؤسس الدولة العلوية في المغرب، بويع له عام (٢٩٧ هـ) بعد أن أنهى حكم بني الأغلب، بنىٰ مدينة المهدية واتخذها عاصمة له.

(٢) الأدارسة: دولة علوية ينتهي نسب مؤسسها إدريس بن عبد الله إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام، أنشأ دولته عام ١٧٢ هـ، ملكت المغرب الأقصى وتلمسان، قضىٰ عليها العباسيون والأغالبة عام ٣٦٣ هـ.

(٣) فاس: مدينة مغربية تنقسم إلى قسمين: القديمة، أسسها إدريس الثاني عام ١٩٤ هـ والجديدة، بناها يعقوب بن عبد الحق المريني عام ٦٧٥ هـ، كانت عاصمة البلاد لعدة سلالات.

(٤) أبو شجاع الديلمي البويهي: ينتهي نسبه إلى الملك الفارسي بهرام كور، نُسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم بها، وكان لكل من أبنائه الثلاثة علي والحسن وأحمد دور في اتساع مملكتهم، حكموا بين (٣٢٠ ـ ٤٤٧ هـ).

دولته في أصفهان عام ٣٢٠ هـ على أنقاض الدولة العلوية[١] بطبرستان[٢] والتي كانت هي الأخرىٰ بالإضافة إلى انتسابها إلى الرسولﷺ من أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام ، واستمر حكم البويهيين حتىٰ عام ٤٤٧ هـ وقد بسطوا سلطانهم على إيران والعراق.

وإلى جانب ذلك فقد أقام حمدان بن حمدون[٣] دولته في حلب عام ٢٧٩ هـ وهو الآخر كان من اتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام ، واستمر حكم الحمدانيين حتىٰ عام ٣٨١ هـ ليحل محلهم الفاطميون، ثم انشئت دولة بني عمار[٤] في طرابلس على الولاء لأهل البيتعليهم السلام وقد سقطت عام ٥٠٢هـ.

هذه الدول الثلاث بشكل عام شكلت أرضية خصبة للتحرك الخطابي ونمو القدرات، حيث أخذت على عاتقها نشر تراث أهل

---

(١) الدولة العلوية: سلالة علوية من الإمامية قامت دولتهم على أكتاف ستة أشخاص ثلاثة من الحسنيين وثلاثة من الحسينيين، نشأت دولتهم عام ٢٥٠ هـ، ملكوا الري والديلم وطبرستان.

(٢) طبرستان: هي بلاد واسعة تقع في شمال إيران، وهي الآن تسمىٰ مازندران.

(٣) حمدان بن حمدون: هو حفيد الحارث التغلبي (المتوفىٰ نحو عام ٢٥٠ هـ) وهو من عرب العدنانية، وهو الجد الأعلى للحمدانيين، حكم بنوه الموصل والجزيرة وحلب في العصر العباسي باسم الدولة الحمدانية.

(٤) بنو عمار: أسرة شيعية عريقة كان رجالها قضاة طرابلس الشام، ثم أصبحوا أمراء وملوك تلك المنطقة، فأنشأوا دولتهم عام ٤٦٢ هـ على يد أمين الدولة أبي طالب الحسن بن عمار، وازدهرت دولتهم، قضىٰ عليهم الصليبيون عام ٥٠٢ هـ.

البيت عليهم السلام من جهة وإحياء ذكرهم من جهة أخرىٰ، وكان في مقدمة ذلك إحياء ذكرى مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار وأنصاره الكرام بكربلاء، وكان من أبرز مصاديق ذلك إقامة المجالس والمواكب الحسينية التي كانت للخطابة فيها الدور الرئيس، ويبدو أن مراسم المجلس الحسيني كانت على الشكل التالي: كان قراء السيرة، يقرأون سيرة الإمام المظلوم عليه السلام ويذكرون ما جرى عليه وعلى أهل بيته وأنصاره من المصائب يوم عاشوراء ثم يأتي المنشدون فيرثونه نظماً وذلك في محضر سلاطين آل بويه والفاطميين وآل حمدان سواء في أصفهان أو بغداد أو حلب أو القاهرة، وفي هذا المجال يذكر الهاشمي(١): إن كبار المسؤولين في الدولة من السلطان والوزراء والقضاة كانوا يجلسون أمام حشد كبير من مختلف طبقات الناس ويأتي القراء فيقرأون بندبة وينشد قوم من الشعر غير شعراء السلطان(٢).

وعن هذه الفترة بالذات يحدثنا المقريزي(٣) ويصور لنا حال

---

(١) الهاشمي: هو علي بن الحسين الهاشمي الخطيب (١٣٢٨ ـ ١٣٩٦ هـ) ولد في النجف ودرس بها وسكن الكاظمية وتوفي بها، من أجلة الخطباء، له كتاب ثمرات الأعواد، تاريخ من دفن في العراق من الصحابة، ديوان شعر.

(٢) راجع ثمرات الأعواد: ٢/ ٢١٣.

(٣) المقريزي: هو أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني (٧٦٩ ـ ٨٤٥ هـ) مؤرخ محدث شارك في بعض العلوم، ولد وتوفي في القاهرة، حنفي المذهب، مؤلف قدير من مؤلفاته: المواعظ والاعتبار، درر العقود، مجمع الفوائد.

المنشدين والنائحين على الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في مصر حيث يقول: «وفي يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الأمر فيه على ما يجري في كل سنة من تعطيل الأسواق، وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة، ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد، ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان[1] سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد، وقال لهم: لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم إذا وقفتم على حوانيتهم ولا تكتسبوا بالنوح والنشيد، ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء»[2].

ويكشف لنا المقريزي في نصه هذا أمرين الأول: كثرة المنشدين، والثاني: اتخاذ الإنشاد مهنة.

هذا في مصر وشمال أفريقيا أما في العراق فكانت الخطابة الحسينية تتمثل بقراءة المقتل إلى جانب الإنشاد، وقد أشار إلى ذلك ابن الفوطي[3] بقوله: «وفي سنة ٦٤١ هـ تقدم

---

(١) عبد العزيز بن النعمان: هو عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن حيوة (٣٥٤ ـ ٤٠١ هـ) من علماء الإمامية في القاهرة، أصله من القيروان قتل غيلة.

(٢) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ٢٦٠ عن الخطط للمقريزي وتاريخ أبي الفداء.

(٣) ابن الفوطي: هو عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني الشيباني البغدادي (٦٤٢ ـ ٧٢٣ هـ) المروزي الأصل، مؤرخ فيلسوف ولد في بغداد وتوفي بها، أسر في واقعة التتار خلصه نصير الدين الطوسي، له من المصنفات: مجمع الآداب، درر الأصداف، تلقيح الأفهام.

المستعصم[1] إلى جمال الدين عبد الرحمان ابن الجوزي[2] المحتسب بمنع الناس من قراءة المقتل في يوم عاشوراء والإنشاد به من سائر المحال بجانبي بغداد، سوى مشهد موسى بن جعفر»[3].

وأضاف قائلاً: «وفي محرم سنة ٦٤٧ هـ تقدم المستعصم بمنع أهل الكوفة والمختارة من النياحة والإنشاد وقراءة مقتل الحسين خوفاً من تجاوز ذلك إلى ما يؤدي إلى وقوع الفتنة»[4].

يتضح مما قدمه ابن الفوطي موضوعان: الأول: إن قراءة المقتل من قبل الخطباء، والأشعار من قبل المنشدين كان أمراً متعارفاً وشائعاً، والثاني: إن هذا الأمر منع من قبل السلطات العباسية ومن هنا بدأت المرحلة الثالثة.

---

(١) المستعصم بالله: هو عبد الله ابن المستنصر بالله منصور بن الظاهر بأمر الله محمد العباسي (٦٤٠ ـ ٦٥٦ هـ) آخر من حكم من العباسيين في بغداد، قتله هولاكو بعد احتلال بغداد.

(٢) ابن الجوزي: هو عبد الرحمان بن علي بن محمد البكري الحنبلي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) ولد وتوفي في بغداد، اشتهر في التفسير والحديث، بلغت مصنفاته ثلاثمائة مصنفٍ منها: المدهش، الأذكياء وأخبارهم، والمنتظم.

(٣) الحوادث الجامعة: ١٨٣.

(٤) الحوادث الجامعة: ٢٤٨.

المرحلة الثالثة

تبدأ من أوائل القرن السابع الهجري وتنتهي في أواخر القرن التاسع الهجري وذلك حسب الظروف السياسية والأمنية، فقد سقطت في أواخر القرن السادس الهجري بعض الدول الموالية لأهل البيت عليهم السلام لتحل محلها دول تختلف اتجاهاً عنها، فاضطهد من خلالها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام من جهة، وظهرت حالة من الضمور في تراث أهل البيت عليهم السلام من جهة أخرىٰ، وفي ظلها ابتعدت المجالس الحسينية عن بلاط الملوك لتقام في بيوت الموالين هنا وهناك إلا في حالات استثنائية.

ومن الطبيعي لا يمكن فصل دراسة الخطابة الحسينية عن سائر الشعائر الحسينية حيث إن الخطابة جزء منها إلا أنها من أقدمها وأبرزها وهي الشعيرة الوحيدة التي لم تنقطع منذ أن أوجدها الإمام السجاد عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام إثر مقتل سيد الشهداء عليه السلام ، وللتفاصيل يراجع باب الشعائر[(١)].

وفي هذه الفترة الزمنية ظلت الخطابة الحسينية بين مدّ

---

(١) راجع فصل الخطابة، وفصل المجالس الحسينية، وفصل جغرافية الشعائر من باب الشعائر تاريخها ومقوماتها من هذه الموسوعة.

وجزر تبعاً لسياسة النظام الحاكم في هذه المنطقة أو تلك، ومن الطبيعي أن الخطابة لا تتطور في ظل هذه الظروف الخانقة التي لا يجد الخطيب مسرحاً للخطابة، فلذلك تحولت الخطابة شيئاً فشيئاً إلى مرحلة جديدة لم يكن الخطباء قد عرفوها في المرحلة السابقة، ولست مبالغاً إذا قلت إن هذه الظاهرة هي ظاهرة غير صحيّة وانتكاسة للخطابة حيث لم يعهد عدم قدرة الخطيب على الارتجال إلا في هذه المرحلة كما سنبين ذلك إن شاء الله.

ولكن الشيء الذي لا يمكن إنكاره أن الخطابة الحسينية في هذه المرحلة تطورت من ناحية أخرى وهي انها عقدت في بيوت الموالين وتوسعت رقعتها جغرافياً ويعد هذا أول عهدها بالبيوت، وفي مثل هذه الحالة كثر عدد الخطباء لتعدد المجالس وانتشارها ولم تتوقف إقامتها على بلاطات السلاطين أو الصروح العامة التابعة لهم، إلا أن الحضور لم يعد حضوراً جماهيرياً بل اقتصر على الأحبة والأهل لعامل الاضطهاد، وعندها قام جماعة من عامة الناس بأداء رسالة الخطابة، وبما أنها لم تكن مؤهلة ومن ذوي الاختصاص لذلك فإنها عمدت إلى أن تستل موضوعها في الخطابة من الكتب المتاحة لها وإلى إلقائها على المجتمعين في مثل تلك المجتمعات الصغيرة التي كانت تشكل عادة من الأهل والأقارب والأصدقاء والمعارف، وكان لعامل الخوف من الوقوع في الخطأ دور في رواج مثل هذا الأمر كما كان عامل الخوف من السلطات يأخذ المكانة الكبرىٰ في عدم التخصص بالخطابة، ولعل في هذه الفترة

بالذات اشتهرت كلمة المحدث، حيث كان الخطيب يحاول قراءة نصوص الأحاديث عن مصادرها ويطعمها حسب الظروف الأمنية بشيء من الأحاديث التي تروي السيرة الحسينية بشكل تراعي أن لا تغتاله الأيادي الأثيمة، ففي بغداد مثلاً منعت السلطات العباسية من إقامة المجالس الحسينية وقراءة الخطباء للمقتل الحسيني كما منعت المنشدين من الإنشاد على الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام كما صرح بذلك ابن الفوطي في حوادث عام ٦٤١ هـ ٦٤٧ هـ.

وقد حاول أمثال الشيخ ابن نما[1] عام ٦٤٥ هـ إلى وضع كتابه مثير الأحزان لتكون مادة خصبة للخطباء للفترة المظلمة التي كان يرىٰ بوادرها في الأفق العراقي على أقل تقدير.

ويرى شمس الدين[2] أن من وراء كتابة المقتل الحسيني حافزين الأول: الولاء العاطفي لأهل البيت عليهم السلام الناشىء من التقوى الدينية والثاني تلبية الحاجة الجماهيرية إلى مادة مكتوبة

---

(١) ابن نما: هو جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله الحلي (المتوفى عام ٦٨٠ هـ) من علماء الإمامية وكثيراً ما يخلط بجده محمد بن جعفر المتوفىٰ عام ٦٤٥ هـ، له كتاب مثير الأحزان، وقرة العين في أخذ ثأر الحسين.

(٢) شمس الدين: هو محمد مهدي بن عبد الكريم العاملي ولد عام ١٣٥٣ هـ تولى رئاسة المجلس الشيعي الأعلى في بيروت عام ١٤١٤ هـ، من علماء الإمامية له كتاب: عهد الأشتر، عاشوراء، العلمانية، وغيرها. ولا يخفىٰ أن سماحته توفي بعد طباعة معجم الخطباء في بيروت. المعلق.

مبرمجة لمقتل الحسين لاستخدامها في التجمعات والمجالس التي تعقد لاحياء المأتم الحسيني، ويشير إلى ما نص عليه ابن نما في مقدمة كتابه[١]: «فوضعت هذا المقتل متوسطاً بين المقاتل ترتاح القلوب إلى عذوبة ألفاظه، ويوقظ الراقد من نومه واغماضه، وينبّه الغافل عن هذا المصاب، والذاهل عن الجزع والاكتئاب، فإن كنتم أيها السامعون قد فاتكم شرف تلك النصرة، وحرمتم مصادمة خيول تلك الكسرة، فلم تفتكم إرسال العبرة، على السادة من العترة، ولبس سفار الأحزان على الأسرة»[٢].

وفيه تصريح إلى أنه وضعه للقراءة من على المنابر الحسينية حيث قال: «أيها السامعون» وإلا فكان عليه أن يقول: «أيها القارئون» مضافاً إلى أن منهجيته وتبويبه للكتاب يدلان على ذلك أيضاً.

وفي الحقيقة فإن كتابة المقاتل جاءت كضرورة عن الفراغ الذي بدا واضحاً في الخطابة الحسينية، ويرىٰ شمس الدين من خلال بحثه عن المأتم أن تطور الخطابة تكامل بالشعر والنثر فيقول: «إننا نقدر أن المأتم بدأ حواراً ثم غدا قصة تروى أو قصيدة تنشد، ثم غدا نصا مكتوباً ـ المقتل ـ ثم بدأت تنشأ صيغة يتكامل فيها الشعر والنثر، وغدا المأتم مزيجاً منهما معاً، النثر يحكي قصة المأساة بروح تاريخية فضائلية وبقدر محدود من

---

(١) راجع ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ٢٥١.

(٢) مثير الأحزان: ٦.

التعبيرات العاطفية، والشعر يلون القصة ويضفي عليها طابعاً فنياً مأساوياً حزيناً».

ويضيف قائلاً: «ولا نقول إن الخطيب الحسيني الذي نعرفه الآن كان قد وجد في نهاية الدور الأول وإنما نقول إن سلف هذا الخطيب كان قد بدأ يتكون في نهاية هذا الدور يتمثل بقاصٍّ يحلّي قصصه بقطع من الشعر، أو منشد يعقب على إنشاده بذكر بعض القصص والفضائل، أو يمهد لإنشاده بذلك»[1].

ويظهر من العدد الهائل من المقاتل التي بحوزتنا أو استحصلنا معلومات عنها والتي بلغت لدينا لحد الآن حوالى ١٢٠ مصنفاً تحمل عنوان المقتل ويعادلها عدد من المصنفات التي هي في الحقيقة مقاتل إلا انها حملت عناوين أخرى كاللهوف[2] ومثير الأحزان[3] وأسرار الشهادة[4] ورياض

---

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ٢٦٩.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ويسمىٰ الملهوف للسيد علي بن موسىٰ بن محمد ابن طاوس الحسني الحسيني المتوفىٰ عام ٦٦٤ هـ، ويقع في ثلاثة مسالك: الأول في الأمور المتقدمة على المعركة، الثاني في وصف المعركة، الثالث في المتأخرة عن المعركة.

(٣) مثير الأحزان: للشيخ ابن نما تقدمت ترجمته، وهو يقع في مقاصد ثلاثة: الأول تفصيل عما سبق معركة الطف الحزينة، الثاني: في وصف المعركة، الثالث في الأمور اللاحقة للمعركة.

(٤) أسرار الشهادة: للشيخ آغا بن عابد بن رمضان بن زاهد الدربندي الحائري، من أعلام القرن الثالث عشر الهجري، وزع كتابه على إحدى عشرة مقدمة وأربعة وأربعين مجلساً، وزعه على شكل موضوعي، فرغ

المصائب[1] ومصائب المعصومين[2]، والمنتخب[3] ومقرح القلوب[4] وأمثالها والتي جميعها ألفت لترسم للخطباء منهجية الخطابة الحسينية وصيغت على شكل المجالس، ومن دراسة نصوص هذه المقاتل يظهر لنا التطور الخطابي ومراحله من منظارين الفني والموضوعي، فالأول والذي يمكن أن يعبر عنه بالأسلوب الخطابي (التمهيد والموضوع والنهاية) مثلاً والثاني في تنويع موضوع الخطابة وتطورها في هذا الاتجاه، فمن مسائل السيرة والفضائل والاضطهاد والمآسي إلى مسائل العقيدة والفلسفة والحكمة إلى المسائل العلمية والسياسية والاجتماعية.

وهذا الجانب يحتاج بحد ذاته إلى دراسة شاملة وخاصة

= منه عام ١٢٧٢ هـ، وهو من النوع التحليلي.

(١) رياض المصائب: هو للسيد محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التنكابني المتوفى قبيل عام ١٢٩٥ هـ، وهو في خمسة فصول، الخامس منه في ذكر ما ألم بالإمام الحسين عليه السلام من قبل المعركة وفي يوم عاشوراء وما حل بأهله بعد الشهادة وهو مقسم على روضات.

(٢) مصائب المعصومين: للشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي، من علماء القرن الثالث عشر الهجري، يحتوي على ٦٢ مجلساً فرغ منه عام ١٢٤١ هـ، يبدأ كل مجلس بآية من القرآن ثم يتعرض لتفسيرها ثم يذكر الروايات والقصص التي تثير الجانب المأساوي ثم يردفه بشعر الرثاء.

(٣) المنتخب: للشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي الأسدي المتوفى عام ١٠٨٥ هـ، يقع في جزأين كل جزء مقسم على عشرة مجالس، خصص لكل ليلة من ليالي العشر من محرم مجلساً.

(٤) مقرح القلوب: للشيخ محمد بن حسين بو خمسين الاحسائي المتوفى عام ١٣١٦هـ.

تناقش فيها تلك النصوص الخطابية ومراحل تطويرها والدوافع لها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن في هذا العصر بفضل التقدم العلمي قام بعض الخطباء بتحرير خطاباتهم من التسجيلات الصوتية وطباعتها مما يمكن هو الآخر أن يساهم في دراسة مادة التطوير[1].

---

(١) في هذه الفترة الأخيرة وبالأخص بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني الراحل قدس سره بدأ الاهتمام بدراسة حركة التشيع بشكل خاص، لاسيما دور الخطابة والخطباء وفاعليتهم في المجتمعات، إذ بدا واضحاً أن الخطاب العاشورائي كان له الأثر الفاعل في توعية الأمة، ومن هنا نجد أن المؤسسات الغربية أخذت تدرس هذا العنصر الحيوي في المجتمعات الإسلامية بشكل جدّي، كما أن المعاهد الإسلامية هي الأخرى أخذت بدراسة دور الخطباء والخطب، وبالأخص العاشورائية في تطوير حركة الفكر الإسلامي منذ تأسيسها وإلى تاريخها المعاصر مروراً بمراحلها والوقوف على محطات منها ـ المعد.

المرحلة الرابعة

تبدأ بأوائل القرن العاشر الهجري أو قبله بقليل وتنتهي تقريباً في القرن الثالث عشر الهجري.

وفي هذه المرحلة شعر عدد من الخطباء والكتّاب بالنقص الذي ظهر في تأدية الخطيب دوره كما يجب حيث لم يجد الخطباء مرتعاً خصباً خلال ثلاثة قرون ـ التي سبقت هذه المرحلة ـ لتربية خطباء جدد قادرين على اداء المسؤولية بسبب الظروف الأمنية والسياسية، بينما سارعت فكرة عقد المجالس الحسينية في الانتشار بشكل غريب ولعله كان من بين العوامل الكثيرة المعنوية منها والمادية عامل رد الفعل، فعمدت مجموعة من الخطباء والمؤلفين إلى وضع بعض المؤلفات لتلبية هذه الحاجة، فقام الشيخ الكاشفي[1] المتوفى عام ٩١٠ هـ بوضع كتابه روضة الشهداء باللغة الفارسية، بينما قام الشيخ فخر الدين الطريحي[2]

---

(١) الكاشفي: هو حسين بن علي البيهقي السبزواري الهروي، المتوفى عام ٩١٠ هـ بهراة، أديب صوفي، شاعر، فقيه، محدث، مفسر، منجم، له من المؤلفات: روضة الصفا، لوامع الشمس، رشحات عين الحياة.

(٢) فخر الدين الطريحي: هو ابن محمد علي (٩٧٩ ـ ١٠٨٥ هـ) ينتهي نسبه إلى حبيب بن مظاهر الأسدي، من علماء الإمامية، ولد وتوفي في النجف، له تفسير غريب القرآن، مجمع البحرين، جواهر المطالب.

المتوفى عام ١٠٨٥ هـ بوضع كتابه المنتخب إلى جانب أخيه الشيخ عبد الوهاب الطريحي[١] المتوفى أواخر القرن ١١ هـ والذي وضع هو الآخر كتاباً أيضاً باسم المنتخب لرواج الأول، كما ترجم كتاب روضة الشهداء إلى التركية والألبانية والأردوية[٢] للغرض ذاته.

وقد روعي في وضع هذه الكتب أن تجمع بين النثر والشعر والسيرة والوعظ، ورتبت على شكل مجالس ليتمكن الخطيب من قراءتها على المنابر مباشرة، وأصبحت نسخ هذه الكتب متوفرة لدى الناس، فكان كل من يريد إقامة المجالس يدعو عدداً من أصدقائه وأقاربه ويدعو من يجيد القراءة والنوح، للقراءة من هذه الكتب كل حسب لغته، وعلى اثره سمي القارىء «روضة خوان» أي قارىء الروضة (روضة الشهداء) بينما سمي الذي يقرأ المنتخب بالفخري نسبة إلى فخر الدين الطريحي وهكذا، وكثيراً ما كان يقرأ كتاب مثير الأحزان قبل كتاب المنتخب بعد أن كان يقرأ الأول مستقلاً[٣].

ومن هذه الظاهرة تولد الأسلوب التالي للخطابة فكان الخطيب يبدأ بخطبة صغيرة جداً ثم ينشد بعض الأبيات في رثاء

---

(١) عبد الوهاب الطريحي: هو ابن محمد علي بن أحمد المسلمي أخو الشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى عام ١٠٨٥ هـ كان حياً حتى عام ١٠٧٦ هـ حيث فرغ من كتابه المنتخب (لعبد الوهاب الطريحي) سكن الحلة، كان من الأدباء الشعراء.

(٢) راجع معجم المصنفات الحسينية من هذه الموسوعة.

(٣) راجع باب المصطلحات (قاموس النهضة الحسينية) من هذه الموسوعة.

الإمام الحسين عليه السلام ومن ثم يبدأ بتلاوة بعض الأحاديث الشريفة في فضائل أهل البيت عليهم السلام ومثالب أعدائهم ويطعّمها ببعض الأبيات من المناقب والمثالب ثم يقرأ جزءاً من السيرة الحسينية ويختمها بقصيدة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

وظل هذا النوع من الخطابة إلى جانب نوع آخر اتسم بالوعظ والإرشاد، وعرف الخطيب بالمحدث وتارة بالواعظ وأخرى بالمرشد، إلى منتصف القرن الرابع أو أكثر منه بقليل.

هذا وقد وضع على غرار تلك الكتب وهذا الأسلوب عدد من المصنفات إلى يومنا هذا، وممن كتب على هذا الأسلوب في القرن الثالث عشر الهجري السيد محمد مهدي التنكابني[(١)] فقد وضع كتاب رياض المصائب والذي فرغ منه عام ١٢٤٣ هـ.

وفي أواسط القرن الثالث عشر الهجري تطورت الخطابة الحسينية بفضل الخطيب الألمعي الشهير السيد حسين آل طعمة الحائري المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ حيث نقل الخطابة الحسينية في قسم المراثي والسيرة الحسينية منها من القراءة عن كتاب روضة الشهداء للشيخ الكاشفي[(٢)] إلى القراءة عن ظهر قلب[(٣)]، فكان

---

(١) التنكابني: هو محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي المتوفى قبل عام ١٢٩٥ هـ من علماء الإمامية، له من المصنفات: خلاصة الأخبار، التحرير في شرح ديوان الأمير، رياض المصائب.

(٢) روضة الشهداء للشيخ حسين الكاشفي البيهقي المتوفى حوالى عام ٩١٠ هـ.

(٣) يقسم كُرمنن الفرنسي (١٢٠٢ ـ ١٢٨٥ هـ) = (١٧٨٨ ـ ١٨٦٨ م) الخطباء إلى أربعة أقسام: ١ ـ من يحرر خطبته ويقرأها من على ما حرره، ٢ ـ من يحرر خطبته ويحفظها. ٣ ـ من لا يحرر خطبته ويرتجل، =

حافظاً لكتاب الروضة كله وبذلك أحدث تطوراً تبعه آخرون في ذلك: منهم معاصره الخطيب السيد هاشم الفائزي الحائري المتوفىٰ سنة ١٢٧٠ هـ أيضاً. ولمزيد الإطلاع يراجع ترجمة السيد حسين آل طعمة في باب معجم الخطباء من الموسوعة(١).

ونكتفي بهذا الموجز لهذه المرحلة(٢) تاركين التفاصيل إلى محلها(٣).

= ٤ ـ من ينظم فكرة الخطبة ويخطبها ارتجالاً، ويرىٰ أن أضعفها أولاها وأفضلها الأخيرة ـ راجع آداب سخن ٣٤٨ عن كتاب Vicomtes Timos.

(١) راجع أدب الطف: ٩/ ٧٦.

(٢) لا شك أن هذه المرحلة تركت للخطباء مادة دسمة للخطابة، كما رسمت لهم منهجية الخطابة، وهذا الدور لا يمكن أن ينكره خطباء ما بعد هذه المرحلة وبالأخص بعد انتشار الكتب التي ألّفت في هذه المرحلة ـ المعد.

(٣) راجع باب الشعائر الحسينية تاريخها ومقوماتها من هذه الموسوعة.

المرحلة الخامسة

تبدأ هذه المرحلة بنهاية المرحلة السابقة أي بحدود منتصف القرن الثالث عشر الهجري وتنتهي بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

ففي القرن الثالث عشر الهجري برز عدد من الخطباء العظام ممن كان لهم الدور الأكبر في تطوير الخطابة، وعندها جاءت النقلة النوعية التي انقذت المؤسسة الخطابية من الانهيار أمام تطور الوسائل الإعلامية الأخرىٰ في ظل ظروف اجتماعية صعبة كانت تعصف بالبلاد الإسلامية حيث كان الغرب يتربص بالمسلمين الدوائر وكان حكام المسلمين يحاولون تضييق الدائرة على اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فبدأ الخطيب يفكر بجد عن مسؤوليته تجاه ما تتعرض له الأمة من ويلات، فقامت ثلة من مفكريهم بعرض جديد للخطابة يتناسب والحالة الاجتماعية القائمة، فبدأت تناقش المسائل الاجتماعية والسياسية، والفكرية من على المنابر الحسينية وأصبح المنبر الحسيني مدرسة فكرية تعالج الأفكار المستوردة والمطروحة على الساحة بشكل مستدل وعلى كل المستويات، وكان للعلماء الاعلام الدور الأكبر في حث الخطباء على ذلك، فالمرجعية الشيعية كانت تربي عدداً من

الخطباء لتقوم بواجبها تجاه الممارسات اللاإنسانية من قبل الدولة العثمانية من جهة والمحاولات الالحادية من قبل الدول الغربية من جهة أخرى، فكان الخطيب يأخذ توجيهاته من المرجعية العليا لمواجهة التيارات المعادية للإسلام وينطق عن لسان المرجعية ويقاوم الأفكار المنحرفة والمستوردة، وكان للخطباء الدور البارز في ثورة العشرين في العراق ومقاومة الاحتلال البريطاني حيث كان قائد الثورة الشيخ الشيرازي[1] يقوم بإرسالهم إلى المدن العراقية بغرض توجيه الناس وتوعيتهم للتصدي والوقوف أمام الزحف الأجنبي.

كما كان للخطباء دور واضح في الوقوف أمام بعض المعاهدات التي ابرمت في استامبول وطهران، ولهذه المسائل تفاصيل أوردناها في محلها[2].

ومن جهة أخرىٰ فقد قام بعض الخطباء في هذه الفترة بتطوير الخطابة من الناحية الفنية أيضاً لتتناسب مع دورها

---

(١) الشيرازي: هو محمد تقي بن محب علي الشيرازي (١٢٥٦ ـ ١٣٣٨ هـ)، من علماء الإمامية البارزين، تصدى لمقاومة الاستعمار البريطاني في العراق، وقد انضوت تحت لوائه كافة طبقات المجتمع من رجال الدين والمثقفين ومختلف طبقات الشعب، وذلك عندما قاد ثورة العشرين، ولد في شيراز وتوفي في كربلاء من مصنفاته: شرح المكاسب، شرح المنظومة، القصائد الفاخرة.

(٢) راجع فصل الحركة السياسية من أضواء على مدينة الحسين، وفصل دور الشعائر الحسينية في المقاومة من باب الشعائر الحسينية تاريخها ومقوماتها من هذه الموسوعة.

الرسالي العظيم وتكون أقرب إلى قلوب الجماهير.

وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري جاء الخطيب الشيخ كاظم السبتي المتوفىٰ سنة ١٣٤٢ هـ وطور الخطابة الحسينية ونقلها من مرحلتها القديمة التي كانت تقتصر على القراءة من كتاب روضة الشهداء للكاشفي والتي كانت لا تتعدىٰ مسألة الحسين عليه السلام ورثائه إلا بعض الوعظ والإرشاد لرواية سيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة وحفظ خطب الإمام أمير المؤمنين[١]، فكان انفتاحاً آخر في المنبر الحسيني فتبعه أقرانه[٢].

ويرى البعض أنه أحدث فن الربط بين الموضوع الذي يبدأ به الخطيب وبين المراثي الحسينية والمسمىٰ بالكَريز، وللمزيد من الاطلاع تراجع ترجمته في معجم الخطباء من هذه الموسوعة وقاموس النهضة الحسينية أيضاً.

ويذكر أن الملا أحمد الرمل[٣] (١٣٠٧ ـ ١٣٧٩ هـ) والذي هو من مدرسة هذه المرحلة أنه هو الآخر كان قد حفظ خطب نهج البلاغة وكان يبدأ مجالسه بخطب أمير المؤمنين عليه السلام ويشفعها بسيرة أهل البيت عليهم السلام والمسائل التاريخية ثم ينتقل إلى ذكر المصاب الذي يريد التحدث عنه ضمن تسلسل هرمي لطيف

---

(١) راجع أدب الطف: ٩/ ٧٦.

(٢) مجلة رسالة الحسين العدد: ١/ ١٨٦.

(٣) أحمد الرمل: هو ابن محمد، ستأتي ترجمته في هذه الجزء.

مما يهيىء النفوس للرثاء مستخدماً طوره الموهوب في التأثير على الجماهير[1].

وفي خطوة تقدمية شيد في هذه المرحلة الزمنية عدد من المعاهد والمدارس لإعداد الخطباء حيث لاحظ العلماء ضرورة تنظيم أمرها ومن ذلك مدرسة الواعظين في مدينه لكهنو الهندية والتي أسسها السيد نجم الحسن[2] بمؤازرة الراجة محمود آباد[3] عام ١٣٣٨ هـ، وهي مدرسة فخمة زرتها عام ١٤٠٠ هـ فوجدت فيها صالة كبيرة للغاية تحتوي على مكتبة عظيمة إلا أن قسماً منها قد دفن تحت الانقاض، وجرت هناك محاولات لتجديد بنائها عبر أحد الأصدقاء وكانت لي مساهمة متواضعة في إعادة بنائها وذلك عندما عدت لزيارة الكويت، ومن لواحق هذه المدرسة مطبعة

---

(١) هذا الأسلوب والعرض لازالا يعدّان من ثوابت المدرسة الخطابية عند خطباء المنبر الحسيني في كل الأقاليم والأقطار ـ المعد.

(٢) نجم الحسن: هو ابن أكبر حسين الرضوي والملقب بنجم العلماء (١٢٧٩ ـ ١٣٥٧ هـ) كان من العلماء الأفاضل والأدباء الشعراء، والمؤلفين المدرسين، أسس بالإضافة إلى مدرسة الواعظين المدرسة الناظمية عام ١٣٠٨هـ، من مؤلفاته: المحاسن، سرادق عفت، ديوان شعره (عربي).

(٣) محمود آباد: كان الراجة من كبار الشخصيات المرتبطة بسلاطين أوده (١١٣٤ ـ ١٢٧٢ هـ) وكان الراجة من الملاّكين الأثرياء ومن أهل الفضل، تولى إدارة مدرسة الواعظين، وكان يشرف على طبع الكتب التي تصدرها جمعية مؤيد العلم التي كان مركزها في مدرسة الواعظين.

أسست لأجل إصدار مجلة الواعظ ومجلة مسلم ريويو[1].

وعلى غرارها شيدت مدرسة الواعظين في مدينة كراچي الپاكستانية والتي تسمىٰ أيضاً «جامعة الإمامية» وذلك عام ١٣٦٩ هـ بهمة السيد ظفر حسن النقوي[2] وقد تخرج منها عدد من الخطباء، ولا زالت قائمة حتى اليوم[3].

وفي لاهور قام السيد مرتضىٰ حسين[4] والشيخ يوسف حسين[5] بعمل مماثل حيث شيدا مدرسة الواعظين وذلك عام ١٣٧٠ هـ وكان الغرض من هذه المدارس هو إعداد الخطباء والوعاظ والمبلغين وارسالهم إلى أطراف البلاد[6]، وقد زرت

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ١٢/ ٢٨٥، مطلع أنوار: ٦٧٦.

(٢) ظفر حسن: هو ابن دلشاد حسين الأمروهي (١٣٠٨ ـ أواخر قرن ١٤ هـ) كان من العلماء العاملين، والخطباء الوعاظ، والأدباء المترجمين حيث ترجم كتاب الكافي، وكتاب جامع الأخبار، وكتاب المناقب لابن شهرآشوب، وغيرها.

(٣) تذكره علماء إمامية: ١٦٧، تذكرة علماي اماميه باكستان: ١٤٧.

(٤) مرتضىٰ حسين: هو ابن سردار حسين اللكهنوي (١٣٤١ ـ ١٤٠٧ هـ) ولد في لكهنو ودرس فيها وبعدها انتقل إلى باكستان، كان من المؤلفين الأفاضل حيث بلغت مؤلفاته الثلاثين بل جاوزت ذلك، منها: تذكرة رياض الفردوس، گلستان حكمت، مطلع أنوار.

(٥) يوسف حسين: هو ابن نادر حسين اللكهنوي (١٣١٩ ـ ١٤٠٨ هـ) والذي كان من العلماء الأفاضل، والخطباء الوعاظ والمدرسين المؤلفين، من مؤلفاته: العقد، إثبات الإعجاز، جنگ أحد.

(٦) تذكرة علماء امامية: ٣٣٧ و٣٧٢، تذكره علماي إماميه باكستان: ٣٤٧ و٣٩٣.

المدرستين أثناء رحلتي إلى تلك البلاد عام ١٤٠٠هـ فكانت عامرة.

وفي كل حاضرة من حواضر العلم التابعة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام نجد أن عدداً من الخطباء بل العلماء اهتموا بتربية جيل من الخطباء في مجالهم الخاص ولكن سنجد في كل من كربلاء والنجف قد أُنشئت لهذه الغاية في المرحلة القادمة مدارس من شأنها تخريج الخطباء والمبلغين، وحتىٰ لا ينقطع التسلسل الموضوعي نذكرهما هنا.

ففي كربلاء قام السيد محمد الشيرازي[(١)] بتأسيس مدرسة الكتاب والعترة عام ١٣٨١ هـ وذلك بإشراف السيد مرتضى القزويني[(٢)] والهدف منها اعداد الخطباء والمبلغين لحاجة المنطقة إلى ذلك[(٣)].

---

(١) الشيرازي: هو محمد بن مهدي بن حبيب الحسيني المولود في النجف عام ١٣٤٧هـ، نشأ ودرس في كربلاء، من أعلام الإمامية ومراجعها، تشرفت بالتتلمذ عليه، له مؤلفات جمّة من أهمها: موسوعة «الفقه»، الوصول إلى كفاية الأصول، وتقريب القرآن.

(٢) مرتضى القزويني: هو ابن محمد صادق الموسوي الحائري ولد عام ١٣٤٩هـ وهو من العلماء الأفاضل، والأدباء الشعراء، والخطباء المتكلمين، تشرفت بالتتلمذ عليه، يسكن الآن في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، وله عدد من المؤسسات الاجتماعية والثقافية، من مؤلفاته: السير إلى الله، نظام الزواج والاسرة، العقل.

(٣) راجع العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل: ٤٨٤.

وأما في النجف فقد جرت محاولة على الطريق الصحيح لفتح معهد للخطابة وذلك على عهد السيد أبو الحسن الأصفهاني المتوفىٰ عام ١٣٦٥ هـ[١] حيث قام الشيخ محمد رضا المظفر[٢] بمؤازرة الشيخ محمد شيخ الشريعة[٣] بانشاء معهد تحت عنوان «معهد الخطابة» وأسندوا أمره إلى الشيخ محمد علي القسام[٤] إلا أن جماعة الرابطة الأدبية التي كان يترأسها الشيخ محمد علي اليعقوبي[٥] استنكروا عليهم ذلك بحجج غير مقنعة

---

(١) وذلك ما بين عام ١٣٦٠ ـ ١٣٦٤ هـ.

(٢) محمد رضا المظفر: هو ابن محمد بن عبد الله (١٣٢٢ ـ نحو ١٣٩٠ هـ) من العلماء الفضلاء والأدباء الشعراء والمؤلفين المجيدين، من تأليفاته: المنطق، أصول الفقه، عقائد الشيعة، تولى عمادة منتدى النشر في النجف.

(٣) محمد شيخ الشريعة: هو ابن فتح الله الأصفهاني (١٣٢٢ ـ ١٣٩٨ هـ) ولد في أصفهان ودرس في النجف، سكن كراچي بعد الصراع الذي حدث في النجف بين المجددين والتقليديين، حيث كان هو والمظفر من الفئة الأولى، كان عالماً فاضلاً، وأديباً جريئاً يمتلك ذكاءً حاداً.

(٤) محمد علي القسام: هو ابن محمد ـ حمود ـ بن خليل (١٢٩٠ ـ ١٣٧٣ هـ) من كبار الخطباء الحسينيين ومن الأدباء الشعراء والمؤلفين البارعين، له كتاب نفائس المجالس، أسنى التحف، كانت له مساهمات في ثورة العشرين.

(٥) محمد علي اليعقوبي: هو ابن يعقوب (١٣١٣ ـ ١٣٨٨ هـ) من الخطباء المفوهين، والأدباء الشعراء والمؤلفين الأجلاء، ولد في النجف وتوفي بها، من آثاره: المقصورة العلمية، مقتل الإمام علي عليه السلام، البابليات، عمل عميداً لجمعية الرابطة الأدبية أكثر من ثلاثين عاماً.

فكانت حصيلة ذلك أن المعهد لم ير النور لأكثر من أسبوع واحد[(١)][(٢)].

---

(١) نقلاً عن الشيخ محمد شيخ الشريعة في بيروت عندما كان في ضيافتنا عام ١٣٩٥هـ، والدكتور السيد محمد بحر العلوم في لندن، أيضاً راجع هكذا عرفتهم: ٢/ ٢٤، وفيه انه خرجت تظاهرة صاخبة لمنع فتح المعهد.

(٢) ولأهمية هذه المؤسسة الخطابية نجد أن حركة جديدة نشأت في جل الأقطار الإسلامية لتنشيط وتطوير دور الخطيب الحسيني، ومن هنا أخذت المؤسسات في هذا الشأن تتكاثر مما يدلّ على وعي المسؤولين في وضع المنبر الحسيني في الاتجاه الصحيح وهو دليل العافية والحيوية ـ المعد.

المرحلة السادسة

تبدأ بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري حيث الحقبة الزمنية التي بدأ فيها المستعمرون بالجلاء عن الوطن الإسلامي بشكل عام وبدأ معه عهد الاستقلال والذي آل إلى تمزيق الوطن الإسلامي إلى دويلات صغيرة من السهل التلاعب بمقدراتها وشؤونها وقد تلقفوها تلقف الكرة كما أوصى أبو سفيان بني أمية عندما تولى عثمان الحكم عام ٢٣ هـ[1] وما رحل الأجنبي عن بلادنا إلا بعد أن غرس فيها الحقد والكراهية بين شعوبها بسبب تلك الثقافات المختلفة التي أملوها على الشعب المسلم، وقد ترك المستعمرون بظلال لغاتهم على لغتنا، فدرجت كلمات من لغتهم في لغة وحدتنا مما زاد في الطين بلة وفي الطنبور نغمة، فأصبح الشعب العربي الواحد لا يمكنه التفاهم فيما بينه لغة وثقافة، وأصبح الشعب المسلم الذي كان يجوب دنيا الإسلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً منقسماً على نفسه ومسجوناً في إطار الحدود التي رسمت له من هنا وهناك، وفي ظل الممارسات

---

(١) عثمان: هو ابن عفان الأموي (٤٧ ق. هـ - ٣٥ هـ)، تولى الأمر بعد عمر بن الخطاب، أسلم على يد أبي بكر، قرب الأمويين وولاهم أمور البلاد، قتله المسلمون إثر سوء تصرفه في أموال الدولة.

القومية والنعرات الطائفية التي خلفها الأجنبي المستعمر ظل المسلم يعيش حالة الصراع وفقد معه لغة الحوار والتفاهم بسبب الهوة العميقة التي تركها المستعمر خلال حكمه بين أبناء الشعب الواحد في اللغة والثقافة، بينما كانت الأقوام كلها تتفاهم بلغة القرآن إلى جانب لغتها بكل فخر واعتزاز. كما كانوا يمارسون بشكل عام طقوساً واحدة، وحدتها صبغة الإسلام.

وفي ظل هذه الظروف كان لا بد للخطيب في أي نقطة من العالم الإسلامي أن يقاوم تلك المفاهيم اللاإسلامية التي خلفها الأجنبي المستعمر بين أبناء الشعب المسلم الواحد من خلال عمله الدؤوب على تغيير ثقافة المسلمين أيام احتلاله لبلادنا، ولذلك فمن الطبيعي أن يطور الخطيب نفسه ويطور أسلوبه بما يناسب هذه المرحلة في ظل ما تمليه عليه مسؤوليته الشرعية.

ومن خطباء هذا العصر السيد صالح الحلي[١] المتوفىٰ عام ١٣٥٩ هـ والذي كان يحرض الجماهير على النفير العام في ثورة العشرين واستخدم مجالسه لهذا الغرض، والشيخ محمد مهدي البصير[٢] المتوفىٰ عام ١٣٩٤ هـ والذي كان عبر خطاباته يحث الناس على القيام بالحركة الوطنية في بغداد، وقد سجن على اثره ونفي في سبيل ذلك[٣]، والشيخ محمد علي القسام المتوفى عام ١٣٧٣هـ الذي استخدم المنبر الحسيني وواقعة الطف كسلاح ضد

---

(١) الحلي: سنأتي على ترجمته.

(٢) البصير: سنأتي على ترجمته حيث كان خطيباً حسينياً ثم ترك.

(٣) مستدرك أعيان الشيعة: ١/ ٢١٤.

المستعمر الغاشم وانطلق يزغرد في أجواء الجماهير يدفعهم إلى ساحات الوغى بخطبه الحماسية(١)، والشيخ محسن أبو الحب الصغير(٢) المتوفى عام ١٣٦٩هـ الذي وصف بأنه كان خطيب الثورة العراقية الكبرى الأول الذي ألهبت خطبه حماس الجماهير وأثارت عواطفهم الهائجة وزعزعت كيان الاستعمار البغيض(٣).

ولمعرفة المزيد في هذا الاتجاه لا بد من مراجعة أحداث ثورة العشرين في العراق والحركة الدستورية في إيران(٤) ليتضح دور الخطباء في هذا المجال(٥).

وفي هذه المرحلة بل منذ بداية المرحلة السابقة بدأت الخطابة الحسينية تتجه نحو العمق الفكري والممارسة السياسية كما كانت على عهدها الأول في مرحلة الإنشاء.

وأما الشيخ أحمد الكافي(٦) (١٣٥٠ ـ ١٣٩٨ هـ) فهو من الخطباء الإيرانيين الذي خلق من المنبر حالة من الولاء والتعلق بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه باعتباره الإمام الحي

---

(١) شعراء الغري: ١٠/ ٥٠.

(٢) محسن أبو الحب الصغير: هو ابن محمد حسن بن محسن أبو الحب الكبير، ولد عام ١٣٠٥هـ في كربلاء، سنأتي على ترجمته في هذا المعجم.

(٣) ديوان أبو الحب: ١١ عن الثورة العراقية الكبرى: ٨٧.

(٤) راجع كتاب منبريك رسانهٔ عمومى عمو من در إسلام: ٥٧.

(٥) راجع فصل ثورة العشرين وفصل الحركة الدستورية من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

(٦) أحمد الكافي: هو ابن محمد، ستأتي ترجمته في هذا الجزء.

والمسؤول عن أمر العباد، فإنه كان ينقل نصوصاً لها ارتباط بالإمام المهدي عليه السلام من دعاء الندبة أو غيرها ويمهد لموضوعه الذي يريد بحثه، وأخذت مجالسه رواجاً واسعاً في إيران قلما يخلو شريطه المسجل في بيت من بيوت الموالين لأهل البيت عليهم السلام في إيران، وقد استخدم أسلوبه الخاص المشجي والمستنهض للإمام الحجة عليه السلام مما زاد محاضراته حيوية، فكان الناس يؤمون مجالسه من مسافات بعيدة، مما قد يلجئه إلى قراءة دعاء الندبة يوم الجمعة في خارج البلد وعند الفجر، ومع هذا فكانت مجالسه مكتظة بالمؤمنين.

ويذكر أن الشيخ الكافي انما اتخذ هذا الاسلوب كحربة سياسية ضد النظام الإيراني الذي كان قد فتح المجال للفئات المناهضة للإسلام من التحرك داخل إيران كالبهائية والشيوعية والعلمانية بينما ضيق الخناق على الإسلاميين.

اسلوب الخطابة الحديثة:

جرت العادة في هذه الأيام عند مجمل الخطباء الحسينيين بشتى اللغات واللهجات أنهم يقسمون الخطبة إلى ثلاثة أقسام: المقدمة، العرض، الخاتمة، والأخير قد يسمىٰ بالگريز[1].

فالمقدمة عادة تمهد المستمع للعرض حيث يقوم الخطيب بسرد بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأبيات الشعرية التي لها مناسبة لما يريد عرضه على الجماهير المجتمعة وعادة

---

(١) راجع باب المصطلحات من الموسوعة.

تكون فترة المقدمة قصيرة يتلو الخطيب المقدمة عادة بلحن خاص أخذه من أستاذه أو استقل بتفننه.

والعرض: هو طرح موضوع، أي موضوع يراه الخطيب من الضروري اثارته سواء أكان تاريخياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو علمياً أو ما إلى ذلك[1] له ارتباط بالمقدمة، فهنا تكمن قدرة الخطيب على بيان وصياغة الموضوع الذي يريد طرحه مراعياً في ذلك الاسلوب المقنع للمستمع، وهذا القسم هو الهدف الرئيسي في المنبر الحسيني بل لأجله جاءت الخطابة الحسينية والذي يمكن أن يعبر عنه بالمدرسة السيارة التي أخذت على عاتقها تعليم الأجيال وإرشادهم عبر هذا المنبر الحر، فيعتبر الخطيب ناجحاً إذا ما أبدع في هذا القسم وتمكن من السيطرة على القلوب وإيصال الهدف المنشود من طرحه للموضوع.

ثم يأتي دور الخاتمة فينتقل الخطيب بجدارة من العرض إلى لمعة من سيرة الإمام الحسين عليه السلام بما يناسب العرض، فالخطيب الألمعي هو الذي يتمكن من ربط العرض بسيرة الإمام الحسين عليه السلام الغنية بكل النواحي الاجتماعية والعلمية وغيرهما وتطبيقها على الحياة اليومية.

وهذا الربط بالذات يصطلح فيما بينهم بالگريز وعندها

---

(١) كالعقيدة والأخلاق.

تسكب العبرات حيث يطعّمها الخطيب بأبيات شعرية بالمناسبة سواء بالدارجة أو الفصحىٰ ليليّن القلوب حتىٰ القاسية منها فينهمل الدمع وترتفع الشهقة، فإذا حمي الوطيس قطع الخطيب بكاء الجماهير وشهقاتهم بقوله: نسألك اللّهم وندعوك. ويتوقف عن الكلام هنيئة لتلتقط الجماهير أنفاسها وتكفكف دموعها وتستعد لقول آمين، حيث إن الخطيب يقوم بالدعاء لصالح الفرد والمجتمع والكل يؤمّن على دعائه.

وبما أن هذه المجالس تضم طبقات مختلفة من الناس في الذوق والفكر والعاطفة وكل منهم ينشد ضالته منها، فالخطيب يجهد بحكم رسالته الإرشادية لأن يجمع كل هؤلاء ويرضيهم حسب مستوياتهم الفكرية المختلفة، فإن هذا الدور يصبح صعباً للغاية وعلى الخطيب أن يسيطر عليه بعبقريته فيتطلب منه ذلك كثيراً من الجهد وتفرغاً لشؤون الخطابة، ومعرفة واسعة بمختلف شؤون الفكر، والإحاطة بالتاريخ والأدب والتفسير والفقه وكتب التراجم والحديث وغيرها بالإضافة إلى دراسة علم النفس والعلوم العربية والإسلامية بل وقسم من العلوم الحديثة، وسيأتي تفصيل الكلام في الشروط التي يجب أن تتوفر في الخطيب والخطابة إن شاء الله تعالىٰ.

وهنا لابد من استعراض بعض الأسماء التي برزت في هذا المجال وهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ أحمد بن محمد الرمل المتوفىٰ عام ١٣٨٠هـ، سوق الشيوخ.

٢ ـ أحمد بن حسون الوائلي القرن ١٥هـ، النجف.

٣ ـ جواد بن محمد علي الهندي المتوفىٰ عام ١٣٣٣هـ، كربلاء.

٤ ـ حسين بن علي الراشد المتوفىٰ عام ١٤٠١هـ، طهران.

٥ ـ رشيد بن حسين الترابي المتوفىٰ عام ١٣٩٣هـ، حيدر آباد.

٦ ـ صالح بن مهدي القزويني المتوفىٰ عام ١٣٥٩هـ، الحلة ـ النجف.

٧ ـ صالح بن مهدي القزويني المتوفىٰ عام ٣٧٥هـ، كربلاء[١].

٨ ـ طالب بن محمد مصطفى الجوهري القرن ١٥هـ، كراچي[٢].

٩ ـ عبد الحميد بن كزار المهاجر القرن ١٥هـ، كربلاء.

١٠ ـ عبد الزهراء بن فلاح الكعبي المتوفىٰ عام ١٣٩٤هـ، كربلاء.

١١ ـ كاظم بن حسن السبتي المتوفىٰ عام ١٣٤٢هـ، النجف.

١٢ ـ كاظم بن سلمان نوح المتوفى عام ١٣٧٩هـ، الكاظمية.

---

(١) ويقال له محمد صالح أيضاً.

(٢) اسمه: جمشيد رضا وكنيته أبو طالب إلا أنه عرف بطالب، وقد اتخذ من بين المتكلمين باللغة الأردوية الأسلوب العلمي للبحث.

١٣ ـ محسن بن محمد أبو الحب الكبير المتوفىٰ عام ١٣٠٥هـ، كربلاء.

١٤ ـ مهدي بن عبود خاموش المتوفىٰ عام ١٢٦٠هـ، كربلاء.

١٥ ـ محمد تقي بن محمد رضا الفلسفي المتوفى عام ١٤١٩هـ، طهران.

١٦ ـ محمد علي بن محمد القسام المتوفىٰ عام ١٣٧٣هـ، النجف.

١٧ ـ محمد علي بن يعقوب اليعقوبي المتوفىٰ عام ١٣٨٥هـ، النجف.

١٨ ـ هادي بن صالح الخفاجي المتوفى عام ١٤١٢هـ، كربلاء.

إلى غيرهم من الخطباء الذين كان لهم دور في تطوير الخطابة الحسينية سواء في الاتجاه الفني أو الموضوعي أو غير ذلك، وسنأتي على تفاصيل ذلك إن شاء الله عند ترجمتهم[1].

---

(١) جاء في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ٩/٣٨ لدى حديثه عن الأدب بالأردو، وتطور الخطابة في باكستان: «أما الخطابة فليست قديمة العهد في الشيعة ـ هناك ـ ولقد تقدمت حين بدأ يخف الشغف بالمراثي، وكان مولانا سبط الحسن ومولانا محمد رضا والحكيم مرتضىٰ حسين ومولانا مقبول أحمد ومولانا السيد علي الحائري وغيرهم من أبرز الخطباء خلال السنوات الأولى من هذا القرن ـ ١٤هـ ـ».

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه قد سبقني إلى هذا البحث كل من شمس الدين والخرس[1] أما شمس الدين فقد قام بتقسيم أدوار المأتم الحسيني والذي لا يمكن فصله عن أدوار الخطابة الحسينية إلى ثلاثة أدوار، وقد استخلصنا ذلك من خلال بحثه عن المأتم.

الدور الأول: بدأ من مرحلة ما بعد الثورة أي ما بعد أول سنة إحدى وستين هجرية واستمر إلى حين سقوط بغداد على يد هولاكو[2] أو قبله بقليل (القرن السابع الهجري).

الدور الثاني: بدأ من حين سقوط بغداد أو قبله بقليل، واستمر طيلة القرون المظلمة من تاريخ المسلمين إلى العصر الحديث.

الدور الثالث: من بدايات العصر الحديث حتى الآن[3].

ويرى شمس الدين بأن في كل هذه الأدوار الثلاثة عنصرين: ثابت ومتحرك، أما الثابت فهو بيان الجانب المأساوي من نهضة الإمام الحسين عليه السلام وإلى جانبها نقد السلطة،

---

(١) الخرس: هو محمد بن جواد بن عبد الله، كاتب وباحث معاصر من الأحساء المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، له كتاب الخطابة الحسينية في الاحساء عبر التاريخ في جزأين (مخطوط).

(٢) هولاكو: هو ابن تولي بن جنكيز خان المغولي (نحو ٦١٤ ـ ٦٦٣ هـ) مؤسس دولة المغول الإيلخانية في إيران عام ٦٤٩ هـ، احتل إيران والعراق وسوريا.

(٣) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ٢٤٩.

ويختلف سعة وضيقاً حسب الظروف الاجتماعية.

وأما العنصر المتحرك في الأدوار الثلاثة فقد تطور في اتجاهين الشكلي والنوعي ففي الدور الأول جاء التطور الشكلي في المنهج الزمني لإقامة المأتم[1] والذي بالطبع ترك أثره في تطور الخطابة، كما جاء في المنهج التخصصي حيث تخصص جمع من الرجال وإلى جانبهم النساء لرثاء الإمام الحسين عليه السلام، وأما في المنهج الجغرافي فقد اتسعت رقعة المأتم جغرافياً مما كان له أثره الفعال في تطوير الخطابة.

وأما التطور النوعي في الدور الأول فيتلخص في التوسع في عرض تفاصيل الأحداث ومسبباتها وفي نمو البعد الفضائلي في الخطاب الحسيني، وفي تكامل الشعر والنثر.

وأما بالنسبة إلى الدور الثاني، فمن الناحة الشكلية فقد رسخت المواعيد الزمنية السابقة كما تزايد كمّ الخطباء والراثين من جهة، وتولدت شخصية الرادود من جهة أخرىٰ، ومن الناحية النوعية فيرى أن لغة الخطاب الحسيني كانت لغة موضوعية هادئة ثم تحولت إلى لغة عاطفية، كما أن الشعر الفضائلي ظهر بشكل مركز إلى جانب الشعر الرثائي، ويرى أيضاً دخول عنصر التصوف والزهد بينما تراجع عنصر السياسة والاجتماع.

وأما بالنسبة إلى الدور الثالث، فمن ناحية التطور الشكلي توسعت رقعة المأتم جغرافياً ومعها توسعت رقعة الخطاب

(١) حيث تطور المأتم من إقامته في يوم عاشوراء إلى العشرة الأولى من محرم ثم جميع أيام محرم، ثم في المناسبات.

الحسيني لتتحول إلى شيء فيه مقومات المؤسسة وذلك للحرية التي أتيحت لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومن الناحية النوعية دخل عنصر النقد السياسي، ومناقشة المواضيع العقائدية والعلمية، والاهتمام بالجانب الاجتماعي والتربوي، والعرض التاريخي والدقة في النقل، والتخاطب باللغة التي تفهمها الجماهير، بالإضافة إلى مراعاة الخطيب وحدة الموضوع، وإلى جانبه ظهرت مسألة الربط (الگريز)[1].

وأما الخرس، فقد أخذ الفكرة من شمس الدين وقام بتسميتها حيث قسم أدوار المآتم إلى ثلاثة: التأسي، والروائي، والتفسيري، وقد علل سبب تسميته بالدور التفسيري بأنّ خطباء المنبر جعلوا التفسير وسيلة للنفوذ إلى المواضيع المرام الحديث عنها، فقد كان الخطيب في العهد الروائي يكتفي بافتتاح المأتم بعبارات التعزية واستنهاض مشاعر الحزن عند المستمعين ثم بعدها ينشد قصيدة رثاء يذكر بعدها الروايات التي تشكل بمجملها المأتم، ثم يختم حديثه بقصيدة رثاء يرتجي بها أن يستوفي الحضور حقهم من البكاء على سيد الشهداء عليه السلام.

أما في العهد التفسيري فإن الخطيب يبدأ مأتمه بقصيدة رثاء تعقبها قراءة النص الرئيسي في المأتم والذي سيتم خلال المأتم تفسيره وهذا النص قد يكون آية قرآنية وقد يكون خطبة من نهج البلاغة أو حديثاً شريفاً لأحد المعصومين عليهم السلام أو قولا مأثوراً، أو مقطوعة شعرية، ثم يتولى الخطيب مهمة شرح ما استفتح به

---

(١) راجع ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ٢٤٩ ـ ٣٠٢، بتصرف.

المأتم، بعد ذلك ينتهي المأتم بقصيدة رثائية خاتمة.

وقد قسم الدور التفسيري إلى المدرستين التاريخية والعلمية، أما الأولى فلأن المادة التاريخية أصبحت محوراً رئيسياً فيها، وأما الثانية فلأن الخطيب استقى المعلومات الخطابية من العلوم الحديثة[1].

وفي الحقيقة إن التقسيم المرحلي هو الأفضل لمعرفة التطور الخطابي ومواكبته لأن عامل الزمان وما يحتويه من الأحداث والمتغيرات هو من وراء التطور سواء في الاتجاه الفني أو الموضوعي أو الجغرافي أو الشخصي، وهذه هي أسس التطور في مسألة الخطابة الحسينية.

هذا والخطاب الحسيني قابل لأن يخضع للعديد من التقسيمات الجانبية التي نحن لسنا بصددها الآن[2].

---

(١) الخطابة الحسينية في الأحساء عبر التاريخ: ٢/٧.

(٢) وأنا بدوري أؤيد المصنف حيث إن هناك الكثير من الأمور لا بد وأن تبحث في مجال الخطابة دراسة وتحقيقاً، وبما أن المصنف أراد لدراسته هذه أن تكون مقدمة لمعجم خطباء المنبر الحسيني فلذلك أوجز الحديث عنها وحسب ما اطلع منه حفظه الله سيناقش ويستعرض جوانب أخرى عن الخطابة لدىٰ دراسته عن الشعائر الحسينية حيث انه عدّها أحد ألوان الشعائر الحسينية وحسب اطلاعي على معالم دائرة المعارف الحسينية تبين لي أن باب الشعائر يحتوي على عشرة أجزاء، والخطابة الحسينية تعد إحدىٰ فصولها مما يفهم أن دراسة الخطابة لم تنته عند هذا الحد ـ المعد.

المرحلة السابعة

هي في الحقيقة مرحلة مستقبلية[1] تعقد عليها الآمال ونطمح أن نتخطى عتبتها ونحن على قيد الحياة، وهي في الواقع مرحلة يفرضها التطور العام في كل مرافق الحياة والتي لا بد وأن تلبي حاجة المجتمعات المختلفة والشرائح المتنوعة من كافة طبقات الناس.

فإذا كان المنبر والخطابة هما أمثل الوسائل وأفضلها للاتصال المباشر بالجماهير، وإيصال الفكر الهادف إليهم، وأنجح الطرق الموصلة إلى القلوب والعقول من منطلق أنها الوسيلة المباشرة التي تمارس من خلالها عملية التأثير والإقناع، وإذا كان هدف المؤسسة الخطابية هو نشر أهداف الإمام الحسين عليه السلام التي سبقت التطور البشري وخُططت لتكون نبراساً للأحرار في كل العصور.

---

(١) إن تنظير المصنف للخطابة في المستقبل أمر جدير بالاهتمام كما أنه ولأول مرة يطرح الموضوع بهذا الشكل ونرجو أن يخضع هذا الفصل بالذات إلى الدراسة والنقد من قبل المختصين والمهتمين من كبار الخطباء لكي نصل إلى وضع آلية إلى تطبيقها لنضمن للأجيال القادمة مزيد الخير مواكبة مع تطور الحياة ـ المعد.

وإذا كان الإمام الحسين عليه السلام كغيره من المعصومين عليهم السلام كنزاً مشاعاً ومصدراً ثراً للبشرية جمعاء.

فلا بد أن يتحول مشروع الخطابة إلى مؤسسة عالمية[1] ذات فعالية على أرض الواقع يحسب لها ألف حساب، وتتعامل مع الواقع بمعادلة الحاجة والطلب وتتعامل مع الحقيقة بروح المسؤولية والالتزام، فمن هذا المنطلق فلا بد أن يُنَظَّرَ للمرحلة الآتية بشكل يتم فيها تحقيق العناصر التالية:

١ - عنصر التخصص:

بما أن العالم مقبل على المزيد من التخصص بسبب هطول الكم الهائل من المعلومات التي قسمت الشعوب إلى طبقات فكرية وعلمية مختلفة، فلا بد أن تتبنى المؤسسة الخطابية وبالتحديد معهد الخطابة مهمة تخريج الخطباء حسب التخصص العلمي من جهة والتخصص الطبقاتي من جهة أخرىٰ، لأن مراحل الإنسان ثلاث: الطفولة، والفتوة، والشيخوخة، ولا بد أن يقوم معهد الخطابة بتأهيل خطباء قادرين على محاكاة تلك الأجيال البشرية في مراحلها الثلاث كلا على حدة، وفي هذا المجال نفضل أن يخرّج معهد الخطابة خطيبات على هذه المستويات وأن يزود كل من تخرج منه بشهادة الاختصاص.

---

(١) وهنا أود الإشارة إلى أن في فترة زمنية بدأت حركة ناشطة للتخصص في الخطابة، وانشئت على أثرها بعض المدارس الخاصة بها كمدرسة الواعظين في لكهنو لم يشأ لها التطور في ظل الظروف الحرجة التي تمر بها الأمة، وحاجة المجتمعات إلى خطباء من هذا النوع.

ومن جهة أخرىٰ فإن المعهد ملزم بأن يخرج خطباء على مستويات علمية مختلفة، وللمثال فإن الطبقة العاملة تختلف بالضرورة عن الطبقة العلمية (الأكاديمية) رغم ان كليهما يُفترض أن يكونا في هذا العصر متسلحين بالثقافة، إلا أن إرضاء الرغبات الثقافية لكل منهما بحاجة إلى طريقة معينة تختلف جوهرياً عن الآخر سواء من الناحية الشكلية أو النوعية، بل إن الشعوب الشرقية تختلف عن الشعوب الغربية في عقلية الحوار والتخاطب لاختلاف الخلفية الثقافية لكل منهما واختلاف بيئتيهما، وحتى الشعوب الشرقية قد تختلف منطقة عن أخرى، فكم هو الفارق على سبيل المثال بين شعب شمال أفريقيا وبين الشعب الخليجي، مضافاً إلى عامل لغة الحوار والخلفية الثقافية، وإذا ما أضفنا إلى ذلك بأن الخطاب الحسيني لا ينحصر باتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما يخيل للبعض، فلا بد من ملاحظة الخلفية العقائدية والتعامل مع كل شعب حسب خلفيته العقائدية والثقافية.

٢ ـ عنصر الاقناع العلمي:

إن التطور الفكري لا يدع للخطيب أن يطرح أيّ فكرة دون دعمها بالدليل العلمي المقنع، وعليه فلا بد أن يقوم الخطيب بدراسة الموضوع الذي يريد طرحه وإسناده بدليل علمي مقنع ومناقشته من الزاوية العلمية المطلوبة، وفي الحقيقة ان الخطيب لا بد وأن يتصور نفسه بأنه أستاذ محاضر في قاعة جامعة مفتوحة يتحدث في مادة علمية من شأنها الاختصاص.

٣ ـ عنصر التطبيق العملي:

إن المنبر الحسيني ليس مجرد سرد للوقائع التاريخية أو

طرح للمسائل العقائدية أو غيرهما بل هو مدرسة تطبيقية، على الخطيب أن يسهل للناس عملية التطبيق ويساعدهم في ترجمة الفكرة على أرض الواقع، وأن يعايش المستمع الفكرة المطروحة مع حياته اليومية، وإلا فمن لا يضع النقاط على الحروف لا يصل إلى النتيجة الفضلىٰ، وربما ضيّع الفكرة بدلاً من تطبيقها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عملية المقارنة سواء في المسائل الفكرية والعلمية أم في المسائل التطبيقية أمر ضروري لترسيخ الفكرة وصيانتها.

٤ ـ عنصر اللغة:

إن توسيع رقعة اللغة في الخطابة الحسينية ضرورة فرضها واقع المهجرين والمهاجرين وبالأخص في الدول غير الإسلامية من جهة، ودخول عدد كبير منهم في الإسلام من جهة أخرى، بالإضافة إلى أن فكر أهل البيت عليهم السلام لا يختص بالمسلمين فحسب بل هي شرعة للجميع ولا بد من عرضه على من هو بعيد عنه وترسيخه في نفوس من هم قريبون منه، وأن الجناية الكبرىٰ تكمن في تحجيم هؤلاء القادة بشريحة معينة.

٥ ـ عنصر الوسائل الحديثة:

إن الوسائل الحديثة في اتجاهاتها المختلفة لها دور فاعل في جلب المستمع وفي التأثير عليه سواء في ذلك ما يرتبط منه بالمكان أو بالصوت أو بغيرهما، فلا بد من استخدامها كوسيلة للوصول إلى الغرض المطلوب.

وان تطلعاتنا بالنسبة إلى المرحلة الآتية تكمن في هذه

العناصر الخمسة التي تجمع بين التطور الشكلي والنوعي، والتي تقودنا إلى مأسَسَةِ المنبر الحسيني ـ ان صح التعبير ـ وهي أُمنية كانت تراودني منذ أن بدأت بكتابة الأسطر الأولى من هذه الموسوعة.

وفي هذا الصدد قمت بطرح فكرة نقابة للخطباء على بعض الأخوة[1] من أرباب المنبر والضليعين بقضاياه باتجاهاته الثلاث: العربية والفارسية والأردوية حيث القاعدة الأكبر انتشاراً من غيرها وذلك لتدرس بدقة وإمعان علّنا نتمكن من الوصول إلى بعض الأهداف المتوخاة بعد تسجيلها في الدوائر المعنية لتصبح مؤسسة رسمية يتم العمل بها، وبعد مناقشات طويلة جاء النظام الداخلي بالشكل التالي والذي قمت باعداده وعرضه عليهم يوم الأربعاء ٧ ربيع الأول ١٤١٩ هـ[2].

(١) لقد تجنبت ذكر الأسماء لعدم إتمام المشروع بكل أسف.

(٢) الموافق لـ: ١/٧/١٩٩٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم

النقابة[1] العالمية للخطباء والمبلغين

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين محمدﷺ وعلى آله المنتجبينعليهم السلام .

بما ان الحياة قائمة على الفكر والصوت، والخطيب الرسالي لا بد وأن يحمل الفكر الأصيل ألا وهو فكر أهل

---

(١) إن التفكير بإنشاء نقابة للخطباء فكرة متطورة جداً وما طرح المصنف هذا وثبته هنا إلا لأجل إثراء الدراسة المستقبلية عن هذه المؤسسة الكبرى التي بها كانت نهضة الأمم ولا زالت وستبقى إذا تمكنا من الحفاظ على المبادئ وتطويعها مع واقع الحياة وتطوراتها والملابسات التي تكتنف الحياة السياسية والاجتماعية مضافاً إلى العداء المبطن للإسلام وبالأخص الخط المعتدل منه والذي يعده الغرب الأخطر من الإسلام المتطرف إذ يسهل القضاء عليه، بل ربما دعم الإسلام المتطرف لأجل القضاء على الإسلام المعتدل، هذا وقد بدأ عدد من الكتاب والدارسين والخطباء يتداولون هذا الطرح الذي وضعه سماحة المؤلف، نرجو أن يأخذ طريقه إلى الظهور ـ المعد.

البيت عليهم السلام، ليوصلها بأمانة إلى العالم كله، ولا بد في كل أمر ناجح أن يقوم على أسس حضارية، فمن هنا جاءت فكرة إنشاء نقابة خاصة للخطباء كضرورة ملحة فرضتها الحاجة في مثل هذه الظروف الحرجة.

النظام الداخلي:

التعريف

النقابة العالمية للخطباء والمبلغين هي: مؤسسة اجتماعية دينية ثقافية مستقلة غير منتمية إلى جهات رسمية أو شبه رسمية، تسعى إلى تطوير المؤسسة الخطابية بالطرق الحضارية، وحماية الخطيب ـ بغض النظر عن انتماءاته الدينية أو السياسية ـ بالوسائل المشروعة والمتاحة.

الأهداف

١ ـ تأهيل الخطيب.

٢ ـ توسيع دائرة المنبر الحسيني.

٣ ـ تطوير العمل الخطابي.

٤ ـ رعاية شؤون الخطيب.

٥ ـ إيجاد الفرص لأداء رسالة الخطيب.

٦ ـ تعميق الروابط الاجتماعية بين الخطباء.

٧ ـ الدفاع عن حقوق الخطباء.

٨ ـ إيصال صوت الإمام الحسين عليه السلام إلى العالم، عبر الوسائل المتاحة والمشروعة.

الأعضاء

تعتبر النقابة جميع الخطباء الحسينيين أعضاء بالقوة فيها، بينما تعتبر كل من يتعهد بشروط النقابة هو عضو بالنقابة بالفعل.

شروط العضوية

١ ـ أن يكون إمامياً.

٢ ـ أن يصدق عليه عنوان الخطيب الحسيني عرفاً.

٣ ـ أن يتحلى بالنزاهة المعهودة لدى المجتمع الخطابي.

٤ ـ الإيمان بمبادىء النقابة وأهدافها.

٥ ـ الالتزام بدفع الاشتراك.

الغاء العضوية

يتم الغاء العضوية بتحقق الأمور التالية:

١ ـ تقديم استقالة خطية إلى الهيئة الإدارية.

٢ ـ الإخلال بأحد شروط العضوية.

اللجان والهيئات

الهيئة المؤسِّسة:

وتتشكل من الذين تقدموا لتشكيل النقابة العالمية للخطباء والمبلغين ويتم انتخاب أحدهم أميناً عاماً للنقابة وآخر المساعد الأول له، وآخر المساعد الثاني له.

هيئة الأُمناء:

يتم انتخابها من قبل أعضاء النقابة.

انتخابات هيئة الأمناء

يتم كل ثلاث سنوات انتخاب «هيئة الأمناء»، عبر استمارات خاصة ترسلها النقابة إلى الأعضاء.

الهيئة الإدارية:

وتتشكل ممن لهم القدرة على إدارة الأمور وتنفيذها، ويفضل أن يكونوا من الخطباء.

آلية عمل الهيئات

أولاً: الهيئة المؤسِّسة

بالنسبة للهيئة المؤسِّسة، فهي أمر واقع، وتبقى عضويتها قائمة مدى الحياة، إلا في الحالات التالية:

١ ـ إذا خرج أحدهم لا سمح الله عن ربقة الإيمان والاعتدال.

٢ ـ إذا أصيب بعاهة مستديمة تمنعه من ممارسة عمله.

٣ ـ إذا قدم استقالته شريطة إجماع أعضاء الهيئة المؤسِّسة على قبول استقالته.

ويمكن وضع البديل عنه بصعود أحد أعضاء هيئة الأمناء بشرطين:

١ ـ أن يتم ترشيح العضو البديل من قبل هيئة الأمناء.

٢ ـ أن توافق عليه الهيئة المؤسِّسة بالإجماع.

ثانياً: الهيئة المشرفة

وبعد رحيل الهيئة المؤسِّسة الأصلية لموت أو استقالة أو عاهة مستديمة مانعة أو انحراف، تتحول الهيئة المؤسِّسة بالتدريج إلى «هيئة مشرفة» يتم انتخابها بشروط.

شروط انتخاب الهيئة المشرفة:

١ ـ أن لا يتجاوز عددهم الخمسة، وأن لا يقل عن ثلاثة.

٢ ـ أن يكون العضو ذا خبرة عالية.

٣ ـ أن يكون عضواً لأكثر من دورة في هيئة الأمناء.

آلية عمل الهيئة المشرفة

التصويت على القرارات يتم بالإجماع أولاً، ثم بالثلثين إذا لم يتحقق نصاب الإجماع، وفي مرحلة ثالثة بالأكثرية (٥١٪).

صلاحية الهيئة المشرفة

١ ـ الاشراف الكامل على عمل الهيئات واللجان المتفرعة.

٢ ـ لها حق النقض.

٣ ـ تعيين أمين عام للهيئة المشرفة.

اجتماعات الهيئة المؤسِّسة ـ المشرفة

تكون اجتماعاتها فصلية، والهيئة المؤسِّسة الحالية يمكن أن تعقد بثلاثة في حال غياب أحدهم لضرورة قصوى.

ثالثاً: هيئة الأمناء

يتم انتخاب هيئة الأمناء من قبل الأعضاء.

شروط عضوية هيئة الأمناء

١ ـ أن يكون قد مارس الخطابة فترة اكتسب فيها خبرة غنية.

٢ ـ أن يبعد تأثيراته الانتمائية عن مسار العمل النقابي.

٣ ـ أن يتصف بقدر أكبر من الصفات الحميدة.

صلاحيات هيئة الأمناء

١ ـ تعيين الهيئة الإدارية.

٢ ـ وضع مخططات أو أُطروحات عمل النقابة.

٣ ـ تعيين الناطق الرسمي للنقابة.

٤ ـ تعيين اللجان المتفرعة المختصة.

٥ ـ إقالة العضو الإداري.

٦ ـ انتخاب رئيس دوري لها، لا تقل مدة صلاحياته عن عام واحد وأن لا تتجاوز العامين.

آلية عمل هيئة الأمناء

يتم اتخاذ القرارات والتوصيات بآراء الثلثين في الدورة الأولى، وفي الدورة الثانية بالأكثرية (٥١٪) بمن اشترك في التصويت.

ترفع كل القرارات والتوصيات إلى الهيئة المؤسّسة (المشرفة)، فإن لم تتلق النقض خلال أسبوع فتعتبر حينئذٍ سارية المفعول.

اجتماعات هيئة الأمناء

تكون اجتماعاتها شهرية.

رابعاً: الهيئة الإدارية

تتعين الهيئة الإدارية من قبل هيئة الأمناء.

شروط عضوية الهيئة الإدارية

١ ـ الخبرة والموهبة.

٢ ـ أن يكون ظاهر الصلاح.

٣ ـ يفضل أن يكون من الخطباء.

٤ ـ أن يقيم في مركز إدارة العمل (لندن).

صلاحيات الهيئة الإدارية

للهيئة الإدارية الصلاحيات التالية:

١ ـ مراجعة كافة الدوائر الرسمية وغير الرسمية ذات الصلة.

٢ ـ تنظيم الجلسات والدورات.

٣ ـ إدارة شؤون اللجان المتفرعة.

٤ ـ إدارة المؤسسات والمشاريع.

٥ ـ تنفيذ جميع القرارات المتخذة من قبل هيئة الأمناء.

آلية عمل الهيئة الإدارية

١ ـ يتم انتخاب العضو الإداري من قبل هيئة الأمناء حسب شروط الانتخابات.

٢ ـ المدير المسؤول يتم انتخابه من بين أعضاء اللجنة بتأييد هيئة الأمناء.

المصادر المالية

تعتمد النقابة العالمية للخطباء والمبلغين على الموارد التالية:

١ ـ الاشتراكات المستحصلة من الأعضاء.

٢ ـ التبرعات.

٣ ـ المساعدات التي تتلقاها من المؤسسات الخيرية.

٤ ـ الاستثمارات المالية والاقتصادية.

تقسيمات بدل الاشتراك

يقسم بدل الاشتراك حسب الأقاليم التالية:

١ ـ الدول الأوروبية وأميركا ٣ دولار أو ٢ جنيه، وما يعادلهما.

٢ ـ دولة الخليج دينار كويتي أو ما يعادله.

٣ ـ بلاد الشام ٥٠ ليرة سورية أو ١ دولار أو ما يعادله.

٤ ـ شبه القارة الهندية وافغانستان ٢٥ روبية أو ١ دولار أو ما يعادله.

٥ ـ العراق ١٠ دنانير.

٦ ـ إيران ٢٥٠ تومانا.

ملاحظة:

١ ـ يستثنى حالياً الخطباء الساكنون في العراق وافغانستان بسبب الظروف المعيشية.

٢ ـ يعتمد الدولار كعملة دولية، وتعدل نسبة الاشتراكات كل عام.

٣ ـ بدل الاشتراك يتم دفعه كل شهر.

الخدمات المقدمة لأعضاء النقابة

١ ـ الدفاع عن حقوق الخطيب في كل المجالات المتاحة والمشروعة.

٢ ـ توفير فرص ارتقاء الخطيب المنبر، وخاصة في المواسم.

٣ ـ التأمين على حياة الخطيب من الحوادث، الأمراض، والموت.

٤ ـ فتح معهد للخطابة وتزويد المتخرج بشهادة علمية (أكاديمية) مقبولة عالمياً.

٥ ـ فتح المجال أمام الخطيب لاستخدام الوسائل الاعلامية المتاحة والمشروعة في العالم، كالإذاعة الصوتية والمرئية وشبكة الاتصالات الدولية (الانترنت) والصحف والمجلات.

٦ ـ الاستفادة من تسجيل النقابة عند الجهات الرسمية في أكبر مساحة ممكنة.

٧ ـ إقامة ندوات واجتماعات سنوية للقاء الخطباء وفسح المجال لعرض اقتراحاتهم وتطلعاتهم.

٨ ـ نشر نشاطات الخطباء الأحياء، وإحياء ذكر الماضين.

٩ ـ تهيئة جيل من الخطباء حسب حاجة الجاليات والأقوام باللغات الحية.

التزامات أعضاء النقابة

١ ـ الدفاع عن حريم الإسلام والتشيع الإمامي، وذلك بالتنسيق مع النقابة.

٢ ـ التعاون مع النقابة في تطبيق أهدافها.

٣ ـ التواصل مع هيئة الأمناء.

٤ ـ التكرم بإعطاء الاقتراحات لتطوير العمل الخطابي.

٥ ـ دفع بدل الاشتراك.

٦ ـ التصويت في الانتخابات والاقتراعات.

مقر النقابة المركزي

تعتبر لندن المقر الرئيس للنقابة العالمية للخطباء والمبلغين لأهمية موقعها ومرونة العمل من خلالها، وتسعى النقابة جادة إلى فتح فروع لها في كافة أنحاء العالم حسب الظروف المالية والاجتماعية، وسيتم فتح المقرات عبر ثلاث مراحل:

الأولى: فتح المكتب الرئيسي في لندن.

الثانية: فتح مكاتب اقليمية وبالتدريج، في كل من لاهور، دمشق، الكويت، وإيران.

الثالثة: فتح مكاتب في كافة أنحاء العالم وبالتدريج.

- تسعى النقابة إلى شراء مبنى لمقرها المركزي في لندن.

لغة النقابة

تعتمد النقابة في قراراتها اللغة العربية كلغة أولى، بينما تترجم القرارات إلى اللغات الثلاث التالية على حد سواء:

(أ) الانكليزية: لضرورة تعامل النقابة مع طبيعة مقرها الرئيسي لندن، ومخاطبة العالم والمنظمات الاجتماعية والثقافية وغيرها.

(ب) الأردوية: وذلك أن شريحة كبيرة من الخطباء يتكلمون ويحاضرون بهذه اللغة في شبه القارة الهندية وغيرها.

(جـ) الفارسية: وذلك أن شريحة كبيرة أخرى من الخطباء يتخذون اللغة الفارسية وسيلة في مخاطبة الناس من على المنابر الحسينية في إيران وافغانستان وغيرهما.

أسماء النقابة

العربي: النقابة العالمية للخطباء والمبلغين.

الفارسي: كانون جهانى خطبا ومبلغين.

الأُردو: عالمي تنظيم خطباء ومبلغين.

الإنكليزي: INTERNATIONAL FEDERATION OF SPEAKERS AND PREACHERS

وكنت أتمنى أن تأخذ النقابة طريقها إلى الوجود إلا أن الظروف المختلفة حالت دون ذلك رغم تعيين الأمين العام والمساعدَين[1]، ونرجو أن ينبري نخبة من خطبائنا الكرام ليتولوا هذا الأمر ويدعونها في أياد أمينة تحرص على تطوير هذه المؤسسة الإعلامية الخطيرة وتستغل الفرص المتاحة في بعض الدول المتقدمة[2].

(١) وهذا هو السبب الرئيسي من حذف الأسماء.

(٢) وهنا أضم صوتي إلى صوت سماحة المصنف بأن ينبري عدد من المهتمين بهذا الشأن من مؤسسات ثقافية عبر الجامعات ومراكز القرار في بعض الدول والمرجعيات الدينية لدراسة هذا الأمر بجدية وبعيداً عن الآفات الضيقة للوصول إلى الأهداف المتوخاة من مثل هذه الطروحات ـ المعد.

التفنن في الخطابة

الخطابة كالشعر، فالخطيب قد يلزم نفسه كالشاعر بما لا يلزم فيحاول تارة أن يلزم نفسه بنسق خاص في الأداء أو أسلوب مميز في الخطاب كأن لا يقف مثلاً إلا عند انتهاء الموضوع وتتطاير من فمه الجمل والكلمات إحداها تلو الأخرى دون انقطاع أو كلل وهذا يكلفه طاقة أكثر إلا أنه يشد المستمع إليه وتسمر العيون نحوه وتصغي الأسماع إليه.

وتارة يلزم نفسه بصياغة النصوص والجمل بحيث يراعي فيها تساوي الجمل وتطابق تفعيلات أواخرها، مضافاً إلى اختيار الحروف ذي المخارج المتحدة والذي يسمىٰ بالسجع بل ربما التزم الطباق وأمثاله مما هو مبين في البديع والبيان، ولكن هناك من يلزم نفسه بأكثر من ذلك فيسرد خطبة طويلة خالية من حرف من الحروف أو بعض أنواعها كالحروف اللينة مثلاً أو العلة أو يتجنب الحروف المعجمة[1] كما فعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

(١) لقد أطلعني المصنف بأنه في كتابه هندسة العروض والذي استخرج العروض من دوائر رياضية بلغت عنده البحور (٢١٠) بحور في إطار الخليلي منها وقد أنشأ لكل واحد من البحور بيتاً من الشعر والتزم في بعضها بخلوه من حرف من الحروف الهجائية وربما ألزم نفسه بوجوه =

في خطبته الخالية من النقاط أو التي خلت من حرف الألف، فقد روىٰ ابن أبي الحديد[1]: تذاكر قوم من أصحاب رسول الله ﷺ أي حروف الهجاء أدخل في الكلام؟ فاجمعوا على الألف فقال علي عليه السلام:

حَمِدْتُ مَنْ عظُمت مِنَّته[2]، وسَبَغَت[3] نعمتُه، وسبقَتْ غضبَه رحمتُه، وتمتْ كلمتُه. ونفذتْ مشيئتُه[4] وبلغت[5] قضيَّتُه[6]؛ حَمِدْته حَمد مُقِرٍّ برُبوبيته، متخضِّع[7] لعبوديَّته، متنصِّلٍ[8] مِن خطيئتِهِ، متفرِّدٍ بتوحيدِهِ، مؤمِّلٍ منه مغْفرةً تُنجيهِ، يومَ

= جميعها أو صنف معين منها أو خلوه من صنف معين منها، كما سمعت منه أن أحد الشعراء الجزائريين قام باستخدام كل بيت من هذه الأبيات التي نظمها المصنف في هذه البحور التي استحدثها مطلعاً لقصيدة تختلف ألوانه وأشكاله مما بعد تجديداً للعروض وللأدب والشعر ـ المعد.

(١) ابن أبي الحديد: هو عبد الحميد بن هبة الله محمد بن محمد المعتزلي (٥٨٦ ـ ٦٥٦ هـ) ولد في المدائن، من أعيان المعتزلة وعلمائها، أديب شاعر جيد الاطلاع، سكن بغداد وتوفي بها، من مؤلفاته: الفلك الدائر، القصائد السبع العلويات، العبقري الحسان.

(٢) المنّة: الإحسان.

(٣) سبغ: تمّ.

(٤) المشيئة: الإرادة.

(٥) بلغ: نفذ.

(٦) أراد بالقضية صنعه للمخلوقات.

(٧) متخضع: خاضع.

(٨) المتنصل: المتبرىء.

يُشْغَلُ عن فصيلتِهِ[1] وبنيه.

ونستعينُهُ ونسترشدُهُ ونستهديه[2]، ونُؤْمِنُ بِهِ ونتوكَّلُ عليه، وشهدْتُ له شهودَ مُخْلص موقِنٍ، وفَرَّدْتُهُ تفريد مُؤْمِن مُتيقِّنٍ، ووحَّدْتُهُ توحيدَ عبدٍ مذعِنٍ[3]، ليسَ له شريكٌ في مُلكِهِ، ولم يكن له وليٌّ في[4] صنعِهِ، جَلَّ[5] عن مشيرٍ ووزيرٍ، وعن عوْنٍ مُعِينٍ ونصيرٍ ونظيرٍ[6].

عَلِمَ فستر، وبَطَن فخبرَ[7]، وملكَ فقهرَ وعُصيَ فغفر، وحكم فعدلَ، لم يزلْ ولن يزولَ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[8]، وهو بعد كلِّ شيء ربٌّ متعززٌ بعزَّتِهِ، متمكِّنٌ بقُوَّتِهِ، متقدِّسٌ[9] بعلوِّه، متكبِّرٌ بسموِّهِ[10]، ليس يدركُهُ[11] بصرٌ، ولم يُحِطْ به نظرٌ، قويٌّ منيعٌ، بصيرٌ سميع، رَؤوفٌ رحيمٌ، عَجَزَ عن وصفِهِ من يصفُهُ، وضلَّ عن نعته[12] مَن يعرفه.

---

(١) الفصيلة: العشيرة.
(٢) الاستهداء: طلب الهداية.
(٣) مذعن: خاضع ومقر.
(٤) الولي: النصير.
(٥) جلّ: تنزه وترفع.
(٦) النظير: المساوي والمثيل.
(٧) الخبر: العلم بالحقائق.
(٨) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٩) المتقدس: المتنزه.
(١٠) السمو: العلو.
(١١) لا يدركه: لا يلحقه.
(١٢) النعت: الوصف.

قَرُبَ فبعُدَ، وبعُد فقرُبَ[1]، يُجيبُ دعوةَ من يدعوه، ويرزقُهُ ويحبوه[2] ذو لطف خَفِيٍّ، وبطْشٍ[3] قويٍّ، ورحمةٍ مُوسَعةٍ، وعقوبةٍ موجعةٍ، رحْمَتُهُ جنة عريضةٌ[4] مونقةٌ، وعقوبته جحيمٌ ممدودةٌ موبقةٌ[5].

وشهِدْتُ ببعث محمدٍ رسولِهِ، وعبدِهِ وصفيِّهِ، ونبيِّهِ ونَجيّه[6]، وحبيبهِ وخليله، بعثه في خيرِ عصرٍ، وحين فترةٍ وكفرٍ، رحمةً لعبيدهِ، ومِنَّةً لمزيدِهِ[7]، ختم به نبوَّتَهُ، وشيَّدَ[8] به حجته، فوعظ ونصح، وبلغ وكدح[9]، رؤوفٌ بكلِّ مُؤْمنٍ، رحيمٌ سخيٌّ، رضيٌّ[10] وليٌّ زكيٌّ[11]، عليه رحْمةٌ وتسليمٌ، وبركةٌ وتكريمٌ، منْ ربٍّ غفورٍ رَحيمٍ، قريبٍ مُجيبٍ.

وَصَّيتكُمْ معشرَ منْ حضرَنِي بوصيَّةِ ربِّكُم، وذكَّرتكُمْ بسنَّةِ

---

(١) من صفات الله أنه قريب منا بحيث يعلم السر وأخفىٰ وبعيد منا بحيث لا تدركه الأبصار.

(٢) الحبوة: العطاء.

(٣) البطش: الأخذ بشدة.

(٤) مونقة: حسنة.

(٥) موبقة: مهلكة.

(٦) النجي: المصطفى والمختار.

(٧) منة لمزيده: مَنَّ عليه أي أنعم عليه من غير تعب، والمزيد: إعطاء الزيادة.

(٨) شد به حجته: أقام به حجته.

(٩) كدح الرجل: سعى سعياً فيه تعب.

(١٠) الرضي: المحب.

(١١) الذكي: الطيب.

نَبيِّكُمْ، فعليكم برَهْبةٍ[1] تَسْكُنُ قلوبَكم، وخشيةٍ[2] تُذْري[3] دُمُوعكم، وتقيَّةٍ[4] تنجيكُمْ قَبْل يوْم تُبلِيكم وتذهِلكم[5]، يوْمَ يفوزُ فِيه منْ ثقلَ وزنُ حَسنته، وخفَّ وزنُ سيِّئتهِ، ولتكُنْ مسألَتُكُمْ وتملُّقكُمْ[6] مسألة ذلٍّ وخضوعٍ، وشكْرٍ وخشوعٍ، بتوْبةٍ وتَوَرُّعٍ[7]، وندمٍ ورجُوعٍ، وليغتنمْ كلُّ مُغْتَنِمٍ منكُمْ صِحّتَه قبل سَقَمِهِ، وشَبِيبَتَهُ قبل هَرَمِهِ، وسَعَتَهُ قبلَ فَقْرِهِ، وفرْغَتَهُ قبل شُغله، وحضَرَه قبل سَفَرِه، قبلَ تكبُّرٍ[8] وتَهَرُّمٍ وتسقُّمٍ، يملُّهُ[9] طبيبُهُ، ويعْرِضُ عَنْهُ حبيبهُ وينقطعُ غمْدُهُ[10]، ويتغيَّرُ عقلهُ، ثم قِيلَ: هُوَ موعُوكٌ[11]، وجسمُهُ منْهُوكٌ[12]، ثمَّ جُدَّ[13] في نزعٍ[14] شدِيدٍ، وحضرَهُ كلُّ قَرِيبٍ وبعيدٍ، فَشَخصَ بصرُهُ،

(١) الرهبة: الخوف.

(٢) الخشية: الخوف والاتقاء.

(٣) تذري: تسيل.

(٤) التقية: أراد التقوىٰ.

(٥) الذهول: الغيبوبة عن الرشد.

(٦) التملق: التذلل.

(٧) تورع: في نسخة «نزوع»، وهو الكف عن الشيء.

(٨) تكبر: من الكبر في السن.

(٩) يمله: يضجره.

(١٠) غمده: في نسخة «عمره».

(١١) موعوك: من وعكة وهو عروض الحمى وشدتها.

(١٢) المنهوك: من خارت قواه.

(١٣) جهد: اشتد.

(١٤) النزع: الإشراف على الموت.

وطمِحَ[1] نظرُهُ، ورَشَحَ[2] جبينُهُ، وعطفَ[3] عَرِينُهُ[4]، وسَكَن حَنِينُهُ[5]، وحزَنْتهُ نفسهُ، وبكتهُ عِرْسُهُ[6]، وحُفِرَ رَمْسهُ[7]، ويتّمَ منْهُ ولَدُهُ، وتفرّق منْهُ عدَدُهُ[8]، وقُسّمَ جَمْعُه[9]، وذَهَبَ بصرُهُ وسَمْعُهُ، ومدّدَ وجُرِّدَ[10]، وعُرّيَ وغسّلَ، ونُشّفَ وسُجّيَ، وبُسِطَ لَهُ وهُيّيء، ونُشِر عليهِ كَفنُهُ، وَشُدَّ منْهُ ذَقنُهُ، وقُمّصَ وعمِّمَ[11]، وَوُدِعَ وسلِّمَ، وحُمِلَ فَوْقَ سَرِيرٍ، وصُلّي عليْهِ بتَكْبيرٍ، ونُقِلَ مِنْ دُورٍ مُزَخْرَفَةٍ، وقُصُورٍ مشيَّدَةٍ، وحُجَرٍ مُنجَّدَةٍ[12]، وجُعلَ في ضريحٍ ملْحُودٍ وضِيق مرْصُودٍ[13]، بلَبِنٍ مَنضُودٍ، مُسقَّفٍ بجُلْمُودٍ[14]، وهيلَ عليْهِ حفْرُهُ، وحُثِيَ عَلَيْهِ

---

(١) طمح نظره: ارتفع ببصره.

(٢) الرشح: العرق.

(٣) عطف: رجع عليه بما يكره.

(٤) العرين: الأنف.

(٥) الحنين: صوت الحنين.

(٦) العرس: الزوجة.

(٧) الرمس: القبر.

(٨) عدده: أراد سني عمره التي بعدها.

(٩) جمعه: أراد ما جمعه من المال.

(١٠) مدد وجرد: أراد مدد جسمه وجرد من ثيابه.

(١١) قمص وعمم: أراد ألبس قميص كفنه وعمم بقسم منه حيث يستحب ذلك.

(١٢) المنجّد: المزيّن من الفرش والبسط.

(١٣) المرصود: المراقب من قبل الملائكة.

(١٤) الجلمود: الصخر.

مَدَرُهُ[1]، وتحقّقَ حِذْرُهُ[2]، ونُسِيَ خبرُهُ، ورَجَعَ عنْهُ وليُّه. وصفيّه، ونديمُهُ ونَسِيبه، وتبدَّل بِهِ قرينه وحبيبُهُ، فهو حشو قبرٍ، ورهينُ قفرٍ، يسعى بجسمه دُودُ قبرِهِ، ويسيلُ صدِيدُهُ[3] مِنْ مَنْخِرِهِ، يسحقُ تُرْبُه لحمهُ، وينَشَفُ دَمَهُ، ويَرُمّ عظمَهُ حَتَّى يوْمِ حشرِهِ، فنُشِرَ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ في صُورٍ، ويُدْعَى بحشْرٍ ونُشُورٍ.

فثَمَّ بُعثرتْ قُبُور، وحُصِّلَتْ سريرَةُ[4] صُدُور، وَجِيءَ بِكلِّ نبيٍّ وصدِّيقٍ وشهيدٍ، وتوحَّد لِلفَصْلِ[5] قديرٌ بعبدِهِ خبيرٌ بصيرٌ، فكَمْ مِنْ زَفْرةٍ تُضْنيهِ[6]، وحسرةٍ تنضيهِ[7]، في مَوْقفٍ مَهُولٍ، ومشْهدٍ جَليلٍ، بَيْنَ يَدَيْ ملكٍ عظيمٍ، وبِكلٍّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ عَليم، فحينئذٍ يُلْجِمُهُ عرَقُهُ، ويُحصِرُه قلقهُ، عبْرَتُهُ غير مرحومةٍ، وصرْختُه غيرُ مسموعةٍ، وحجّتهُ غيرُ مقولةٍ، زَالتْ جريدتُهُ، ونُشرَتْ صحيفتُه؛ نَظرَ في سوءِ عملِهِ، وشهدتْ عليه عيْنُهُ بنظرِهِ، ويدهُ ببَطشِهِ، ورجلُهُ بخطْوِهِ، وفرْجهُ بلمسِهِ، وجلدُه بمسِّهِ، فسلسِلَ جيدُهُ[8]، وغُلَّتْ يدُهُ، وسيقَ فسُحِبَ وحْدَه، فورَدَ جهنَّمَ بكرْبٍ

---

(١) المدر: الطين.

(٢) حذره: أي ما كان يحذر منه ويخاف.

(٣) الصديد: القيح المختلط بدم.

(٤) السريرة: ما يسره الإنسان ويكتمه.

(٥) الفصل: أراد به القضاء بين الحق والباطل.

(٦) الضنى: سوء الحال، المعاناة.

(٧) نضي الشيء: خلعه، كناية عما يكابده في الدار الآخرة.

(٨) سلسل جيده: أي وضعت السلسلة في جيده.

وشدَّةٍ، فضلَّ يعذَّبُ في جحيم، ويُسْقى شَرْبةً مِنْ حَمِيم، تَشْوي وجْهَهُ، وتسلخُ جلْدَهُ، وتضْربهُ زِبْنِيةٌ[١] بمقْمَعٍ منْ حَدِيدٍ، ويعودُ جلْده بَعْدَ نُضْجه كجلْدٍ جَدِيدٍ، يستغيثُ فتعرضُ عنْه خزنةُ جهنَّمَ، ويستصْرِخُ فيلبثُ حقْبةً يَنْدَمُ.

نعوذُ بربٍّ قَدِيرٍ، منْ شَرِّ كلِّ مصيرٍ، ونَسْأله عفو مَنْ رَضيَ عنْه، ومغفرة مَنْ قبله، فهوَ وَلِيُّ مسألَتِي، ومُنجحُ طلبتي، فمنْ زُحْزِحَ عَنْ تعذِيب رَبِّهِ جُعِل في جَنَّتِه بِقُرْبِهِ، وخلد في قصور مُشيَّدة، ومُلْكٍ بحور عينٍ وحفدةٍ[٢]، وطيفَ عليْهِ بكؤوسٍ، أُسْكِنَ في حَظِيرَةِ قُدُّوس[٣]، وتقلَّبَ في نعيم، وسُقي مِنْ تسنيم[٤]، وشَرب مِنْ عيْنِ سَلْسَبيلٍ، ومُزِجَ له بزنْجبيلٍ[٥]، مُخَتَّم بمسكٍ[٦] وعبيرٍ[٧] مُستدِيم للمُلكِ، مُستشعرٍ لِلسُّرُر، يشربُ مِنْ خُمُورٍ، في روْضٍ مُغدِقٍ[٨]، لَيْسَ يُصَدَّعُ مَنْ شُرِبَه، ولَيْسَ يُنزَف[٩].

هَذِه منْزِلةُ مَنْ خشيَ ربَّهُ، وحذر نفسَهُ معصيتُه، وتلك عقُوبةُ

---

(١) زبنية: لغة في زبانية وهم الموكلون بأمر جهنم.

(٢) الحفدة: الخدم.

(٣) في نسخة «حضيرة القدس» وهي الجنة.

(٤) التسنيم: اسم ماء في الجنة.

(٥) الزنجبيل: نوع من طيب النبات، والكلمة فارسية الأصل.

(٦) المسك: طيب وهو من دم دابة كالظبي يدعى غزال المسك.

(٧) العبير: أخلاط من الطيب.

(٨) المغدق: المخصب.

(٩) النزف: ذهاب العقل، السكر.

مَنْ جَحَد مشيئتهُ، وسوّلتْ له نفسه معصيتُه، فهو قَوْلٌ فصلٌ[1]، وحُكم عدْلٌ وخبر قصص قصٌّ، وَوَعْظ نَصٌّ، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2] نَزَلَ به رُوحُ قُدُس[3] مُبين، عَلَى قَلْب نبيّ مُهْتدٍ رَشِيدٍ، صلَّتْ عَليهِ رُسُلٌ سَفَرةٌ[4]، مُكَرَّمُونَ بَرَرَةٌ، عُذتُ بربٍّ عَلِيم، رَحِيم كَريم، مِنْ شَرّ كلِّ عدُوٍّ لَعِينٍ رَجِيم، فلْيَتضرَّع مُتَضرِّعكمْ، وليَبتَهِلْ مُبْتَهِلُكُمْ، وليستغفرْ كلُّ مرْبوبٍ مِنكُمْ لي وَلكم، وَحسبي رَبِّي وحدَهُ[5].

وله خطبة أخرى خالية من الحروف المعجمة (المنقوطة) وهي من خطب النكاح يقول فيها:

الحَمْدُ لله المَلكِ المَحْمودِ المالِكِ الوَدُودِ مُصَوِّر كُلّ مَوْلُودٍ ومآلَ كُلِّ مَطْرُودٍ، ساطِحُ المِهاد[6] وموطل الأطواد[7] ومرسل الأمطار، ومسهل الأوطار[8]، عالم الأسرار ومدركها، ومدمر الأملاك ومهلكها، ومكوّر[9] الدهور ومكررها، ومورد الأمور

(١) القول الفصل: هو القول الحق.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٣) روح القدس: هو الأمين جبرائيل

(٤) السفرة: السفراء.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩/ ١٤٠، كنز العمال: ٨/ ٢٢١، أعلام الدين: ٧٢، كفاية الطالب: ٣٩٣.

(٦) المهاد: الأرض المنخفضة.

(٧) الأطواد: الجبال.

(٨) الأوطار: الحاجات.

(٩) كوّر العمامة: طواها ولفها.

ومصدرها، عم سماحه، وكمل ركامه[١]، وهمل وطاوع السؤال والأمل، وأوسع الرمل وأرمل[٢]، أحمده حمدا ممدوداً، وأوحده كما وحد الأواه[٣]، وهو الله لا إله للأمم سواه، ولا صادع[٤] لما عدلَهُ وَسَوَّاهُ، أرْسَلَ مُحَمَّداً عَلَماً لِلإسْلامَ وَإماماً لِلْحُكّام، مُسدداً للرُّعاءِ[٥]، وَمُعَطِّل أحْكَام وُدٍّ وسُواع[٦]، أعلَمَ وَعلم وَحَكم وأحكَمَ، وأصل الأصول، ومَهد وأكد الموعود وأوعدَ، أوصل الله له الإكرام، وأودع روحه السلام[٧]، ورحم آله وأهله الكرام، ما لمع رائل[٨] وملع دال[٩] وطلع هلال، وسمع اهْلال[١٠] اعملوا رعاكم الله اصلح الأعمال، واسلكوا مسالك الحلال، وأطرَحوا الحَرام ودَعُوه، وأسْمعوا أمْرَ الله ووعَوه، وَصِلوا الأرْحام وراعوها، وعاصوا[١١] الأهواء واردعوها، وصاهروا أهَلَ الصلاح والوَرَعِ،

---

(١) الركام: السحاب المتراكم بعضه فوق بعض.

(٢) أرمل الشيء: زاد فيه.

(٣) الأواه: الكثير الدعاء والبكاء.

(٤) الصادع: القاضي بين القوم.

(٥) الرعاء: القادة.

(٦) ود وسواع: اسمان لصنمين كانا يعبدان من قبل قوم نوح عليه السلام.

(٧) السلام: الأمان.

(٨) قوله: لمع رائل، ألمع الفرس ونحوها: أشرق ضرعها للحمل واسودت الحلمتان، والرأل: ولد النعام.

(٩) قوله: ملع دال، ملع الفصيل امه: رضعها، والدأل: ابن آوى، الذئب.

(١٠) الإهلال: هو قول لا إله إلاّ الله.

(١١) عاص الأمر: خالفه.

وصارموا[1] رهطَ اللهو والطمع، ومُصاهركم[2] أطْهر الأحرار مولداً وأسراهم[3] سؤدداً[4]، وأحلاهم مورداً، وها هو أمكم[5] وحل حرمكم، مملكا عروسكم المُكرَّمَة، وماهر لها كما مهر رسول الله ﷺ أم سلمه، وهو أكرم صهر أودع الأولاد، وملك ما أراد، وماسها[6] مملكه[7] ولا وهم[8]، ولا وكس[9] ملاحمه[10] ولا وصم[11]، اسأل الله لكم أحماد[12] وصاله، ودوام إسعاده، وألهم كلاً إصلاح حاله، والإعداد لماله ومعاده، وله الحمد السرمد، والمدح لرسوله أحمد ﷺ[13].

هذا وقد ألزم الشيخ إبراهيم الكفعمي[14] نفسه في بعض

---

(١) صارم الشيء: قاطعه.

(٢) المصاهر منكم: المتزوج منكم.

(٣) السري: السيد الشريف السخي.

(٤) السؤدد: الشرف والمجد.

(٥) أمّكم: جاءكم.

(٦) سها: غفل.

(٧) أراد بمملكه: زوجته.

(٨) الوهم: الغلط.

(٩) الوكس: النقض.

(١٠) الملاحم: مفرده الملحمة وهي الوقعة العظيمة.

(١١) الوصم: العيب أو العار.

(١٢) الاحماد: الغاية ومبلغ الجهد.

(١٣) القطرة من بحار مناقب النبي والعترة: ٢/١٧٩.

(١٤) الكفعمي: هو إبراهيم بن علي الحارثي العاملي الحائري (قبل ٨٤٠ ـ ٩٠٥ هـ) ولد في كفرعيما لبنان ـ وتوفي في كربلاء، من أعلام الإمامية =

خطبه بأمور قلما يلتزم بها الخطباء والأدباء[1]، إلى غيرها من الخطب التي لا مجال لسردها، وإنما أردنا بيان نوع الالزام[2].

= وفقهائها وأدبائها، بلغت مؤلفاته ٤٨ مؤلفاً، اشتهر بالمصباح والبلد الأمين.

(١) راجع ترجمته في معجم الشعراء، وفصل الحركة العلمية من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة، وقد ذكر بعض خطبه الأمين في أعيان الشيعة: ٢/١٨٦.

(٢) لا يخفى أن الالتزام بهذا الشكل من الخطب يحتاج إلى قدرة فائقة حتى لا يخرجه من الأهداف التي من أجلها استخدمت الخطابة، وإلا فقدت روحها الهادفة، ومن هنا لا بد من مراعاة هذا الأمر بشكل جدي ـ المعد.

رغم ان الإعلام ظاهرة من ظواهر القرن الرابع عشر الهجري (القرن العشرين الميلادي) إلا أن جذوره ضاربة في أعماق الماضي البعيد وقد شهدت تلك العصور الغابرة أشكالاً مختلفة ومتباينة من أشكال الإعلام.

ففي العصور البدائية استخدم الاعلام عبر الحكماء والمعلمين والمنبئين لاستتباب الوضع الداخلي في كثير من البلاد، وفي بداية عصر التأريخ قام الملوك باستخدام الكهنة للتأثير على أتباعهم عن طريق تزويدهم بمعلومات وأنباء تحببهم في نفوس الأتباع من جهة، وتساعدهم على السيطرة عليهم من جهة أخرى.

وكل الحضارات القديمة استخدمت الاعلام كل حسب طريقته وفهمه فمنهم من كان يجسده عبر الاحتفالات، ومنهم من كان يحققه من خلال إقامة المباني العملاقة كما هو الحال عند فراعنة مصر.

ولكن الذي يجلب الانتباه أن اليونانيين استخدموا فن الخطابة كوسيلة اعلامية لاستقرار حكمهم، وفي هذا المجال يقول

حاتم[1]: «كان الاعلام في العصر اليوناني يتمثل في خطابة الخطباء السياسيين وفي الملاحم التي تروي بطولات الحروب في شعر حماسي كإلياذة هوميروس»[2].

ولدور الخطابة في تكريس الاعلام وضع أفلاطون[3] كتابه الجمهورية حيث أورد فيه ما ينبغي أو لا ينبغي قوله للشعب صغيرهم وكبيرهم في دولة مدينته الفاضلة بفرض السيطرة وضمانة ولاء الشعب للقيادة والنظام.

وهذا سقراط[4] هو الآخر عمد إلى المغالطة في النقاش والخطابة وكان غرضه الاستفادة من الخطابة كوسيلة اعلامية يمكن أن يؤثر عبرها على نفوس الجماهير.

وجاء أرسطو فوضع كتابه البلاغة والذي اعتبر فيما بعد من قبل أهل الفن بأنها دراسة للدعاية الكلامية وكأسلوب فني من أساليب الدعاية، وقد كتب أحدهم عن كتابه هذا قائلاً: «إن

---

(١) حاتم: هو محمد بن عبد القادر، باحث مصري معاصر، له مؤلفات منها: الاعلام والدعاية نظريات وتجارب.

(٢) الاعلام والدعاية نظريات وتجارب: ١٨.

(٣) افلاطون: من مشاهير فلاسفة اليونان (١٠٨٣ ـ ١٠٠٠ ق.هـ) تتلمذ على سقراط وتعلم عنده أرسطو، درس في أثينا، له نظريات فلسفية، من مؤلفاته: الجمهورية، السياسي، المحاورات.

(٤) سقراط: (١١٢٧ ـ ١٠٥٤ ق.هـ) فيلسوف يوناني، ولد في أثينا، وعلّم فيها وأحدث ثورة في الفلسفة بأسلوبه وفكره، حارب السفسطة، وانتقد النظام القائم فاتهمه خصومه بالزندقة، وحكموا عليه بالإعدام فشرب السم ومات في سجنه.

أرسطو يعود بنا إلى الأرض من جديد فهو في كتابه الخطابة يهيىء لنا أول كتاب عن نوع معين من الدعاية وتلك دعاية الاستهواء بطرق الكلام والخطابة وما زال هذا الكتاب يعد دراسة منهجية للدعاية الكلامية من ناحيتها الفنية»[١].

وقد اتخذ الرومانيون أسلوباً آخر للدعاية والإعلام وهو طريق التبشير ولعلهم تعلموها من السيد المسيح عليه السلام الذي كان يسيح في الأرض بغرض التبشير، وما التبشير إلا نوع من أنواع الإعلام أو الدعاية ان صح التعبير.

والعرب في العهد الجاهلي كان لهم أبرز معالم الاعلام وقد تمثل في سوق عكاظ، حيث كانت القبائل العربية ترسل أبلغ شعرائها إعلاماً منها عن فصاحتها، وكان الفخر كله للقبيلة التي يفوز خطباؤها وشعراؤها بالقدح المعلى، وأعلى مراتب الفوز كان نيل نتاجهم الأدبي التعليق في الكعبة في عداد المعلقات.

وأما في الإسلام فالملاحظ أن الخطابة كادت أن تكون الوسيلة الإعلامية الوحيدة في كافة عصورها، فالخلفاء والحكام والملوك والسلاطين والأمراء والرؤساء كلهم استخدموا الخطابة كوسيلة اعلامية بارزة في شتى الحقول، وقد سبق الحديث عنها فلا نكرره وهنا تجدر الإشارة إلى مقارنة سريعة بين الشعر

---

(١) الدعاية لندلي فريزز: ١٨.

والخطابة فنقول إن أفضل مقارنة بينهما هو أن الشعر والخطابة كفتا ميزان يطلق عليهما الاعلام، فقد ترجح الحالة الاجتماعية إحدى الكفتين وتارة تبقيهما متوازيتين، وللجاحظ[1] مقولات عن الشعر والخطابة يقول فيها: «والخطباء كثيرون في الجاهلية والشعراء أكثر منهم، ومن يجمع الشعر والخطابة قليل[2] - ولقد - كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب اعظم قدراً من الشاعر[3] - و - كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويُهوّل على عدوهم ومن غزاهم، ويهيّب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم فَيَهابَهُمْ شاعر غيرهم ويراقب شاعرهم، فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذ الشعر مكسبة ورحلوا به السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر»[4].

---

(١) الجاحظ: هو عمرو بن بحر المكنى بأبي عثمان (نحو ١٥٨ ـ ٢٥٤ هـ) ولد وتوفي في البصرة ودرس فيها، وفي بغداد، من كبار الأدباء، له مؤلفات منها: الحيوان، البخلاء، التاج، إنما لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه.

(٢) البيان والتبيين: ١/ ٤٥.

(٣) البيان والتبيين: ٤/ ٨٣.

(٤) البيان والتبيين: ١/ ٢٤١، راجع تاريخ الأدب العربي لفروخ: ٦/ ٧٦.

كما ان الملاحظ أن الأوروبيين هم الآخرون استخدموا الخطابة كوسيلة اعلامية ناجحة في تهدئة الأوضاع أو إثارتها فقامت على أثرها دول وسقطت أخرى وعقدت معاهدات وانتقضت ثالثة[١].

وللمكانة السامية التي تحتلها الخطابة في مجال الإعلام كان هتلر[٢] يقول دائماً: «إن الزعيم يلزم أن يكون خطيباً وانّ فشل الحزب النازي[٣] في البداية يرجع إلى عدم إجادة الخطابة... وأضاف: كان أول رئيس للحزب الهر هارير[٤] صحفيا لامعا

---

(١) ويذكر الدكتور محمد عبد القادر حاتم، في مجال الدعاية: «وقد برهن جوهر على حسن سياسته حين لجأ إلى الوسائل السلمية في نشر المذهب الفاطمي ولم يلجأ إلى العنف والشدة فاعتمد على المساجد التي اتخذها كمدارس... وعندما وصل المعز إلى مصر استعان بالشعراء في نشر الدعوة كما استعان بداعي الدعاة في مصر لنشر الدعوة وكان يساعده اثنا عشر نقيباً» ـ راجع الاعلام والدعاية: ٧٤ ـ.

(٢) هتلر ادولف: (Hitler) ولد عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) وانتحر عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) زعيم الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) بالمانيا، تولى منصب المستشار بالمانيا عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) ثم رئاسة الدولة عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٤ م) كان من وراء الحرب العالمية الثانية.

(٣) النازية: نسبة إلى النازي (Nazi) اسم أطلق على أعضاء الحزب القومي الاشتراكي في المانيا والذي أسسه هتلر عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)، وقد حكم الحزب النازي المانيا منذ عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م) وحتى عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥م).

(٤) هارير: صحافي سياسي الماني، تولى رئاسة الحزب النازي عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م).

مثقفاً ولكنه كان يجهل مخاطبة الجمهور وإثارة حماسته، وكذلك الهر دركسلر[1] رئيس فرع ميونيخ الذي لم يكن هو الآخر ذا موهبة خطابية»[2].

أما متى بدأ اهتمام الغربيين والتكتلات الحزبية أو غيرها بالإعلام وأصبحوا يبذلون الأموال بسخاء لتأسيس المؤسسات الضخمة والشبكات العملاقة لغزو العالم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وذلك لكسب الرأي العام والذي هو الضمانة الرئيسية لإقامة الدول وإمرار السياسات باختلاف اشكالها.

والحقيقة أن القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) كان عصر الانعطاف الخطير نحو الاعلام وذلك عندما ظهرت الطباعة الحديثة فولدت عنها الظاهرة الاعلامية الأولى وهي الصحافة، وبقيت الصحافة تلعب الدور الأساس في الاعلام دون مزاحم يذكر حتىٰ أوائل القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) وبالتحديد عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) عندما استخدم الأميركيون المذياع (الراديو)[3] كوسيلة

---

(١) دركسلر: سياسي الماني من أعضاء الحزب النازي، تولىٰ بعض المهام الحزبية والسياسية في المانيا.

(٢) الاعلام والدعاية: ٢٣٦، ويذكر أن هتلر عمد إلى إلقاء خطبه ليلاً وذلك للتأثير النفسي، وقال في ذلك: «فقد تعلمت أن محاضرة في موضوع معين يلقيها المحاضر ليلاً يكون لها وقع أشد مما لو ألقاها في النهار» كما انه كان يحرص دائماً على الارتجال في خطبه، وانتقد الخطباء الذين يقرأون من على الورق ـ راجع الاعلام والدعاية: ٢٤٠.

(٣) ذكر ادوارد شوفي كتابه: Dxing According to Nawa أن مخترع المذياع =

اعلامية فاقت أهميتها على الصحافة، فمنذ ذلك الوقت أصبحت الإذاعة المسموعة الوسيلة الأكثر خطورة في عالم الاعلام، ومع هذا لم يتوقف التطور إلى هذا الحد بل عندما اكتشف جهاز التلفاز عام ١٣٤٤ هـ[1] اعتبر انعطافاً خطيراً في المجال الاعلامي وعدّوه غزواً مباشراً للأسر والتجمعات، وزاد الأمر أهمية عندما تطور جهاز التلفاز ليصبح البث بالألوان فكان له الأثر البالغ في السيطرة على الرأي العام، وكان اختراعه قد تم عام ١٣٦٣ هـ[2].

وعلى أي حال فقد أخذ التلفاز الدور الأول والرائد منذ ظهوره وزادت أهميته عندما أطلقت الأقمار الصناعية إلى الفضاء

= (الراديو) هو كوكليلمو ماركوني وذلك في كانون الأول من عام ١٩٠١م (رمضان ١٣١٩هـ)، راجع جريدة The Sotsman الصادرة في ١٨/٤/١٩٩٨ (محرم ١٤١٩هـ).

(١) في عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) اخترع السيد جون لوكي برد البريطاني Jonh logic Baird ١٣٠٥ ـ ١٣٦٥ هـ (١٨٨٨ ـ ١٩٤٦ م) التلفاز وعرضه عام ١٣٤٤ هـ الموافق ٢٧/١/١٩٢٦ م، ويدعي الأميريكون أن فيلو فارنزورث المتوفى عام ١٩٧١م (١٣٩١هـ) هو الذي صنع التلفاز عام ١٩٢٠م (١٣٣٨هـ) وهو في الرابعة عشر من عمره، إلا أن البداية الحقيقية كانت عام ١٩٢٧م (١٣٤٦هـ).

(٢) في جريدة (Seattle Times) الصادرة في يوم الجمعة ١٩/٣/١٩٩٩م (ذو القعدة ١٤١٩هـ) إن البداية كانت عام ١٩٤٤م (١٣٦٣هـ) وذلك أن أستاذ الفيزياء بجامعة جنوب كاليفورنيا السيد ويلارد كير قام باختراع التلفاز الملون، إلا أنه دخل في صراع مع بعض المؤسسات فباع اختراعه هذا عام ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ) إلى شركة (Technicolor Motion Picture Corp).

وتمكن البث عبرها إلى أكثر نقاط العالم بعد أن تم اختراعه عام ١٣٧٦ هـ[١].

ولم يتوقف التقدم الآلي إلى هذا الحد بل اخترع علماء أمريكيون بطلب من وزارة الدفاع شبكة الاتصال الآلي (الانترنيت) بغرض استخدامها في الحرب النووية الاحتمالية كآلة اتصال بين وحدات الجيش وقطعات الجنود المنتشرة بالسرعة المطلوبة[٢]. هذا ولا ننسى الدور الإعلامي للمسرح والسينما[٣] عبر الأفلام والمسلسلات[٤].

---

(١) أوردت مجلة (Popular Elcctroniss) في عددها الصادر في حزيران ١٩٩٧م (ربيع الأول ١٤١٩هـ) أنه في عام ١٩٥٧م (١٣٧٦هـ) اخترع شارلز كولبي نظام البث الفضائي حيث صنع نموذجاً لـ (D.B.S) وقدمه كمشروع في المعرض العلمي لمدرسته الثانوية وله من العمر ١٥ سنة.

(٢) جاء عبر (شبكة الاتصال الآلي) أن البداية كانت في عام ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ) عندما أسست أربع جامعات شبكة (Arpinct) بتمويل من وزارة الدفاع الأمريكية، وكانت تستخدم فقط من قبل الوزارة، إلا أن الجامعات ومؤسسات أخرى بدأت بالانضمام إليها، فتطورت إلى ما يعرف الآن بالإنترنيت، وفي الثمانينيات أي أواخر القرن ١٤ الهجري بدأت الشركات التجارية بالانضمام إلى هذه الشبكة فشاعت.

(٣) جاء في الاعلام الدولي: ٧ لدى الحديث عن تأثير السينما؛ «أما السينما فلها تأثيرها، ويكفي أن نشير إلى أن المخابرات الأمريكية عندما وزعت فيلم جريتا جاربو «نيوتشكا» في الأماكن الحساسة سياسياً في إيطاليا قبل انتخابات عام ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) تمكنت من تحويل عدد كبير من الناخبين عن الحزب الشيوعي».

(٤) وعلى أي حال فلا بد أن تكون المقاومة للتيارات المستوردة تكون لا أقل على شاكلتها وفي الحديث الشريف كما ورد في الإسلام والتفكير السياسي ٥٩: «حارب عدوك بسلاحه».

المفردات المستخدمة وفوارقها

يتساءل المرء عن الفرق بين الاعلان والاعلام والدعاية والتي يعايشها يومياً عبر العديد من الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، وللوصول إلى حقيقتها يحتاج مناقشة طويلة، إلا أنه يمكن اختصارها في الأسطر التالية:

المفردات في اللغة:

١ ـ الإعلان: هو الإظهار.

٢ ـ الإعلام: هو الإخبار.

٣ ـ الدعاية: هو التبليغ والتبشير (الدعوة).

فالأولان مصدران من باب الأفعال والثالث مصدر من باب فَعَل الدال على الحرفة كالزراعة.

وأما أهل الفن فقد اختلفوا في تعريف هذه المفردات إلى أقوال وآراء لكن أقربها بعد التعديل كالتالي:

الإعلان: هو فن الإغراء والإيحاء غير المباشر، وعليه فلا يمكن عد الإعلان إخباراً.

الإعلام: هو فن التعبير الموضوعي للخبر ومعالجته في إطار عقلية الجماهير بميولاتها المختلفة[1].

---

(١) راجع ـ الإعلام له مفاهيمه ومذاهبه: ٢٣، الإعلاميا: ٩.

الدعاية: هو فن التأثير والممارسة والسيطرة والالحاح والتغيير والترغيب[1].

وإذا ما أردنا تطبيق هذه المفردات على أرض الواقع لوجدنا أن الاعلام والدعاية صادقتان على الخطابة وبالأخص الحسينية منها، حيث إن الخطيب لابد وأن يكون تعبيره بشكل موضوعي يتناسب وعقلية الجماهير المحتشدة ذات الاتجاهات المختلفة، ومن جهة أخرى فإن الهدف من ذلك هو ممارسة تغيير الجماهير نحو الأفضل وإلى مافيه خيرهم.

إذاً الخطابة وسيلة من الوسائل الاعلامية وأسلوب من أساليب الدعاية النزيهة.

ولا يخفىٰ أن وسائل الاعلام لا تنحصر في الخطابة بل إن هناك وسائل متعددة إلا أن جوهرها واحد، فالإذاعة والشاشة الصغيرة «التلفزة» وشبكة الاتصال الدولي «الانترنيت» والصحف بأنواعها المختلفة كلها وسائل اعلامية إلا أن مآلها إلى الخطابة، فما يكتب في الصحف فهي المقالة المقروءة وهي خطاب مكتوب، وأما ما يلقىٰ في الإذاعات فهو خطاب مسموع وأما ما ينشر عبر التلفاز فهو خطاب مقروء ومسموع معاً.

إذاً فدور الخطابة وأهميتها لم ينته بعد، بل تعددت جوانبها وأساليبها، فبدلاً من أن يقوم شخص بإلقاء الخطب المباشرة تحول إلى خطاب عبر الآلات وبدلاً من أن يتجول شخص

---

(١) الاعلام والدعاية: ١٣٩.

للدعاية والتبشير تقوم الوسائل الحديثة المعروفة بالتجوال في كافة البيوت والمراكز العامة.

وهنا أود أن أشير إلى ضرورة اختراق الخطابة الحسينية كافة المجالات الإعلامية وترصد لكل الوسائل الحديثة التي سوف تطرق أبواب مجتمعاتنا في المستقبل القريب أو البعيد، ومواكبة التطور على الدوام.

وقد سعت مجموعة من الخطباء الحسينيين في إيران في القرن الماضي إلى استخدام الإذاعة المسموعة لأول مرة، حيث كانت إذاعة طهران الرسمية تبث في المناسبات كأيام محرم وصفر وشهر رمضان خطابات عدد من الخطباء منهم الشيخ الراشد(١) والشيخ الرفائي(٢) والشيخ الفلسفي(٣) والشيخ المهاجراني(٤) والشيخ

---

(١) الراشد: هو حسين علي بن عباس، ولد في قرية حيدري من نواحي خراسان عام ١٣٢٤ هـ، درس في مشهد العلوم الحوزوية والجامعية، من الخطباء المعروفين في إيران، كان استاذاً محاضراً في كلية سپهسالار في الحكمة والفلسفة، في عام ١٣٦٠ هـ طلبت منه محطة إذاعة طهران ولأول مرة أن يلقي محاضراته بمناسبة محرم الحرام وليالي الجمعة عبرها، فلبىٰ طلبها، توفي عام ١٤٠١ هـ.

(٢) الرفائي.

(٣) الفلسفي: هو الشيخ محمد تقي ـ مضت ترجمته ـ.

(٤) المهاجراني: هو عباس بن الحسين، ولد في همدان عام ١٣٤٥ هـ ودرس في طهران وقم على علمائها، تخرج من جامعة طهران، وتخصص في الفلسفة، شارك في أكثر من ثلاثين مؤتمراً، أنشأ مجلة الفكر الإسلامي عام ١٣٩١ هـ، أديب شاعر باللغتين الفارسية والعربية، من مؤلفاته: آئينه قرن چهارم أبو حيان توحيدي، أخلاق در شعر حافظ =

النوغاني[1] والسيد عرب شاهي[2]. والسيد السرابي[3] والسيد الفاطمي[4] والسيد الحجازي[5]، وبعد انتصار الثورة في إيران عام ١٤٠٠ هـ فقد دخلت الخطابة الحسينية في الوسائل الاعلامية من بابها الواسع.

كما قامت لجنة اعلامية في كربلاء لأول مرة ببث المقتل الحسيني بقراءة الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي عبر إذاعة بغداد الرسمية منذ عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) وعملت أيضاً على بثّها من الاذاعات الرسمية التالية: إذاعة أهواز العربية، إذاعة طهران العربية، إذاعة البحرين، إذاعة الكويت، إذاعة بيروت، إذاعة القاهرة.

= شيرازي، المجدد في حديث من يجدد، سكن منذ عام ١٤٠٣ هـ لندن، منذ ثلاثين عاماً يستخدم الإذاعة الصوتية والمرئية في المجال الخطابي.

(١) النوغاني: محمد رضا بن محمد حسين، ولد عام ١٣٤٢ هـ، سكن مشهد، خطيب مفوه، أديب كاتب، له مقالات نشرت في مجلة پرچم إسلام، ومكتب إسلام، سكن لندن عام ١٣٩٩ هـ.

(٢) عرب شاهي: هو محمد باقر السبزواري، ولد في سبزوار، ودرس في مشهد، وسكن طهران، توفي نحو عام ١٤٠٢ هـ.

(٣) السرابي: هو مصطفى السجادي الخراساني المتوفىٰ نحو عام ١٣٩٤ هـ، كان خطيباً مفوهاً ومتكلماً بارعاً عرفته إيران بذلك.

(٤) الفاطمي: هو رضا، ولد في شيراز وسكن طهران ودرس بها وتخرج من جامعتها توفي عام ١٤١٢ هـ.

(٥) الحجازي: هو عبد الرضا، (نحو ١٣٣٢ ـ ١٤١٠ هـ) سكن طهران، خطيب مفوه، وأديب كاتب، له مقالات نشرت في الصحف المحلية، من آثاره: سيستم اقتصادي إسلام، رسالة القرآن در عصر فضا، وولد في شهر رمضان، درس في قم، وتوفي في طهران.

وكان للخطيب الشيخ أحمد الوائلي خطابات ثقافية اسلامية تبث عبر القناة الاولى من التلفزة العراقية ببغداد في التسعينيات الهجرية (السبعينيات الميلادية).

هذا وقد تبنّت الكلية العاملية ببيروت بث المقتل الحسيني بقراءة الخطيب نجيب زهر الدين[1] طيلة عقدين من الزمن ولا زالت، وفي دمشق تولى الشيخ علي الجمّال[2] هذه المهمة، كما بثت إذاعة الخرطوم الرسمية المقتل الحسيني بقراءة الخطيب الشيخ عبد الحميد المهاجر ١٤١٧ هـ إلى جانب عدد من الإذاعات الرسمية وغير الرسمية التي بثت للشيخ المهاجر عدداً من خطاباته الحسينية ومحاضراته الإسلامية عبر عدد من الإذاعات الناطقة بالعربية في عدد من دول افريقيا ولبنان وإيران وأمريكا واستراليا والخليج والإذاعة العربية من لندن.

وقد تمكن الشيخ المهاجر أيضاً من اختراق الوسائل الاعلامية المرئية لأول مرة حيث بثت المحطات الأمريكية غير الرسمية محاضراته الحسينية عام ١٣٩٨ هـ[3] ومحطات التلفزة

---

(١) نجيب زهر الدين العاملي: كان يمارس تعليم مادة الدين في مدارس «العاملية» في بيروت إلى جانب الخطابة، توفي عام ١٤١٧ هـ وتولى قراءة المقتل بعده الأستاذ عباس الفتوني.

(٢) علي الجمال: هو محمد علي بن صالح، اشتهر بعلي الجمّال (١٣١٣ ـ ١٤٠٤ هـ)، خطيب مفوه في دمشق، وامام جامع الزهراء في حي الأمين، وأديب كاتب لازم السيد محسن الأمين، له كتاب أثر وقعة كربلاء.

(٣) الموافق للشهر العاشر من عام ١٩٧١ م.

اللبنانية عام ١٤١٠ هـ، كما تمكن من مواصلة إلقاء خطبه عبر المحطات الرسمية في كل من طهران وأهواز العربيتين عام ١٤٠٠ هـ ومحطة نيجيريا عام ١٤٠٧ هـ والقناة السابعة في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٤٠٨ هـ ومحطة التلفاز بزائير وغامبيا عام ١٤٠٩ هـ وسوريا عام ١٤١٤ هـ وساحل العاج عام ١٤١٥ هـ، والكويت من عام ١٤١٠ هـ ـ ١٤١٦ هـ واستراليا عام ١٤١٧ هـ.

كما بثت القنواة الفضائية التالية: دبي عام ١٤١٦ هـ والقائم من لندن عام ١٤١٧ هـ، السورية من دمشق منذ عام ١٤١٤ هـ، ومحطة الرشاد من لندن منذ عام ١٤١٩ هـ، ولا زال يواصل جهوداً مضنية لإيصال صوت أهل البيت عليهم السلام عبر الوسائل الحديثة[1].

ومن الوجهة الثانية الدعاية وأهمية دورها، فقد مثلها أحد الاعلاميين بقوله: هي أشبه ما تكون بعملية ضغط اسموذي[2] يكون فيها الفكر بمثابة السائل والعقل بمثابة القنوات، أي أن العقل يرشح ما يتلقاه من فكر، وهي عملية مستمرة وسهلة، فيتقبلها ولو لمدة معينة، وأي إذاعة كبيرة تلجأ دائماً إلى الدعاية ينطبق عليها هذا الوصف، وعلى النقيض من ذلك نجد نوعاً من

---

(١) وهذه السنة بالذات أعني عاشوراء سنة ١٤٢٥هـ بثت على أقل تقدير (١٧) فضائية عربية وقائع عاشوراء، بالإضافة إلى الكثير من الفضائيات والأرضيات واكبت أخبارها، هذا مضافاً إلى الفضائيات غير العربية، وهذا يحصل لأول مرة، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ـ المعد.

(٢) اسموذي: كلمة انكليزية «Smooth» بمعنى الأملس والناعم، رقيق غير مصحوب بارتجاج أو نخع أو جلبة.

الاعلام أشبه ما يكون بقنبلة متفجرة أو ستار من المدفعية الثقيلة، وهو بهذا الوصف يعتبر اليد الطولى للدبلوماسية العتيقة الهجومية، أو لحركات التحرير الوطنية، وهناك نوع ثالث من الاعلام (الدعاية) البطيء الذي يترسب تدريجياً في ذهن المستمع، وهذه الأنواع الثلاثة من الاعلام لها فاعليتها وإيجابيتها ويقاس مفعولها بما يرغب الداعية في تحقيقه من وراء رسالته، وكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة يصلح لحالات دون أخرىٰ وأوقات دون غيرها[1].

(١) الإعلام الدولي: ٢١٤.

دور الخطباء في التبشير

ولا شك أن من أهم وسائل التبشير والتبليغ هو الخطابة منذ أن خلق الإنسان، وسيظل هذا الدور يحتفظ بمكانته إلى أن ينتهي دور الإنسان في هذه الحياة. وإذا ما وظف الخطيب جهده في التبشير الإسلامي وجنّد كل طاقاته لذلك فإنه لاشك تكون النتائج مرضية للغاية، ولأجل هذا الدور التبشيري حوربت المجالس الحسينية من قبل الطغاة والحكام عبر التاريخ كله، ولولا الخطباء الحسينيون لما تبصرت القبائل الفراتية في العراق إلى يومنا هذا ولما كان لمذهب أهل البيت عليهم السلام هذا العدد الكبير من الموالين في أنحاء العالم، وممن يشير إلى هذا الدور النفيسي[1] بقوله:

إن القبائل السنيّة التي نزحت إلى العراق من مواطنها في البادية الجنوبية في أثناء الحكم العثماني كانت بعد توطنها، تعتنق المذهب الشيعي[2]، وقد جاء

---

(١) النفيسي: هو عبد الله بن فهد، ولد حدود سنة ١٣٥٥هـ، كاتب كويتي معاصر، له عدة دراسات نشرت في الصحف العربية، من مصنفاته: عندما يحكم الإسلام، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث.

(٢) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث: ٦٩ عن عنوان المجد للحيدري: ٣.

الحيدري[١] في مصنّفه[٢] على ذكر معظم القبائل المعروفة التي اعتنقت المذهب الشيعي في العراق، ومنها الخزاعل[٣] (منذ ١٥٠ سنة) وتميم[٤] (منذ ٦٠ سنة) وزبيد[٥] (منذ ٦٠ سنة) وكعب[٦] (منذ ١٠٠ سنة) وربيعة[٧] (منذ ٧٠ سنة)، أما القبائل الأخرى المعروفة كقبيلة البو محمد[٨]، وبنو

---

(١) الحيدري: هو إبراهيم بن صبغة الله من مواليد بغداد، ومن كتّابها في القرن ١٣ هـ (١٨ م) ولا يخفى أن هناك عائلتين إحداهما من الإمامية الهاشميين وهي في الكاظمية، وأخراهما من أحد المذاهب الإسلامية الأخرى سكنت بغداد والمترجم منها.

(٢) مصنفه: هو كتاب عنوان المجد في تاريخ البصرة وبغداد ونجد.

(٣) الخزاعل: أصلها من خزاعة، من اجدادهم الشاعر دعبل الخزاعي، والثائر سليمان بن صرد الخزاعي، رحلت هذه العشيرة من اليمن إلى الشام ومنها إلى العراق وسكنت الديوانية وجنوب إيران.

(٤) بنو تميم: هم من القبائل العدنانية سكن قسم كبير منهم العراق وأفخاذها المتواجدة في العراق تفوق على ٢٥ فخذاً.

(٥) زبيد: من عشائر الحلة، وأصلها من اليمن، انتقل قسم منهم إلى العراق، وسكنوا ما بين المسيب والحلة، ويقطن قسم منهم على شط نهر دجلة، أهم بطونها: المعامرة، الجحيث، البو سلطان.

(٦) بنو كعب: نسبة إلى كعب بن لؤي بن غالب، وهم بطن من النخع من مذحج من القحطانية، انتشرت أولاً في العراق ثم في جنوب إيران.

(٧) ربيعة: تنتشر في المنتفق ولواء العمارة والبصرة والحويزة، والكوت، تعرف بربيعة الفرس، ونخوتها تغالبة ثم سعدى.

(٨) البو محمد: من العشائر المتصلة بكعب، وهم من زبيد من العزة، تسكن في جنوب العراق وجنوب إيران ـ خوزستان ـ.

عمير[١]، والخزرج[٢]، وشمّر طوجا[٣]، والدفافعة[٤] وبنو لام[٥]وآل أقرع[٦] والبدير[٧] وعفق[٨] والجبور[٩] والشليحات[١٠]،

---

(١) بنو عمير: من عشائر ربيعة، تسكن بين دجلة والغراف من أنحاء الكوت في الجانب الأيمن من دجلة في الفيصلية.

(٢) بنو الخزرج: نسبة إلى الخزرج بن حارثة بن ثعلبة البهلول، وهم بطن من الأزد القحطانية، ومنذ العهد الجاهلي انتشروا في العراق، وأفخاذهم في العراق تربو على خمسة أفخاذ.

(٣) شمّر طوجا: أو شمر طوقه (طوگه) أفخاذ من قبائل شمرية أصابتها جائحة (جدب) فعزمت على الهجرة وكان نزوحهم إلى العراق في عهد المماليك.

(٤) الدفافعة: يدعون أنهم من عبادة ـ كما في المصادر ـ، وقيل انهم من عبودة من العجرش، لهم عدد من الأفخاذ.

(٥) بنو اللام: من عشائر طي، أصلها من اليمن سكنت الحجاز ثم استوطنت العراق وذلك في القرن الثامن الهجري، من أفخاذها آل نصار، آل نصيري، الحويفظ، الغزي، الجوارين، والجشعم.

(٦) آل أقرع: يسكنون الدغارة، أصلهم من شمّر، وهم أخوان البوحسان، لهم أيام مشهورة.

(٧) بدير: من عشائر الديوانية، تقطن في بزايز شط الدغارة وشط الحلة، نزح أكثرهم إلى لواء المنتفك وسكنوا أراضي السّاعين، ويقيم قسم منهم في قضاء الهندية (طوريج).

(٨) عفك (عفق): من عشائر الديوانية يرجع أصلها إلى باهلة، قصدت العراق من نجد، من أهم أفخاذها: آل غانم، البحاحثة، آل حمزة، المخاضرة، آل شيبة، آلبو ناشي، البراجع، المجاتيب، وآل حاجي طرفة.

(٩) جبور: من عشائر زبيد الأصغر المنتشرة في أنحاء عديدة من العراق وتنقسم إلى أكثر من خمسة أفخاذ.

(١٠) الشليحات: ويقال لها الشلوح، عشيرة من الأحامدة من النعيمات.

فإنها اعتنقت المذهب الشيعي أيضاً، ولكن لا يُعرف على وجه التدقيق التاريخ الذي فيه تمَّ اعتناقهم هذا المذهب، وقد عزا المؤرّخون العراقيون في القرن التاسع عشر (الرابع عشر الهجري) هذه الظاهرة ـ اعتناق القبائل النازحة المذهب الشيعي ـ إلى نشاط الدعاة والوعّاظ الشيعيين الذين كانوا يغادرون الأماكن المقدّسة مثل النجف وكربلاء وسامراء للعمل التبشيري بينها، وعلى الرغم من أن الحلّة لا تعتبر من الأماكن المقدَّسة لدى الشيعة فإنها كانت ولا تزال مركزاً للنشاط التبشيري بين القبائل، يقول ابن سَنَدْ البصري[1]، عند كلامه عن قبيلة زبيد أنها كانت أصلاً قبيلة سنية غير أنها أصبحت شيعية بفضل نشاط الدعاة الذين عملوا بين ظهرانيهم، مع العِلم أن الدعاة الشيعيين يتدربون على هذا العمل ويمارسونه بجدّ وكفاءة[2]، ويقول إنه بعث بالتماس إلى الباب العالي[3] يطلب فيه وضع حدّ لهذا النشاط التبشيري، وذلك بإيفاد علماء من السُنّة إلى القبائل والأرياف العراقية حيث لم يبلغ النشاط الشيعي بعد ذروته كي يتعهّدوها بالتعليم الديني السنّي[4].

---

(١) ابن سند البصري: هو عثمان الملقب ببدر الدين النجدي (١١٨٠ ـ بعد ١٢٤٢ هـ) أديب شاعر ومؤرخ كاتب، ولد في نجد، سكن البصرة وبغداد، قيل إنه مالكي وقيل إنه حنبلي المذهب إلا أن المتفق أنه كان من المتصوفة.

(٢) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث: ٦٩ عن مطالع السعود لابن سند البصري: ١٦٩.

(٣) الباب العالي: لقب اشتهر به بلاط السلطان العثماني في الاستانة. ومن ثم مقر الصدر الأعظم منذ عام ١١٣١ هـ (١٧١٨ م).

(٤) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث: ٦٩.

ويذكر أن البريطانيين قاموا بإبعاد المراجع والعلماء من كربلاء المقدسة والنجف الأشرف إلى إيران أيام كان متصرف كربلاء مولود مخلص[1] ومدير الشرطة صالح حمام[2] بعدما اعتقلوهم، وما أن وصلوا إلى إيران إلاّ واستغل الخطباء وجودهم في أول محرم من عام ١٣٤٢ هـ[3] وأخذوا يثيرون الناس عبر المنابر الحسينية[4] ضد الانكليز ويدعونهم إلى إقامة المظاهرات ومقاطعة البضائع الانكليزية المتواجدة في إيران مما دفع الوزير البريطاني المفوض في طهران السيد لورين[5] أن يعمل لأجل عودة العلماء إلى العراق وأن يبعث ببرقية مطولة إلى وزير

---

(١) مولود مخلص باشا: هو ابن شعبان التكريتي الموصلي (١٣٠٣ ـ ١٣٧٠ هـ) ضابط عراقي اشتهر خلال الحرب العالمية الأولى، ولد في الموصل ودرس العسكرية في بغداد واستامبول، تولى متصرفية كربلاء (١٣٤١ ـ ١٣٤٣ هـ) توفي في بيروت ودفن في بغداد.

(٢) صالح حمام: شغل منصب وكيل لقائم مقام النجف أيام حكومة رشيد عالي الكيلاني عام ١٣٦٠ هـ وأصبح قائم مقائم النجف أيام حكومة صالح جبر.

(٣) الموافق لـ ١٤/٨/١٩٢٣ م.

(٤) لا شك أن لهذه المنابر الحسينية التي بدأت بالإمام السجاد عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام ولا زالت مستمرة وستبقى إن شاء الله على النهج الذي رسمه قادتنا منيرة الدرب للأمة ومزيلة للشكوك التي يبثها الأعداء ومتصدية للنيل بالإسلام والمسلمين لا شك أن لها فاعليتها، ومما يؤكد فاعليتها هو محاولة القضاء عليها من قبل أعداء الأمة الإسلامية المتربصين بهم ـ المعد.

(٥) لورين Lorrain.

الخارجية البريطانية يشرح فيها الموقف المتأزم في إيران من جراء تسفير العلماء، وأحدث هذا الحدث ضجة في بريطانيا بحد ذاته[1].

(١) تجربة الثورة الإسلامية في العراق: ٨٧.

مسؤولية الخطيب وموقعه

إن الذبذبات الصوتية خُلقت لتحمل رسالتها إلى النفوس الإنسانية بالذات، والكلام بشكل عام له تأثير بليغ في النفوس وقد ناقشنا ذلك في محله[1]، والخطابة بشكل خاص لها تأثير أبلغ في نفوس المستمعين وتزداد النسبة كلما أطرت بأطر الجدية والواقعية والحقيقة، فإذا خرجت من القلب دخلت إلى القلب، وهذا لا يعني أن الكلمة الخبيثة لا تترك أثرها في النفوس بل الصحيح أن أيّ كلمة سواء أكانت خبيثة أو طيبة إذا أطرت بتلك الأطر فإن نسبة تأثيرها ونجاحها ستكون عالية، ولا شك أن الذي يغرس الشوك لا يحصد غيره، ومن يزرع الورد لا يجني سواه، وقد عبر الله تبارك وتعالى عن نتائج هاتين الكلمتين وعن المعادلة بشكل عام بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[2].

---

(١) راجع فصل الإيحاء من مقدمة باب الرؤيا من هذه الموسوعة.

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

إذاً فالخطيب مسؤول عن كلمته وعليه أن يصنف كلامه ليجده من أي الصنفين هو، إذ أن كلا من الإنحراف والإصلاح يبدأ بكلمة، ورب كلمة قادت صاحبها إلى حبل المشنقة أو صرفته عنه، وقد روي في هذا المجال عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث الرقبة المشهور[1].

قال جامي[2]: كلمات أربع صدرن من ملوك أربعة وكأنها سهم واحد رماه أربعة رماة من قوس واحد، أولها لكسرى إيران: «لم أندم أبداً على ما لم أتفوه به، ورب قول مرّغني بالتراب والدم من ندمه».

ثانيها لقيصر الروم: «سلطاني على ما لم أتفوه به أكثر منه على ما تفوهت به».

وثالثها لخاقان الصين: «ربما كان قلقي على ما أبحته أصعب منه على ما كتمته».

ورابعها لراجة الهند: «كل ما لفظه لساني خرج من سلطاني»[3].

---

(١) نُسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام العبارة التالية: «لوددت أن لي رقبة كرقبة البعير حتى لا يخرج الكلام إلا بعد حكمة ورويّة». ورغم اشتهارها عنه إلا أننا لم نعثر عليها في أمّات المصادر.

(٢) جامي: هو عبد الرحمان بن أحمد بن محمد الدشتي (٨١٧ ـ ٨٩٨ هـ) ولد في بلدة جام من بلاد ما وراء النهر وتوفي في هرات افغانستان، شاعر صوفي، ونحوي صرفي، ومؤلف قدير، ومن مؤلفاته: سبحة الأبرار، نفحات القدس، شواهد النبوة.

(٣) آداب سخن: ٢١ عن كتاب بهارستان لجامي.

ويقول سعدي[1]: «لا شيء أحق بطول الحبس من اللسان»[2].

وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك[3] فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة»[4].

والخطيب الحسيني باعتباره مرشداً روحياً يتلقى الناس كلمته بهالة من القدسية ويستخدمونها كحجة في أعمالهم ولها تأثير مباشر في سلوكيتهم، وكلما تحدثنا عن هذه الناحية كلما ازدادت مسؤولية الخطيب والتي ترتكز على توجيه الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم ويصرفهم عن الفساد والمنكر بكل وجوههما، وقد بين الله الكلمة الحسنة بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[5].

فالخطيب من هذه الناحية خليفة الأنبياء والأئمة وممارسته للخطابة الملتزمة هي امتداد لخطهم، حيث كانوا يأمرون أتباعهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر عبر الخطابة ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم.

---

(١) سعدي: هو ابن عبد الله الشيرازي (٥٧١ ـ ٦٩١ هـ) كان من الشعراء المعمرين، ولد وتوفي في شيراز، من مؤلفاته التي اشتهر بها: كلستان سعدي، وبوستان سعدي.

(٢) آداب سخن: ٣٢.

(٣) الورق: الفضة، وهي تستخدم كعملة نقدية.

(٤) معجم ألفاظ غرر الحكم ودرر الكلم: ١١٧٠.

(٥) سورة فصلت الآية: ٣٣.

ومن هذا المنطلق فلا بد للخطيب أن لا يداهن السلطات الجائرة والزعامات الزائفة أو يتقاعس عن قول كلمة الحق، حيث ان الساكت عن الحق شيطان أخرس[١] فما المنبر وبالأخص الحسيني منه إلا مدرسة جهاد سيارة ووسيلة دفاع عن الحق، وما الخطابة إلاّ رسالة هدفها الإصلاح وجامعة متنوعة المعارف، فمن استخفّها فقد استخفّ نفسه، ومن استخدمها في مآرب السلطان افتضح، فمن لا يمتلك الشجاعة الكافية بل كل القدرات المطلوبة في الخطابة فهو متطفل عليها.

وهذا لا يعني بالطبع أن لا تراعى في الخطابة الحكمة وحسن الاداء المطلوبان فيها، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[٢] إذاً فالخطابة ليست عقداً يبرمه صاحب المأتم مع الخطيب فيملي عليه شروطه، بل هي واجب كفائي شرعي، قد يرتقي إلى العيني فيما إذا انحصر فيه من حيث النوعية أو الشخصية أو الزمان والمكان، والظروف، فما يعتذر به بعض الخطباء عند عدم قيامهم بدورهم الشرعي أو الاجتماعي بأن صاحب المأتم قد اشترط عليه ببعض الشروط بحجة أن المؤمنين عند شروطهم فمردود، لأن الشرط حتى إذا كان ضمن عقد لازم، لا يكون ملزماً فيما إذا أدى إلى نقض الغرض من جهة أو أوجب الاخلال ببعض الواجبات الشرعية من جهة أخرى، نعم يكون الشرط ملزماً في غير هذين الموردين إلى جانب

---

(١) حديث مشهور لم نعثر على مصدر له فيما لدينا من مصادر.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

مراعاة بقية الشروط المذكورة في محله لتنجز الشرط.

فلو أن أحدهم اشترط على الخطيب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو نَهوهُ عن توجيه الناس إلى الصلاح، أو اشترطوا عليه مدح السلطان الجائر مثلاً، فالعقد المبرم بينهما باطل أو الشرط غير ملزم على خلاف في المسألة، وهو كما لو باع البائع بيته واشترط عليه أن لا تنتقل إليه الملكية أو اشترط عليه ترك الصلاة مثلاً، نعم يمكنه أن يشترط على الخطيب أن لا يطيل أو يحدده بوقت أو ما شابه ذلك[1].

(١) لا شك أن مسؤولية الخطيب كبيرة وجسيمة بعد ما نالت مكانة عليا وأصبحت المؤسسة الإعلامية الطبيعية في كل مراحلها للأمة، وكانت ولا زالت لسان المرجعية الناطقة، والتي يعنيها كل ما يهم الإسلام والمسلمين في أي بقعة في العالم، وبمقدار ما هي ناجعة فهي مسؤولة عن أي انحراف بالدرجة الأولى، وبالتقاعس بالدرجة الثانية ـ المعد.

مكانة الخطيب

إن الخطيب المثالي هو الذي يتقمّص المسؤولية بكل ما للكلمة من معنىٰ، ولا بد أن يضع أمام عينيه أنه سيحاسب إن عاجلاً وإن آجلاً ويقف أمام محكمة التاريخ ثم محكمة العدل المطلق وينادي مناد الحق قفوهم انهم مسؤولون[1] ويسأل عن تلك اللحظات التي استقطعها من عمر[2] ذلك المستمع المسكين التي لا تعوض بثمن بل لا يمكن تداركه بأي شكل من الأشكال، تلك اللحظات التي حرفت مسيرة تاريخه وكل الحلقات التي يدور فيها، ولنمثل بمثال بسيط وخفيف للغاية، فلو أن خطيباً ارتقى الأعواد المنبرية لمدة ساعة على فرض المثال ولم يتمكن من الوفاء بالغرض المطلوب فيها فإن هذه الفترة الزمنية التي استقطعت من عمر كل من استمع إليه ذهبت هباءً، فإذا أراد الخطيب أن يعوضها له بساعة أخرىٰ أترى هل هو قادر على ذلك، وهل يمكن معادلته بساعة أخرىٰ بدلاً من تلك فالجواب كلا وألف كلا لأن تلك الساعة، جزء من الزمان الذي ذهب

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

(٢) في الحديث: «إن أول ما يسأل الإنسان يوم القيامة عن عمره فيما أفناه» وما العمر إلا عبارة عن الزمان، ومن ذلك يتبين مدى أهمية الزمان.

وليس للخطيب إمكانية إرجاعه أو إضافة ساعة أخرى على عمر المستمع، هذا بغض النظر عن عدم إمكانية محو الآثار السلبية التي ترتبت على تلك الساعة ولا يمكن للخطيب أيضاً حصر مضاعفاته، ومن هذا المنطلق فإن مسألة الوقت بالذات مسألة حساسة للغاية لا بد للخطيب مراعاتها، وعليه فلا بد أن لا يخطب الناس دون تحضير فإن الوقت ثمين والزلات تكثر عندما لا يرتبط الخطيب بالمطالعة المسبقة وتهيئة نفسه لذلك فقد قال علي عليه السلام: «فكر ثم تكلم تسلم من الزلل»[1].

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢/٥٩.

أصناف الخطباء

ومن هنا نبيح لأنفسنا أن نقسم الخطباء إلى أصناف كما نجوّز لأنفسنا أن نصنف الناس إلى أقسام حسب الواقع المعاش، أولاً:

١ ـ الخطيب المثالي:

هو الخطيب الذي لا ينظر إلا من منظار المسؤولية ولا تأخذه في الله لومة لائم فلا يرتقي المنبر الحسيني إلا للغاية التي أشار إليها أول خطيب حسيني ألا وهو الإمام زين العابدين عليه السلام الذي سنّ الخطابة الحسينية حيث قال بمحضر الطاغية يزيد بن معاوية: «أتأذن لي أن أرقىٰ هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه لله تعالى رضىٰ ولهؤلاء أجر وثواب»[١] وربما عبروا عنه في هذه الأيام بالخطيب الرسالي[٢].

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ٣٥٢ عن رياض الأحزان: ١٤٨.

(٢) ولا يخفى أن هذا الصنف من الخطباء هم الذين يلتذون بحياتهم حيث يقومون بمسؤولياتهم تجاه الله والضمير والناس والتاريخ ولا يبتغون إلا سعادة الناس وهذه غاية الإنسان النبيل، وهنا نذكر قول السيد «گانت» في الخطابة ما ترجمته: «إن الشيء الوحيد الذي استلذه في حياتي هو ما أقدمه للمجتمع عبر خطاباتي ومحاضراتي» ـ ناطقين زبردست: ٧.

٢ ـ الخطيب المأجور:

وهو الخطيب الذي يتسكع على أبواب السلاطين ويتملق الأمراء والوزراء ويلهج بما يرضي أميره ولو بسخط ربه وهو من الخطباء المعبر عنهم بوعاظ السلاطين الذين كانوا يحدقون بالملوك والسلاطين لتنفيذ رغباتهم واغواء الناس وتضليلهم وفي ذلك يقول الإمام السجاد عليه السلام لخطيب البلاط الأموي وهو يمارس الخطابة بمحضر يزيد بن معاوية: «ويلك أيها الخاطب اشتريت رضى المخلوق بسخط الخالق فتبوّأ مقعدك من النار»[1].

٣ ـ الخطيب المرائي:

ربما أصلح هذا الخطيب خطابه وهذّب كلامه واختار ما يفيد الناس بالفعل إلا أن الخلفيّة لم تكن كما صورها الإمام زين العابدين عليه السلام بل يريد بذلك السمعة والرياء، ومن المعلوم أن كلامه لا يخرج من القلب كي يدخل القلوب، ومن مساوىء هذا أن لا يؤجر على عمله، ويؤول أمره إلى العجب والكبرياء.

٤ ـ الخطيب المهني:

وهو الذي اتخذ من الخطابة مهنة وحرفة يسترزق عبرها، شأنها شأن سائر الأعمال التجارية والعمالة المباحة، وهذا بالطبع يقيّم الأمور بالماديات فلا يزنها بالمعنويات وربما ألجأته الحاجة إلى ذلك، وهذا الصنف عادة قد يشاكس صاحب المأتم على مقدار الأجرة ويشرط شروطه المادية ويشترط هو الآخر عليه

---

(١) حياة الإمام الحسين: ٣/ ٣٨٥.

أيضاً، وفي الحديث قال الصادق عليه السلام: «الشيعة ثلاث: محب واد وهو منا، ومتزين بنا ونحن زين لمن تزين بنا، ومستأكل بنا الناس، ومن استأكل بنا افتقر»[1].

٥ ـ الخطيب التبركي:

وهو الذي يعتمد فقط على ذكر أهل البيت عليهم السلام غير مبال بسائر الشروط التي فرضها العقل أو الدين متخذاً من حديث الصادق عليه السلام: «رحم الله من أحيا أمرنا»[2] وحديث الرسول صلى الله عليه وآله في ذيل حديث الكساء[3] الطويل والذي فيه يتحدث عن فضل ذكرهم صلوات الله عليهم أجمعين، ولا شك أن مجرد ذكر الله وذكر رسوله صلى الله عليه وآله وذكر أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام يوجب الأجر والثواب والبركة، ولكن السؤال هنا هل المسؤولية تنتهي عند هذا الحد، وللمثال فإن وجود القرآن بحد ذاته في البيت يوجب البركة والأمان، وقراءته موجبة للأجر والثواب والبركة ولكن هل ينتهي دوره عند هذا الحد أو يفترض على المرء أن يقرأ ويتدبر في آياته ومعانيها ويعمل بعد ذلك بمضامينها حتى لا يشكوه القرآن من الهجر يوم القيامة[4]، فالرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لا شك بأن ذكرهم بركة ونور ولكن هل يصح

---

(١) الخصال: ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ٧١/ ٣٥١ عن قرب الإسناد: ٣٦.

(٣) الدعاء والزيارة: ٨٠٥.

(٤) قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

الاقتصار على ذلك فقط أو اللازم علينا تداول آرائهم وأقوالهم وأفكارهم والسير على منهجهم والأخذ بسيرتهم والتأسي بهم حتى يعم الخير وينتشر العدل، وقد قال الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة الناس بأعمالكم»[1] إذ القول وحده لا يكفي، نعم هناك حالات من التحدي وحالات لأدنى الموالاة لا بد وأن تتمسك بها لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»[2].

وهنا أود القول بأن ذكرهم عليهم السلام لا ينحصر بالرثاء بل بالمدح وتداول أحاديثهم وما إلى ذلك من أمور كبيان سيرتهم ومناقشة أمرهم.

---

(١) بحار الأنوار: ٥/١٩٨ عن قرب الإسناد: ٧٧ حديث: ٢٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/٢٨٧.

وبغض النظر عن هذه التقسيمات فإن كل هؤلاء، تشملهم كلمة الخطيب ولو بدرجات معنوية متفاوتة، وكثيراً ما نسمع لغطاً حول الخطباء وقلما نجد أحدهم سلم من ذلك، وقد ينعكس هذا اللغط على من يقوم بترجمتهم أيضاً، وهنا أود أن أوجه كلامي إليهم باتجاهين.

الأول: إن من حق كل إنسان أن يناقش الأمور ببراءة وينتقد ظاهرة من الظواهر السلبية انتقاداً بنّاءً، ولكن ليصل إلى حد المهاترات فهذا بعيد عن المبادىء الإسلامية والإنسانية المعبر عنها بالأخلاق، ثم إن المستمع أو صاحب المجلس له مطلق الحرية لأن يدعو من يعجبه إلى قراءة المجلس الحسيني، والسامع له مطلق الحرية لأن يحضر ويستمع إلى من يرغب.

الثاني: إن من يترجم أي شخصية لا يمكنه قراءة نواياه فلعل في من شملتهم الترجمة من كان من وعاظ السلاطين في أقصى حد، فهل بالإمكان التعرف على خلفيته أهو قاصرٌ أو مقصّر! وبتعبير آخر قد تكون ممارسته هذه ناشئة عن خوف أو جهل أو إكراه أو تشويه سمعة، وقد تكون لا سمح الله عن عمد وإصرار فلنترك الأمر إلى خالقه العالم بالخفايا ليحاسبه على نيته وعمله،

ومن جهة أخرى فقد جاء في المثال: «لأجل عين ألف عين تكرم»، كما اشتهر القول عن أبناء الرسولﷺ «الصالحون لله والطالحون لي» وهؤلاء خدمة الحسينعليه السلام وابناؤه وهو أعلم بحالهم منا. نعم هذا لا يعني أننا لا نسعىٰ إلى تطوير الخطابة وتنزيهها وجعلها مؤسسة إعلامية وثقافية لتواكب العصر وتكون مدرسة سيارة تلبي حاجة المجتمعات وترضي الله والضمير الإنساني.

وأما الناس فكما قيل هم أجناس، والحديث هنا عمن يحضر تلك المحافل ويرتاد تلك المجالس فهم عادة على خمسة أصناف:

١ ـ عالم رباني:

يجعل من قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] نبراساً له، فيحضر تلك المحافل لعله يتذكر أو يتزكىٰ وبحضوره يسجل دعماً لتلك المجالس ويزداد شرفاً كما يزيدها، ويحيي بذلك أمر أئمة الهدى عليهم أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام.

٢ ـ رجل متعلم:

يطرق أبواب هذه التجمعات ليكتسب معرفة ويزداد علماً ويرىٰ في مثل هذه المجالس ما يقرّبه إلى الله زلفىٰ ويلتقط من هنا وهناك معلومة، ويزكي نفسه ويصلح فعله ويسير على خطى أئمة الإسلام وينتهج منهجهم فيفتح الله قلبه للمعرفة ويزيده بصيرة في أمره.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

٣ ـ امرؤ معتاد:

تلقىٰ تلك المحافل عادة موسمية جبل عليها وتوارثها من سلفه فيحافظ عليها كتراث مفروض وعمل تقليدي قد لا يعي العوامل ولا يدرك النتائج.

٤ ـ إنسان مغرور:

قد استولى الكبرياء على كيانه وملأ العجب قلبه وحجبت سمعه وقلبه غشاوة، فلا ينتفع أمراً ولا يسمع قولاً، يحضر رياءً ويؤدي ديناً فرضته الأعراف في تبادل الزيارات وآداء المراسيم فهو إلى الجهل أقرب منه إلى المعرفة، وإلى النقص أدنىٰ منه إلى الكمال، وهو ممن ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم غشاوة[١] وهم لا يشعرون.

٥ ـ وشخص ناقد[٢]:

يشترك في مثل هذه المجالس بروح ناقدة ونظرة ساخرة ينتقد القائمين والحاضرين والمتكلمين وينتقص من عمرو، ويستهزىء بزيد ويثير حوافز من يحاوره ويرصد آراء من يقابله وهو ممن في قلبه مرض فازداد مرضاً[٣]، والا فان النقد البناء ظاهرة صحية.

---

(١) إشارة إلى الآية: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

(٢) النقد: المراد به غير البناء (أي السلبي) وهو ما يظهر المساوىء دون اصلاح.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

الأجواء الخطابية

وما دمنا قد تحدثنا عن الخطيب والمستمع فلا بد من التحدث عن الأجواء الخطابية التي لها تأثيراتها الإيجابية أو السلبية على الخطابة وعلى نفسية الخطيب والمستمع، فالمناخ الخطابي هو الذي يحدد الخطيب في خطاباته واختيار موضوعاته، بل يحدد الخطيب نفسه كما يحدد نوعية الحضور وحجمه، نعم إذا كان المناخ الخطابي طبيعياً كان الخطاب والخطيب والمستمع طبيعياً، وينقسم المناخ الخطابي إلى الأقسام التالية:

١ ـ المناخ الطبيعي:

وهو ما توفر فيه الأمن والحرية وقاعدة كبيرة من المثقفين، ويعتبر هذا المناخ ملائماً لطرح كل المسائل دون أي حرج على الخطيب والمستمع ولا يسبب لهما أيّ مضاعفات ويكون القائمون على مثل هذه المجالس سواء أكانوا مؤسسات أو أفراد في سعة من أمرهم، وفي ظل هذا المناخ تكون النتائج المتوخاة من هذه المجالس عظيمة جداً إذا ما كان الخطيب والمستمع من الدرجة الأولى التي سبق وتطرقنا إليها.

٢ ـ المناخ التعسفي:

إن الأجواء التي تخلو من أبسط الحريات ويلاحق فيها

الناس على أبسط الأمور، وتصادر فيها الكلمة لا يمكن عندها قول الحق، ولا بَسْط سلطان العقل والحكمة في الخطابة، ولا يجرؤ فيها أحد على إقامة المجالس الحسينية، ولا يتمكن الخطيب من الانطلاق وعندها تختلف الشرائط وتنقلب الموازين، وعندها يتطلب من الخطيب والقائم بالأمر والمستمع أن يكون جريئاً شجاعاً حكيماً، وتتحول الخطابة إلى خطاب سياسي، ويتجلى هذا الجانب من سيرة الإمام الحسين عليه السلام أكثر من غيره، وتتحول إقامة المجالس إلى عمل جهادي ويحتدم الصراع، وفي هذه الأجواء لا بد من مراعاة العديد من الاعتبارات وهي ليست بالهينة ولا السهلة لأن من أهم الأمور دراسة النتائج وملاحظة رأي الشرع في ذلك إلى غيرها، ويختلف الأمر من منطقة إلى أخرى حسب الظروف الاجتماعية والنفسية والسياسية والجغرافية.

٣ ـ المناخ المقيد:

وأجواء هذا النوع من العمل ترتبط بشكل أساسي شدة وضعفاً بالقيود التي يفرضها النظام الحاكم، وعندها لا بد من دراسة هذه القيود والعمل بقاعدة الأهم والمهم، إذ إن الأنظمة مختلفة في طرحها للقيود، فتارة يأتي التحديد بعدم التدخل في شؤون الدولة القائمة، أو عدم الطعن بالشخصية الأولىٰ في البلاد، أو عدم التحدث في المسائل المذهبية أو ما إلى ذلك، وربما أضافت هذه الدولة أو تلك قيوداً مجحفة بل طلبت أموراً تتنافى مع المثل والقيم بل مع الأهداف، كمدح شخصية أو الطعن بأخرىٰ.

وعليه فإذا كانت القيود لا توجب المعارضة مع الأغراض التي أقيمت لها هذه المجالس فالظاهر أن إقامتها أولى من العدم، وعندها يتحاشى الجميع تلك الأمور ضمانة لاستمرارية التوعية، ولا بد عندها أن تنطلق المسيرة الخطابية في أمور علمية أو اخلاقية أو بيان السيرة أو ما شابه ذلك وتُنمّى الجوانب الممكنة، وفي ظل هذه الأجواء لا بد من السعي لرفع القيود بالطرق السلمية وبالتفاهم، ومثل هذا المناخ عادة يتواجد في الدول الإسلامية غير المتطرفة وربما جاء بعض القيود ضمن نظام داخلي وضعتها السلطات المحلية لراحة الناس ومراعاة النظام كالتقيد بالوقت أو مراعاة الأمور الصحية مثلاً بالنسبة إلى القاعة أو تجنب الأمور العرفية أو ما شابه ذلك كما هو حاصل في بعض الدول الغربية، فلا بد من التقيد بها لأنها من أهداف هذه المجالس وهي ممارسة ما هو صلاح الأمم والشعوب.

٤ ـ المناخ الاستثنائي:

وهي الأجواء التي تفرض نفسها على الوضع العام بشكل أو بآخر كالكوارث الطبيعية مثلاً أو الأحداث السياسية والأمنية أو ما شابه ذلك، فإن هذه الأجواء سوف تعكس بظلالها على هذه المجالس الحسينية، وعندها لا بد من استغلال الأمر والعمل على ما فيه صلاح الأمة لأن الأجواء مهيئة لطرح مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه المجالس بالفعل هي المعنية بالأمر، وهذا يتطلب إقامة المزيد من هذه المجالس لاعتبارات شتى، كتهدئة النفوس المنكسرة وتوجيهها إلى باريها وقادتها من جهة، وإثارة النفوس أيضاً لعمل الخير من جهة أخرىٰ وهكذا، وإذا ما

أخذنا بعين الاعتبار خارطة العالم فإن هذه الأحداث ليست بقليلة.

٥ ـ المناخ الأجنبي:

إن البلاد الإسلامية تعتبر المجال الطبيعي للخطابة الحسينية باعتبار أن المسلمين على معرفة تامة بالإمام الحسين عليه السلام وأنه سبط رسولهم صلى الله عليه وآله وعلى دراية بنهضته المباركة، ولكن الأجواء الأجنبية عادة بعيدة عن هذا النوع من الخطابة، وفي ظل هذه الأجواء قد يتطلب من القائمين والخطباء أن يخصصوا بعض هذه المجالس لأهل تلك البلاد لتتحول هذه المجالس إلى مدارس تبشيرية يبينوا فيها أهداف الإمام الحسين عليه السلام والتي هي خلاصة لأهداف أبيه وجده ويعمقوا فيهم المفاهيم الإنسانية التي طرحها الإسلام عبر الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته، ويتعامل مع هذا الواقع بكل نقاوة وروح رياضية عالية لأن الهدف الأساس لإقامة هذه المجالس هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهداية الناس إلى ما فيه خيرهم وإرشادهم إلى صواب الطريق، وعندها يتطلب من القائمين على الأمر والخطباء خلق أجواء مناسبة لهم ومناقشة أفكارهم ودراسة حالاتهم ومشاكلهم لإعطاء الحلول الناجعة التي لا توجد بشكل عام إلا في الإسلام الذي جاهد الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته على صقلها وترسيخ قواعدها.

المادة الخطابية

وأخيراً فإن المادة الخطابية في المجالس الحسينية هي الأخرىٰ تنقسم إلى أقسام وأصناف، ولعلها تنقسم إلى الأقسام التالية والتي إذا ما جمعت تكونت الخطابة الرشيدة، وهذه العناوين لا يقصد بها الإطار الضيق لها بل هي عناوين عامة تشمل الكثير الكثير.

١ ـ القرآن الكريم:

إن الحديث عن القرآن حديث عن علومه بما فيه الأسلوب والتصوير، ويعتبر القرآن المادة الرئيسية في الخطابة الحسينية دون شك أو ترديد.

٢ ـ الحديث الشريف:

إن الأحاديث الواردة عن الرسولﷺ وأهل بيته المعصومينعليهم السلام جاءت لتكمل مسيرة القرآن وتفسر الآيات الغامضة وتكشف باطنها وتأويلها وتبين المسائل المتفرعة عنها وتفصّل ما أوجز منها، وتعتبر مادة رئيسية بعد القرآن.

٣ ـ واقع الحال:

إن بيان الواقع المعاش هو جزء من حياة الإنسان العلمي

والاجتماعي والسياسي والثقافي وما إلى ذلك وبدونه لا يصل الخطيب إلى تطبيق الأهداف ولا يمكن وضع النقاط على الحروف، وهي الهدف الرئيس من وراء الخطابة.

٤ ـ السيرة:

إن سيرة الأنبياء والأئمة والأولياء تعد نبراساً للمؤمن حيث إنهم قدوة للبشرية وفي سيرتهم بل سيرة غيرهم أيضاً عبرة لمن اعتبر.

٥ ـ الأدب:

إن للأدب وبالأخص الأدب الحسيني منه نكهة خاصة تصقل عندها النفوس وتزكيها من الدرن، وفي ممارستها نوع من المشاركة الفعلية أو المعاشة للأحداث الماضية والحاضرة، وحصانة لمخاطر الأحداث المستقبلية.

فمن جمع هذه المواد الخمسة في خطابه فقد جمع مواد الخطابة الرئيسية دون شك أو ريب، ومن تمسك بواحدة منها أصبح في الأول مجرد قارىء للقرآن، وفي الثاني مجرد محدث، وفي الثالث مجرد مؤرخ، وفي الرابع مجرد باحث اجتماعي، وفي الخامس مجرد أديب منشد.

العلم والخطابة

إن علماء شبه القارة الهندية[١] مهما بلغوا من العلم فلا يتجنبون ممارسة الخطابة الحسينية لشدة ولائهم لأهل البيت عليهم السلام من جهة، ولحاجة شعوبهم إلى ذلك، وفي دراسة سريعة أجريناها عن أوضاع العلماء والخطباء في تلك البلاد أوصلتنا إلى أن أكثر من ٩٠٪ من علماء الدين يمارسون الخطابة في الأشهر الثلاثة محرم وصفر وشهر رمضان على الأقل، وفي إحصاء ذكره الطريحي[٢] الملم بقضايا الهند التراثية ذكر في مقال له حول موضوع أهل البيت عليهم السلام في الشعر العربي والعالمي قائلاً: «بلغ عدد الخطباء والوعاظ والذاكرين مبلغاً عظيماً وحسبنا أن نذكر أن في شبه القارة الهندية اليوم ما يزيد على عشرين ألفاً من الخطباء والذاكرين الحسينيين»[٣] وما هذا العدد الهائل إلا

---

(١) شبه القارة الهندية: نعني بها: الهند، باكستان، بنغلادش، وربما شملت بعض الدول المجاورة لهما.

(٢) الطريحي: هو محمد سعيد بن محمد كاظم، ولد عام ١٣٧٧ هـ كاتب وصحفي معاصر، من مؤلفاته: أجراس كربلاء، رد الشمس، ومن تحقيقاته: كتاب الثغور الباسمة للسيوطي، ومن إصداراته مجلة الموسم الفصلية من هولندا.

(٣) مجلة الموسم الهولندية العدد: ٧/ ٨٣١.

للخلفية الولائية والثقافية التي ذكرناها، وقد كان قسم من العلماء والأعلام والمراجع العظام في العتبات المقدسة والحواضر العلمية لاتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام على هذه الوتيرة، إلا أنها لم تكن كما هو الحال في تلك البلاد، نعم إن الكثير من الأعلام كانوا يمارسون قراءة مجلس حسيني في أيام خاصة كيوم عاشوراء مثلاً لذويهم تقرباً إلى الله ولكن دون ارتقاء الأعواد الحسينية في المجالس العامة أو ما شابه ذلك، وأما اليوم فلا زالت هذه السنّة الحسنة جارية عند علماء شبه القارة الهندية، فالعالم مهما بلغ من مراتب العلم فإنه يمارس الخطابة في أيام عاشوراء بل في شهر محرم وصفر وسائر المواسم بشكل ظاهر وجماهيري، وهؤلاء وان لم يكونوا محترفين ولا يعرفون بالخطباء عادة لغلبة الجانب العلمي فيهم إلا أن مفردة (الخطيب) تشملهم في هذا المعجم.

أما العلماء في مثل إيران فكان عدد كبير منهم يمارس الخطابة بشكل ظاهر ومعلن ويرتقي الأعواد الحسينية في المناسبات في الملأ العام ولكنهم لما دخلوا أعتاب المرجعية تركوا الأمر إلى غيرهم لكثرة مشاغلهم العلمية والاجتماعية.

وأما جل علماء العراق فيتورعون من ذلك ويعتبرون أن ارتقاء المنبر يتنافى مع مقامهم العلمي[١] إلا أن عدداً قليلاً منهم

---

(١) وبالمناسبة فقد نقل لي أحد الأعلام وهو من أصل إيراني انه كان يدرس في حوزة النجف الأشرف العريقة وبعد سنوات تمكن في العطلة الصيفية من السفر إلى مسقط رأسه بإيران، ومن الصدف أنه وصلها في أيام عاشوراء فطلبوا منه على العادة المتبعة في إيران أن يرتقي المنبر الحسيني فامتنع من ذلك لعدم خبرته بالخطابة واعتذر بشتى الطرق والحيل إلا أن =

يمارسها لنفسه ولأهله في مثل يوم عاشوراء[1] كما تقدمت الإشارة إليه، وكلما رجعنا القهقرى لوجدنا أن هذه السنّة الشريفة كانت أكثر شيوعاً بين الأعلام والمراجع بالنسبة إلى يومنا هذا ولكن التطور بل لعل التخصص هو الذي آل إلى ذلك.

= الاستغراب بان عليهم وكادوا أن يتهموه بالجهل فاضطر إلى ارتقاء المنبر وبيان ما يعرفه من سيرة سيد الشهداء عليه السلام مع الوعظ والإرشاد، ولما انتهت العطلة الصيفية وعاد إلى النجف لمواصلة العلم قاطعه زملاؤه في الدراسة وبعد جهد جهيد تمكن من معرفة سبب تلك المقاطعة وهو لارتقائه المنبر الحسيني في مسقط رأسه إذ أنه أمر يتنافى مع كونه من أهل الفضل والعلم ومعاشرته ستؤثر عليهم سلباً من هذه الناحية ولكنه تمكن أن يفهمهم بأن المسألة كانت اضطرارية وإنها من عادات تلك البلاد فعادوا إلى صحبته شرط أن لا يتكرر الأمر، وعندها عادت المياه إلى مجاريها.

(١) وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر شخصيتين من المراجع أحدهما في العراق وآخر في إيران فالأول: هو السيد مهدي الشيرازي المتوفى عام ١٣٨٠ هـ والذي ألزم نفسه أن يقرأ تعزية كل يوم بعد تناول فطور الصباح قبل أن يتفرق أهله وعياله ولو بمقدار خمس دقائق.. وكان يبكي بكاءً مراً، وإذا لم يستطع من إقامة ذلك المجلس لعذر طارىء فكان الأسف يبدو على محياه.

والثاني: هو السيد محمد رضا الگلبايگاني المتوفى عام ١٤١٤ هـ الذي كان يجمع أهله وعياله ليلة عاشوراء في بيته ويقوم بنفسه فيقرأ لهم مقتل الحسين عليه السلام وما جرى عليه وعلى أهله الأطهار وأنصاره الكرام ويقول: أريد أن يسجلني ربي واحداً من أحباء الحسين والخطباء الذاكرين لمصيبته ـ قصص وخواطر: ٤٢٦ ـ راجع أيضاً فصل علماء حسينيون من باب الشعائر الحسينية من هذه الموسوعة.

وفي مثل هذه المجتمعات يتكون المجتمع الأخوندي[1] - إن صح التعبير عنه - إلى عدة طبقات أهمها طبقة العلماء وطبقة الخطباء، وأما في بلاد الهند فالعلماء هم الخطباء، وأما في مثل بلاد الشام وبالأخص لبنان فإن الدارج فيها أن العلماء يمارسون بدل الخطابة الحسينية المحاضرة حول الامام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، والفرق بين المصطلحين الحديثين أن له أسلوبه الخطابي المميز والمعروف وفيه بيان للسيرة بشكل مركز وينتهي بالرثاء، والثاني فإنه مجرد مقالة أدبية يلقيها المحاضر، والغالب فيه أنه يبين ما يمكن معالجته من قضايا اليوم، كما أن الغالب في الأول الجلوس على المنبر وفي الثاني الخطاب واقفاً، وقد يقف الخطيب الحسيني وقد يجلس المحاضر أيضاً.

وأما في الخليج[2] فلا قاعدة ثابتة بل كل يتبع حسب

---

(١) الأخوندي: نسبة إلى الأخوند وهي كلمة فارسية الأصل مركبة من (آقا + خواند) أي السيد قرأ فخففت بالتكرار فأصبحت اخوند واريد بها السيد العالم، حيث يطلق على السيد (أغا)، والمراد بالأخوند رجل العلم والعلماء والمشايخ الذين تخصصوا بالعلوم الإسلامية وإنما سموا بذلك لأنهم يقرأون من على الكتاب العلوم الإسلامية والأحكام الشرعية لطلبة العلوم الدينية، كما على الناس كافة ويرشدونهم.

(٢) الخليج: اصطلح على الدول التي انضمت إلى مجلس التعاون الخليجي وهي ستة؛ المملكة العربية السعودية، البحرين، الكويت، الإمارات، عمان، وقطر، وبما أنني من هذه المنطقة فأرىٰ أن الخليجيين ربما بدأوا يستقلون في هذه النمطية حيث إن معظم رجال العلم يرتقون المنبر الحسيني إلا القليل منهم حيث يجدونها ضرورة دينية واجتماعية - المعد.

تخرجه من الجامعة التي درس فيها، فإن كان من العراق فيتخلق بأخلاقهم وعاداتهم، وان تخرج من إيران فيتطبع بطباعهم ويخطو خطاهم، وأما في سائر البلاد التي دخلها الخطباء والعلماء فمثله مثل الخليج في ذلك.

وزن فعيل يأتي بمعنى الفاعل قياساً فيما يكون المضارع منه مضموم العين[1] فالخطيب هنا اسم فاعل من خطب يخطُب بفتح العين من الماضي وضمه في المضارعة، ومثله رحيم وشريف وجميل.

والخطيب الحسيني هو الذي يذكر الإمام الحسين عليه السلام وسيرته في خطاباته، والمتعارف لدى الشيعة أن تُذكر الغلبة مجردة من الإضافة ولا يتبادر إلا إليه، لأن الغالب في الخطباء عندهم ممارسة الخطابة الحسينية، وهو عمل شريف يتبركون بدخولهم فيه، لما يقومون به من تبليغ للدين الحنيف وإرشاد الناس وتوعيتهم ومقارعة الظالمين عبره ونشر تراث أهل البيت عليهم السلام من خلاله، ولأجل ذلك فإن الخطيب يعتبر نفسه جندياً من جنود الإسلام يدافع عن حريمه ويحافظ على أحكامه ويناهض أعداءه[2].

---

(١) الأوزان: ٦٩.

(٢) سبق الحديث عن صيغة الخطيب وسيأتي الحديث عن المرادفات المستخدمة لهذه الكلمة ـ المعد.

مواصفات الخطيب الحسيني

بما أن الخطابة الحسينية[١] أصبحت جهازاً اعلامياً خطيراً، وأصبح الخطيب في مثل هذه الحالة لسان العلماء المجاهدين لنشر التراث الإسلامي الأصيل[٢] فلذلك لا بد وأن يتصف بمواصفات تجعله بالمستوى المطلوب لهذه المكانة المرموقة ليتمكن من القيام بعمله الشريف كما ينبغي.

---

(١) ويصف بعض الشعراء الخطيب الذي يؤثر في الناس من حيث فن الخطابة بقوله ـ من الكامل ـ:

ومفوه هزّ العقول بنطقه فكأنما هو خمرةٌ صهباءُ
تزهو المنابر في روائعه كما بالورد تزهو الروضة الغنّاءُ

(٢) جاء في سفينة البحار: ٨/١٧٣ «روي أنه لما صعد أبو بكر المنبر نزل مرقاة، فلما صعد عمر نزل مرقاة، فلما صعد عثمان نزل مرقاة، فلما صعد علي عليه السلام صعد إلى موضع يجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فسمع من الناس ضوضاء، فقال: ما هذا الذي اسمعه؟ قالوا: صعودك إلى موضع رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم يصعده الذي تقدمك، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله من قام مقامي ولم يعمل بعملي اكبّه الله في النار، وأنا والله العامل بعمله، المتمثّل قوله، الحاكم بحكمه، فلذلك قمت هنا...» فعلى الخطيب أن يقدر هذا المقام ويعلم بأنه مقام رسول الله صلى الله عليه وآله.

فالمواصفات التي لا بد وأن يمتلكها[1] الخطيب تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم منها في الحقيقة مؤهلات جسمية[2] تجعله قادراً على القيام بهذا العمل الخطير، والقسم الثاني هو ممارسة عملية وأمور علمية لا بد وأن يكتسبها ويسعى إليها لتجعله في المكان المناسب.

والقسم الثالث منها صفات نفسية لا بد وأن يتحلى بها ليكون كما وصفه الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾[3] ولعل السيد مِلتون[4] يشير إلى هذه الناحية لدى حديثه عن الخطابة حيث يؤكد: ان هناك علاقة ما بين الخطابة وشخصية الخطيب[5]، فيتوصل إلى القول بأنه إذا اتحد النص والمستمع واختلف الخطيب فلا شك باختلاف نسبة

---

(١) إن استعمال هذه الكلمة فيه لطف حيث ان الصفات لا بد وان تصبح ملكة له كما يقال في العدالة.

(٢) المراد بالمؤهلات الجسمية هي المؤهلات الطبيعية الخلقية للإنسان بما يشمل العقل.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٤) ملتون (Milton Dickens) من أساتذة جامعة كاليفورنيا في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، كاتب أمريكي، وباحث قدير، له مؤلفات ومقالات دراسية طبع قسم منها عام ١٣٧٣ هـ.

(٥) كما أن شخصية الخطيب لها دور هام في الخطابة فكذلك فإن الخطابة تكشف عن شخصيته، وفي الحديث: «المرء مخبوء تحت لسانه»، ويعرفها الدكتور رجب علي المظلومي في كتابه أموزش فن سخن گفتن ٣٤: «إن شخصية الإنسان تعني جميع خصوصياته الروحية والجسمية والشعورية والعاطفية والأخلاقية والتجريبيّة» ولنا عن الشخصية حديث طويل أوردناه في مكان آخر من هذه الموسوعة.

التأثير ونوعيته لدى المستمع[١] وفي الحقيقة لا بد من وضع دراسة شاملة عن الشخصية حيث إنها تتركب من أمور معنوية وأخرى مادية، فإن العوامل المعنوية كالإيمان والاخلاص وما إلى ذلك لها تأثير في صقل أو تكوين شخصية الإنسان كما أن نبرة الصوت وكهرومغناطيسية وأمثالهما هي الأخرى لها التأثير في شخصيته إلى أمور أخرى لا يسع المجال لذكرها في هذا الموجز.

فالأول: أي المؤهلات الجسمية وما يتعلق بها تكمن في نقاط:

١ ـ أن لا يكون خافت الصوت وضعيفه بل الأفضل[٢] أن

---

(١) راجع آداب سُخن: ٢٤٢ عن كتاب: Speech, Dynamic Communication.

(٢) إن استخدامنا لكلمة «الأفضل» بشكل عام جاء تجنباً لاستخدام القيد الاحترازي وذلك لوجود إمكانية قيام المفضول بذلك ولكن النسبة عندها تكون ضئيلة، وهنا تذكرت بالمناسبة ما كتب عن الخطيب الأمريكي المعروف فيليبس بروكس (١٢٥١ ـ ١٣١٠ هـ) = (١٨٣٥ ـ ١٨٩٣ م) عندما أراد أن يتخصص استشار أحد اساتذته فقال له في جملة ما قال: «مثلاً بما أنك ألكن اللسان عليك أن لا تختار الخطابة» ولكنه اختارها ولعله لردة الفعل، وتدرج فيها حتىٰ أصبح من أبرز الخطباء بل أبرزهم حتى قورن اسمه مع كبار الخطباء أمثال بوسوته المتوفى عام ١١١٦ هـ (١٧٠٤ م) وفنلن الفرنسي المتوفى ١١٢٧ هـ (١٧١٥م) وساوتارلاي الإيطالي المتوفى عام ٩٠٤ هـ (١٤٩٨ م)، ورغم لكنة لسانه فقد أصبح ذرب اللسان تتدفق الكلمات من فيه كالسيل حتى لم يكد أحد يمكنه ضبط كلامه إلا رجل اشتهر بسرعة عمله من أهل باستن ـ راجع تفاصيل ذلك في آداب سخن: ٢٥٨ ـ.

يكون صوته جهورياً حتى يتمكن من إبلاغ مهمته رغم أن مكبرات الصوت في هذه الأيام ساعدته في اداء مهمته إلا أن الوقع الذي يتركه الصوت الجهوري لا يقاس بغيره[1].

ولا يخفى أن الصوت الجهوري يختلف عن خشونة الصوت بل المراد بالجهوري هو المفسر، كما وصف في اللغة بعالي الصوت، وقد وصف به العباس عم الرسولﷺ.

٢ ـ أن لا يكون منكر الصوت بل الأفضل أن يكون حسنه حتىٰ يجلب الحضور إلى الاستماع إليه، والصوت الحسن هو أحد الأسباب التي توجب الوقع الأفضل في نفوس الناس، وأما العكس منه فإنه مكروه، له أثره العكسي، وقد ذمه الله سبحانه تعالى في القرآن[2]، ولا يختلف اثنان في أن عذوبة الصوت توجب اجتذاب الإنسان أكثر فأكثر للاستماع إلى الكلام العذب.

٣ ـ أن لا يكون ضعيف البنية بل قويّها لأن الخطيب يستهلك من قواه حين الخطابة ما لا يستهلكه بقية المتكلمين كالمحاضر والمدرس مثلاً، ولذلك نرى بعض الخطباء تنهار قواه بعد إلقائه خطاباً واحداً ويحتاج إلى أن يأخذ قسطاً من الراحة لتعود قواه إلى طبيعتها[3].

---

(١) وفي ذلك المضمون يقول الشاعر إيليا أبو ماضي ـ من الكامل ـ:
الصوت من نعم الإله ولم تكن ترضى السما إلا عن الصّداح

(٢) جاء في سورة لقمان، الآية: ١٩ ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

(٣) تذكرني هذه الفقرة بنصيحة خطيب ألمعي كان في اجتماع دوري ضم كبار الخطباء والعلماء انعقد في بيتنا بكربلاء حيث كان الدور لوالدي

٤ ـ أن يكون خالياً من العاهات سواء في ذلك الأمراض المنفّرة أو النقص العضوي، وهذا الأخير أعم من عدم وجوده كلياً أو قسماً منه ومن التشويه، وذلك لأن نفوس عامة الناس تميل إلى مستوى الخلقة أكثر من غيره، هذا من جهة ومن جهة أخرىٰ فإنه عادة يوصف بتلك النقيصة مما قد يقلل من شأنه الاجتماعي[١]، ومن العاهات لكنة اللسان والتي أشار إليها النبي موسىٰ عليه السلام حين طلب من الله جل وعلا أن يشد عضده بأخيه فقال.. ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾[٢] وأردفه بالابتهال إلى الله بقوله ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾[٣].

= رحمه الله، وكنت عادة احضر كافة الاجتماعات التي كان والدي عضواً فيها وكنت آنذاك لم أبلغ الحلم بعد، فقال أحد كبار العلماء لوالدي: حاول أن يكون ابنك عالماً خطيباً، فاعترض عليه ذلك الخطيب وقال لوالدي: بالله عليك لا تعمل هذا فإن بنيته لا تساعده على أن يكون خطيباً ـ حيث كنت ولا زلت ضعيفها ـ وقد كان اعتراضه عن تجربة مرة قد خاضها بنفسه حتى اضطر أخيراً أن يخفف من عمله الخطابي إلا في الموسم ـ أي محرم ـ فكان يقتصر على مجلس واحد فقط في كل يوم، بينما كان زميله قادراً على ارتقاء المنبر الحسيني أكثر من عشر مرات في اليوم.

(١) هناك من تعود التردد في الكلام أو الترجيع في كلامه أو في بعض حروفه كالتاء والفاء فلا بد أن يتخلص الخطيب من هذه الثغرات في النطق فالتمتمة والتعتعة والفأفأة واللثغة كلها توجب نفور المستمع منه.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨.

٥ ـ أن يكون ذكياً[١] ولا يخفى أن الذكاء صفة مركبة من أمور عديدة منها قوة الذاكرة وسرعة الانتباه، والإمعان في التصديق، وذلك لأن هناك من يحفظ سريعاً ويلتقط الكلام بلا عناء إلا أنه ليس بسريع الانتباه في الأمور العلمية أو العملية، أو أن سذاجته تجعله يصدق الكلام الذي يطرح عليه رغم عدم موافقة العقل أو العرف.

فالخطيب بما أن موقفه خطير جداً لا بد وأن يكون بشكل لا يقع في مزالق توجب له نقض الغرض.

وأما القسم الثاني من المواصفات وهي الأمور العلمية والعملية التي لا بد وأن يسعى الخطيب إليها فالأولى: تُكتسب بالدراسة والمطالعة كالنحو والفقه، والثانية: تكتسب بالممارسة والتمرين كأسلوب الخطابة.

أما أولاهما فلا بد للخطيب الحسيني أن يخضع لدورة دراسية دقيقة يكتسب فيها العلوم العربية والعلوم الإسلامية والعلوم الطبيعية وغيرها.

وهذا لا يعني أن عليه أن يتعلمها إلى أن ينال درجة الاجتهاد فيها وفق تعبير الحوزات أو ينال شهادة الدكتوراه وفق تعبير الجامعات، بل يصل إلى مستوىً يمكنه تمييزها وتطبيقها في حياته العملية، وأما أن يكون له رأي فيها فهذا مما لا نقوله كما لا نستنكره ولكنه صعب المنال بل يصرفه عن الغرض الذي اتجه نحوه وهو

---

(١) لا يخفى أن في عدّ مثل هذا الشرط من المؤهلات الجسمية فيه تكلف إلا أن له ارتباطاً متيناً بالجسم.

الخطابة التي أجهد نفسه لأجلها وذلك لأن الاعمار لا تفي بذلك.

١ ـ فالعلوم العربية هي:

أ ـ الصرف

ب ـ النحو

جـ ـ المعاني والبيان والبديع (البلاغة)[1].

د ـ المنطق.

هـ ـ اللغة.

وهذه العلوم تفيد الخطيب العربي من جهتين والخطيب غير العربي من جهة واحدة، فالجهة المشتركة بينهما هي مقدرته على فهم التراث الإسلامي بالإضافة إلى الأمور الأخرىٰ فهماً صحيحاً دون أي انحراف في اللفظ والمعنى مما يمكنه أن يختزن أكبر طاقة فكرية تكون دعماً له في إلقاء محاضراته على الجماهير، فالذي يريد فهم القرآن الكريم الذي نزل بالعربية وكذا الأحاديث الشريفة التي وردت بالعربية لا بد وأن يكون ضليعاً في العلوم العربية حتى يمكنه فهمها فهماً دقيقاً عبر ذهنية عربية صافية[2].

---

(١) وقد قال الرسولﷺ: «إن من البيان لسحراً» ـ فن الخطابة للحوفي: ٧، ويقول الشاعر ـ من الوافر ـ:

كمال الحسن في حسن البيان ... إذا ما رام نشراً للمعاني

فإن عذوبة الألفاظ سحر ... له انقادت عقول بني الزمان

أرى الخطباء أعذبهم كلاماً ... خطيب راح يفصح باللسان

خطباء المنبر الحسيني: ١/ ٣٤.

(٢) من هنا جاء اصرارنا على تعليم المسلمين اللغة العربية حيث إن القرآن والسنة كلاهما جاءا باللغة العربية، فإن أرادوا نقلهما إلى اللغات الأخرىٰ فإنه يوجب تكلفة مادية وزمنية، ويحتاج إلى طاقة هائلة لنقلها =

وهذا لا يختص بالكتاب والسنة بل كانت هناك كتب لها ارتباط بواقع المسلمين ـ وما أكثرها ـ حيث وضعت لأول وهلة باللغة العربية كالتاريخ والفلسفة والأخلاق وما إلى ذلك.

وأما الجهة المختصة بالخطيب العربي دون غيره من الخطباء فإن دراسة العلوم العربية تجعله طلق اللسان، مصوناً عن اللحن في الكلام، مبيناً لغرضه بأحسن وجه وأقل لفظ، والأدب اللطيف يساعد المستمع على فهم الحقائق بصورة فضلىٰ.

وأما الخطيب غير العربي فلا بد له من مراعاة قواعد لغته للغرض نفسه، ولا يخفىٰ أن بعض العلوم كالمنطق مثلاً لا يختص بالعربي فلا يخفىٰ أثره على خطابة غير العربي، وأما القواعد

= وبالنتيجة لا يفي بالغرض، وذلك لأن القرآن الذي له ظاهر وباطن وفيه المنطوق والمفهوم والتفسير والتأويل ولتفسيرها زوايا متعددة، كما لقراءاتها وجوه متعددة، فلا يمكن نقل كل هذا إلى لغة ثانية إلا إذا حول القرآن ذو المجلد الواحد إلى ألف مجلد ومع هذا فالمستقبل بتطوره سيكشف لنا عن القرآن أشياء لا بد وأن نضيفها إلى الترجمة، نعم الترجمة ممكنة إذا صدرت من الله سبحانه وتعالى وعندها يسمىٰ قرآناً باللغة الثانية وإلا فلا يكون قرآناً.

وأما إذا تكلف المسلم وسعى إلى تعليم اللغة العربية فسيوفر على نفسه والمجتمع والإسلام أموراً عديدة أهمها فهم الإسلام بحقيقته وبكل جزئياته، ومنها عدم الانحراف في النقل مضافاً إلى كسبه لغة أخرىٰ يكون محوراً لبني عقيدته (أي لغة الحوار بين المسلمين) فترتفع عندها الفواصل التي استثمرها الاستعمار لمصالحه.

والكلام نفسه يصدق على فهم الأحاديث الشريفة أيضاً بشكل أوسع من جهة وبشكل أضيق من جهة أخرىٰ، والله المستعان على ذلك.

العربية كالصرف والنحو والبلاغة واللغة فإنها لا بد وأن يكتسبها حسب لغته.

٢ ـ والعلوم الإسلامية هي:

أ ـ الكلام (العقائد).

ب ـ الأخلاق.

ج ـ الفقه.

د ـ الأصول.

هـ ـ التفسير وعلوم القرآن[١].

و ـ الرجال.

ز ـ الحديث والدراية.

ح ـ الفلسفة والعرفان[٢].

ط ـ السياسة وبالأخص الإسلامي منها.

ي ـ التاريخ وبالأخص الإسلامي منه.

---

(١) وهنا من الخليق بالذكر، أن الجاحظ روىٰ في البيان والتبيين: ٣٨/٢ أن عمران بن حطان ـ خطيب الخوارج ـ قال: «خطبت عند زياد ـ بن أبيه ـ خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن».

(٢) الفرق بين الفلسفة والعرفان: فالأول هو معرفة الموجودات بالأدلة والثاني هو معرفتها بالمكاشفة، وفي الأول يستخدم العقل كوسيلة إلى الوصول إلى حقيقة ما بينما يستخدم الثاني النفس كوسيلة إلى ذلك، ولا يخفى أن كلاً منهما ينقسم إلى إسلامي وغير إسلامي، كما أنه في بعض الأحيان تتشابك الأمور بينهما، والفلسفة الإسلامية قد تسمىٰ بالحكمة والكلام، والعرفان الإسلامي قد يسمى بتزكية النفس.

وهذه العلوم تعطيه خلفية إسلامية قويّة تحمل الفكر الإسلامي بأبعاده الضرورية التي يحتاجها لنفسه أولاً، ولطرحها على المجتمع الذي يريد ان يواجهه عبر خطاباته ثانياً، إذ بدونها لا يمتلك موضوعاً يمكنه طرحه على الجماهير التي تؤم هذه المجالس لتنشد الفائدة من محاضرات الخطيب.

ولذلك فإن المجالس الحسينية إذا أدى الخطيب حقها فهي مدرسة سيارة بل جامعة متنقلة لكل العلوم الإسلامية والاجتماعية، يتخرج منها الطلاب زرافات زرافات حاملين فكر أهل البيت عليهم السلام كل حسب خلفيّته الثقافية فلذلك نرى أن طبقات مختلفة من الناس يحضرون هذه المجالس بدءاً بالعامل وانتهاء بكبار المثقفين وكل منهم يخرج وقد ملأ قسماً من فراغه بالثقافة الإسلامية، وإذا كان الخطيب ألمعياً فالجماهير تتهافت لحضور مجالسه لتكميل البحث الذي بدأ بإلقائه على الجماهير عبر المنبر الحسيني.

ولا يخفى أن العامل يأخذ منه في إطاره المحدود، والمثقف يأخذ منه حسب مداه الأوسع.

ولا حاجة لبيان ضرورة كل واحد من هذه العلوم لوضوحها، فالكلام في العقيدة، والفقه في القانون والأحكام، والأصول للوصول إلى الأسس الفقهية، والعلوم القرآنية لفهم القرآن[١]، والحديث والدراية والرجال لمعرفة الحديث[٢]

---

(١) فالقرآن يعتبر مصدر الفكر والتشريع بل هو مقياس ثقافتنا وحضارتنا.

(٢) لا بد من دراسة علم الحديث بالأخص بالنسبة للخطيب حيث يجعله يميز مفتريات الحديث عن غيره حتى لا يوجه الناس إلاّ إلى الأحاديث =

وتمييزه، والفلسفة لمعرفة حكمة المفاهيم الإسلامية وعللها، والأخلاق لمعاشرة الناس، والتاريخ والسياسة لمعرفة واقع الإسلام والمسلمين.

٣ ـ وأما العلوم الأخرىٰ فهي أعم من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية فالأولىٰ:

أ ـ الكيمياء.

ب ـ الفيزياء.

جـ ـ الجغرافية الطبيعية والفلكية.

وما في فلكها من العلوم التي تدور رحاها حول الطبيعة كعلم طبقات الأرض، وعلم الحيوان وعلم النبات، وما إلى ذلك.

فإن المراد بدراستها أن يكون للخطيب إلمام بها حتىٰ يمكنه الاستدلال بشيء منها على إثبات مدعاه من التراث الإسلامي، بالإضافة إلى عدم خروجه عن القوانين الطبيعية التي خلق الكون في إطارها.

والثانية:

أ ـ الاجتماع.

ب ـ النفس والطب.

جـ ـ القانون والسياسة العامة.

= التي صدرت عن المعصومين عليهم السلام وعلى الأخص الأحاديث التي وصلتنا حول مسيرة الإمام الحسين عليه السلام فلا بد من الدقة والحيطة.

وما في مدارها مما له علاقة بالإنسان الفرد أو الإنسان المجتمع، وهذه العلوم كسابقتها لابد للخطيب أن يكون له إلمام بها حتىٰ تساعده على فهم المجتمع بطبقاته المختلفة ونفسياته[1] المتنوعة وسياسته المتفاوتة، بالإضافة إلىٰ معرفة القوانين العامة للأنظمة المختلفة الحاكمة والأسس الطبية التي لا يمكن تجاوزها، ومتابعة الأخبار ومجريات الأمور وذلك ليعالج مشاكل المجتمع عبر هذا المنبر.

ونأتي الآن إلى النوع الثاني من هذا القسم وهو الأمور العملية، فإن الخطيب يحتاج إلى بعض الممارسات العملية قبل ارتقائه هذا السلم الخطير، فلا بد له أن يكسر طوق بعض الصفات المحيطة به ليتمكن من السيطرة عليها حتى لا تكون عائقاً بالفعل عن إيفاء غرضه كالخجل والجبن وما إلى ذلك من صفات لا تليق بمثله، وهذا لا يمكن إزالته إلا بممارسة عملية وتمارين متعددة تحد من سطوة هذه الصفات عليه.

ولا يخفىٰ أن القضاء على الخجل لا يتعارض مع الحياء، لأن الحياء هو الامتناع عن عمل لا يليق، والخجل هو الامتناع عن الحق، وبينهما بون شاسع.

ولا نقصد أيضاً بالقضاء على الجبن أن يصبح متهوراً بل المقصود ان يصبح شجاعاً في طرح الفكرة الصحيحة ولا يخاف الظالمين والمنافقين، وما بين التهور والشجاعة فرق كبير جداً.

---

(١) لا شك أن علم النفس من أكثر العلوم التي يحتاجها الخطيب في محاضراته حيث انه يخاطب النفوس ولا بد من التأثير فيها فلولا معرفته بأساليبه لا يمكن السيطرة عليها.

وهناك الكثير من هذه الصفات تأتي في القسم الثالث من هذا البحث إلا أننا نطرح هنا الجانب الذي هو بحاجة إلى ممارسة عملية.

وفي هذا الإطار لا بأس بالقول بأن الخطيب لا بد وأن يدخل دورة تطبيقية للخطابة تحت إشراف أحد الخطباء الماهرين ممن له اليد الطولى والتجربة الفنية في هذا المجال ليبدي عليه الملاحظات التالية:

١ ـ كيفية البدء بالكلام والانتهاء منه والتوقف في أثنائه ومراعاة الروابط الكلامية(١).

٢ ـ كيفية رفع الصوت وخفضه(٢) والأطوار الصوتية، وأسلوب قراءة الآيات القرآنية والحديث والشعر والنثر بل وغيرها.

---

(١) يعير بعض الخطباء إلى الخاتمة أهمية كبرى ـ والحق معهم ـ وذلك لأنها هي التي ستبقى راسخة في ذهن المستمع فيما إذا أحسن الخطيب صياغتها، فعليه أن يختار فيها ما ينفع الناس باختصار شديد.

(٢) ومن اللطائف ما ذكره لي أحد تلامذة الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي انه كان في دورة تمرينية: فلما ارتقيت المنبر قبل استاذي الكعبي رفعت صوتي في بداية الأمر ولما وصلت إلى المكان الذي لا بد لي أن أرفع صوتي عند النعي لم أقدر على ذلك ولم أتمكن من أداء مهمتي كما يجب، فتوجه بعد ذلك استاذي الكعبي إلي مؤنباً ومعلماً أن الخطيب يجب أن يتدرج في رفع صوته ويراعي الموضع الذي يجب أن يرفعه ثم قال مازحاً مؤنباً: لا بد وأن تتعلم هذا الأمر من شيخ الخطباء فسألته ومن هو فقال بكل هدوء هو الحمار، أما ترىٰ أنه يبدأ خافضاً وينتهي رافعاً.

٣ ـ كيفية النظر إلى الجماهير.

٤ ـ مراعاة الحضور ومشاعرهم[١].

٥ ـ مراعاة الزمان والمكان والمناسبة[٢].

---

(١) يذكر الخطيب السيد داخل في معجم الخطباء: ١/ ٣٤ أن خطيباً بدائياً ارتقى الأعواد المنبرية في منزل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فأطال وكان قد قرأ وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام وأخذ يشرحها مكرراً العبارة «بُني حسن» مع العلم أن عدد الحضور لم يتجاوز عدد أصابع اليد، فلما أنهى محاضرته التفت إليه كاشف الغطاء قائلاً: «بني حسن أما أوصاك أبوك إذا كان في المجلس ثلاثة مستمعين فلا تطل الحديث عليهم» حيث لم يراع مشاعر الحاضرين من حيث الإطالة من جهة، وتفسير الكلمات أمام كاشف الغطاء وأمثاله.

بل إن حديثنا أعم من ذلك إذ لا بد للخطيب أن يقوم بدراسة عن مجتمع مستمعيه وبيئتهم ويحللها تحليلاً نفسياً، وفي هذا المجال يروي أفلاطون عن سقراط بأنه قال فيما قاله عن الخطابة والخطيب ما ملخصه: «على الخطيب أن يتعرف على نفسية مستمعيه فإن الفوارق الفكرية والعملية بين بني البشر إنما هي نابعة من نفسياتهم، فلا بد أن يوزع كلامه على أصناف الناس الحاضرين مراعياً شعورهم...».

(٢) يقول الجاحظ في البيان والتبيين: ٢/ ٣٨، «اعلم أن جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين، منها الطوال ومنها القصار ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه، ومن الطوال ما يكون مستوياً في الجودة، ومتشاكلاً في استواء الصنعة، ومنها ذوات الفقر الحسان والنتف الجياد، وليس فيما بعد ذلك شيء يستحق الحفظ وإنما حظه التخليد في بطون الصحف ووجدنا عدد القصار أكثر ورواة العلم إلى حفظها أسرع». ولعل في هذه الأيام والعصور للقصار منها =

٦ ـ مراعاة هندامه الشخصي.

٧ ـ مراعاة حركة أعضائه الرئيسية كالرأس والعينين والفم واليدين[1].

٨ ـ اختيار الموضوع وحسن انتقاله إلى موضوع آخر[2].

٩ ـ مراعاة أصحاب المجالس والظروف الأخرىٰ.

١٠ ـ التحسب للطوارىء بكل ما في الكلمة من معنىٰ[3].

= أكثر وقعاً لدى المستمعين فلا بد من مراعاته وقد لاحظنا ذلك في أكثر من بلد وخطيب، وقد قيل: «آفة الكلام الإطالة، وخير الكلام ما قل ودل ولم يمل»، وفي أعلام الدين ٢٧٥: رأى الرسولﷺ أعرابياً يتكلم فطوّل، فقال له: «كم دون لسانك من حجاب؟» فقال: شفتاي وأسناني، فقالﷺ: «فتثبت واقتصر، فإن الله تعالى يكره الانبعاق ـ التوسع ـ في الكلام، فنضّر الله وجه امرىء أوجز في كلامه، واقتصر على حاجته».

(١) ومن الأمور المهمة في حركة الأعضاء والأطراف أن يراعي حركات الوجه والشفة والعين، إذ لا بد من تطابق حركات وجهه ومبسمه مع ما يلقيه على الناس، فلا يقطب وجهه في حالة السرور والبشارة مثلاً.

(٢) وهنا لا بد من القول بأن من الأهمية بمكان إذا أريد أن يتأثر المستمع لا بد من الضرب على الوتر الحساس في البنية الإنسانية فإن الإنسان بطبيعته يخضع للعواطف، والعاطفة هي الطريق المعبد للدخول إلى القلب، فعلى الخطيب أن يستخدمه كآلة خطابية إلا أنه لا بد وان يعصمها بالتقىٰ والحقيقة حتى يكون الهدف والأسلوب شرعيين، وعن دور العاطفة كتب الخطيب الانكليزي المشهور لرد چسترفيلد (١١٠٦ ـ ١١٤٦ هـ) = (١٦٩٤ ـ ١٧٣٣ م) فيما كتب: «إذا أردت أن تثير المستمع وينصاع إليك فعليك بعواطفه واحساساته» ـ راجع آداب سخن: ٢٧٠ ـ.

(٣) ولعل من موارده البعيدة أن خطيباً بداثياً أُحرج في مجتمع أكبر من =

١١ ـ عدم التكرار الممل.

١٢ ـ طريقة العرض.

١٣ ـ التقيد بوحدة الموضوع.

١٤ ـ عدم التكلف في طرح الموضوع.

١٥ ـ استخدام فن التصوير.

١٦ ـ مراعاة عامل الصوت بل الطور في المحاكاة أو إنشاد الشعر أو تلاوة القرآن أو قراءة الحديث، فلا بد من أن يتقمص الخطيب الحالة التي يريد تمثيلها، فلو تكلم عن لسان المريض ـ مثلاً الإمام السجاد عليه السلام ـ أو حالة المحارب ـ كالإمام الحسين عليه السلام ـ أو حال الأسر ـ كالسيدة زينب ـ أو غيرها من الحالات فإنه لا بد وأن يستخدم لكل حالة طوراً خاصاً ويتلاعب بالصوت حيث إن للصوت الأثر البالغ سواء في انخفاضه وارتفاعه أو في مده أو قصره أو في السرعة والخفة، ولكن لا بد وأن يكون ذلك بدقة متعادلة[1].

= مستواه ليخطبهم فبدأ كلامه بقوله: «إذا لم يكن خطابي بمستوى كبار الخطباء فغضوا عني الطرف واغفروا زلتي ولكن لا يخفى عليكم أن الروافد الصغار هي التي تشكل الأنهار والبحار، والأشجار العالية أصلها بذرة صغيرة». راجع آداب سخن: ٣٤٩، ولكن للنبي يحيى مقولة أخرى في علاقة صغار الأشياء بكبارها. ستأتي في محلها.

(١) بعدما كتبت عن هذا الجانب زارني أحد الأصدقاء من الذين التحقوا بمعهد الخطابة باللغة الانكليزية بلندن وسألته عن بعض المواد وأسلوب العرض التي تلقاها في المعهد فشرح لي جانباً منها، ومما جلب انتباهي مسألة المحاكاة هذه حيث قال: طلب المحاضر يوماً من الطلاب قائلاً: =

وما إلى ذلك من أمور لابد من مراعاتها وهذه الدورة جديرة بأن تعلمه هذه الأمور ثم تكلفه بإجراء التمارين الحية حتى يصبح قادراً على ارتقاء المنابر أمام الجماهير، ومع كل هذا لابد من ذوق منبري خاص.

ولا نريد الإطالة في البحث في هذه الأمور لأنها خارجة عن موضوعنا حيث إننا وضعنا هذا البحث كمقدمة لتراجم الخطباء بالمناسبة، وإلا فإن الموضوع بحد ذاته جدير بوضع كتاب خاص به.

فبما قدمناه يكون الخطيب قد صنع لنفسه خلفية ثقافية عالية وشخصية قوية، مما يؤهله لأن يطرح نفسه في المجتمع الخليط بشرائحه المتفاوتة ومستوياته المختلفة وانتماءاته المتنوعة، ولكنه لا زال يحتاج إلى مواصفات أخرىٰ تجعله في الإطار الذي أراده أهل البيت عليهم السلام ليكون رسولاً عنهم مبشراً ونذيراً لهذه الأمة بل لكل الأمم بفضل سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولعل آية النفر[1] تشملهم والفقهاء. والقسم الآتي هو الكفيل بالبحث عنه.

القسم الثالث: الصفات النفسية، وهذا القسم بالذات له أهميته الكبرى حيث يتضمن تعاليم إسلامية قيمة جاء بها رسول الإسلام والإنسانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته

= أريد أن تتقمصوا شخصية الأم في أدوارها المختلفة عندما تلتقي بولدها حين يستيقظ من النوم، عندما تودعه إلى المدرسة، عند الأكل، بعد قيامه بما ينافي الأخلاق وهكذا، لأن الصوت له أثر فاعل في إيصال الفكرة إلى المستمع وترسيخها.

(١) إشارة إلى الآية: ١٢٢ من سورة التوبة.

الأطهار عليهم السلام ولا محيص عنها، وهي في الحقيقة من صفات المؤمن[1] بالله وبرسوله وبأولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم، فإذا كان المؤمن لا بد وأن يكون متصفاً بهذه الصفات فكيف بمن يتولى مسؤولية الإرشاد والتبليغ فإنه لابد وأن يتحلى بها حتى لا ينطبق عليه المثل المعروف «فاقد الشيء لايعطيه» وقول الشاعر ـ من الطويل ـ :

وغير تقي يأمر الناس بالتُّقى طبيب يداوي الناس وهو عليل[2]

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[3] وقول

---

(١) من المؤسف جداً أن يصل بنا الزمان لنسمع بالإيمان التجزيئي أو النسبي، ففي غابر الزمان كان يقال فلان مؤمن أي أنه متصف بكل الصفات الحسنة التي وضعها الله والرسول والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأما في العصر الحاضر فإن هذه الصفة تعطى بالتقسيط وتُجزأ على الفرد فتكون النتيجة أنه مؤمن نسبي، ففي بعض الأجواء يقال لمن لا يسرق مؤمن وان تخلىٰ عن بقية الصفات، وفي مجال آخر يقال إنه مؤمن وإذا سئل عن السبب قيل إنه يصلي، وهكذا إذا نظرنا إلى مجتمع آخر فيقال للرجل مؤمناً إذا لم يؤذِ أحداً، وفي مجتمع آخر يقال لمن لا يأكل مال الناس وهكذا وهلمّجرا، فأصبحنا في مجتمع إذا قيل لنا فلان مؤمن لا بد وأن نتساءل عن وجهة نظر القائل بما يفسر الإيمان أبالعدل أم بالأمانة أم بالعبادة أم بالأخلاق أم بغيرها.

(٢) وقد ورد العجز في بيت آخر هكذا من الطويل:

ولم يشغني ذاك النسيم لأنه طبيب يداوي الناس وهو عليل

راجع قول على قول: ٢/ ١١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤ وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي: ١/ ٤٦ إنها نزلت في الخطباء والقصاص، وفي حديث رسول الله ﷺ: «مررت ليلة =

الرسولﷺ: «لا تكونن ممن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه»[1]، ويقول هوفمن[2]: «ما يقوله الواعظ لا بد وأن يكون متخلقاً به»[3] ولعل مجمل الصفات وأهمها هي:

١ ـ الإيمان

أي الاعتقاد بما يقوله، فلا يناقض قوله مع معتقده، يقول الله جل وعلا ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾[4]، ويقول الرسولﷺ: «إن الرجل لا يكون مؤمناً حتىٰ يكون قلبه مع لسانه ويكون لسانه مع قلبه»[5].

٢ ـ العمل

أي أن يعمل الخطيب بما يؤمن به ويقوله حتىٰ يطابق عمله قوله.

= أسري بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم» ـ مجمع البيان: ١/ ٢١٥.

(١) ناطقين زبردست: ٢٠٠.

(٢) هوفمن: Hofman الظاهر هو هوفمان ارنست ثيودر أماديوس الروائي الألماني الذي برع في الأدب والموسيقى والتصوير جميعاً، ولد عام ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) وتوفي عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) من مؤلفاته الروائية: أكسير الشيطان، أخوان سرابيون، القطة المتقمة.

(٣) مكارم الأخلاق: ٤٥٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤١.

(٥) ميزان الحكمة: ١/ ٣٠٥ عن كنز العمال.

قال الله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]. ويقول الرسولﷺ: «فلا تكن ممن يشدد على الناس ويخفف على نفسه»[2] ويقول الشاعر ـ من الكامل ـ:

لا يعجبنك من خطيب خطبة ... حتىٰ يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا[3]

٣ ـ التقوىٰ

أي أن يتقي الله ويخشاه في عمله وقوله ولا يبتغي سواه، قال الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[4].

ويقول عليعليه السلام لابنه الحسن: «يا حسن؛ أحسن ما بحضرتكم من الزاد، التقوى والعمل الصالح»[5].

---

(١) سورة الصف، الآية: ٣.

(٢) مكارم الأخلاق: ٤٥٧، جاء في تفسير الزمخشري (الكشاف): ٤/ ٦٨٧ في حديث طويل رواه معاذ عن رسول اللهﷺ في الحديث عن أصناف الناس يوم القيامة: «وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع ـ إلى أن يقول ـ وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقُصاص الذين خالف قولهم أعمالهم» أوردها الزمخشري في ذيل الآية ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، وجاء في حديث آخر عن الصادقعليه السلام: «العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن المصفاة».

(٣) خطباء المنبر الحسيني: ١/ ٧٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٢.

(٥) الأعشى: هو ميمون بن قيس بن جندل، المتوفىٰ عام ٧ هـ، كان غزير =

ويقول الأعشى[1] ـ من الطويل ـ:

إذا أنتَ لم ترحلْ بزادٍ من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزوَّدا
ندمِتَ على أنْ لا تكونَ كمثله وأنَّك لم ترصِدْ كما كان أرصدا[2]

وقالوا: «من اتقىٰ الله وقاه»[3].

٤ ـ الإخلاص

أي يكون مخلصاً في عمله وقوله ولا يتبع هواه فإن النفس امارة بالسوء، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[4]، وقال الرسول ﷺ: «اخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له»[5].

٥ ـ الاسلوب

أي يكون حسن القول في الدعوة والإرشاد فإنه أوقع في القلوب قال الله جل وعلا: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[6]، وقال الرسول ﷺ: «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[7].

= الشعر، عاش طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، كان يفد على الملوك ولاسيما ملوك الفرس ويمدحهم.

(١) مجموعة المعاني: ١/ ٥.

(٢) مجمع البحرين: ١/ ٤٥٠.

(٣) أمثال الشرق والغرب: ٩٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

(٥) ميزان الحكمة: ٣/ ٦١ عن كنز العمال: ٣/ ٢٣، وفي حديث آخر للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: «من أصعد إلى الله خالص عبادته اهبط الله عز وجل له أفضل مصلحته» ـ سخن وسخنوري: ٥٥ ـ.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٧) بحار الأنوار: ١/ ٨٥.

٦ ـ الأخلاق

أي أن يراعي في كلامه وعمله مشاعر الآخرين حتىٰ لا ينفروا منه، قال الله تعالى مادحاً رسولهﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]، وقال الرسولﷺ : «بعثت لاتمم مكارم الأخلاق»[٢].

وقال الشاعر ـ من الطويل ـ:

فتًى مثلُ صفو الماء، أما لقاؤه فبشرٌ، وأما وعده فجميل
غنيٌّ عن الفحشاء أما لسانه فعفٌّ وأما طرفُه فكليلُ[٣]

٧ ـ الصفاء:

أي لا يحقد على أحد ولا يحمل غلا لأحد وأن يحسن الظن بالآخرين وبالأخص لزملائه، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، وقال عليعليه السلام : «أشد القلوب غلاً قلب الحقود، والحقد شيمة الحسدة، والحسد شر الأمراض»[٥]، ويقول السيد محمد صالح القزويني المتوفىٰ عام١٣٧٥ هـ ـ من الخفيف ـ:

هذّب النفس كي بنفسك تسمو وتذكر نفساً وما سوّاها
زكِّ نفساً امارةً بالخطايا وتدبّر فلاح من زكّاها[٦]

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.
(٢) البحار: ١٦/ ٢١٠.
(٣) مجموعة المعاني: ١/ ١٣٢.
(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.
(٥) ميزان الحكمة: ٢/ ٤٥٦ و٤٥٧ و٤٢٢، عن غرر الحكم «إنها ثلاثة مقاطع ذكرناها معاً».
(٦) الموعظة الحسنة: ١١.

٨ ـ التواضع

أي لا يكون أنانياً متكبراً معجباً بنفسه، قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[١]، وقال الصادق عليه السلام: «آفة الدين الحسد والعجب والفخر»[٢]، ويقول الشاعر ـ من الطويل ـ:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بجسمه على طبقات الجو وهو وضيع[٣]

ويقول أبو محمد التيمي[٤] من الطويل:

تواضع لما قد زاده الله رفعةً وكلٌّ رفيع قدرُه متواضع[٥]

وقالوا: «التواضع سلم الشرف»[٦].

٩ ـ الأمانة

ان امانة النقل ضرورية جداً للمبلّغ بل هي أعظم الأمانات لأنها ترتبط بالعقيدة، حيث ذم جل وعلا ذلك بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٢) ميزان الحكمة: ٢/٤٢٦ عن البحار. ٧٠/٢٤٨، عن الكافي: ٢/٣٠٧ وفي سجع الحمام في حكم الإمام: ١٥٦ عن علي عليه السلام: «التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد».

(٣) التبليغ رسالة الأنبياء: ١٤.

(٤) التيمي: هو عبد الله بن أيوب مولى بني تيم الكوفي، سكن بغداد، مدح البرامكة، توفي في بغداد عام ٢٠٩ هـ.

(٥) الأغاني: ٢٠/٥١.

(٦) أمثال الشرق والغرب: ٩٨.

ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1]، ويقول أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ في ذم ذلك بقوله: «وعلى كل منبر مصقع يكذب على الله ورسوله وعلى كتابه»[2]، ويقول الكميت[3] ـ من الطويل ـ:

مصيب على الأعواد يوم ركوبها   لما قال فيها مخطىء حين ينزل[4]

وقالوا: «الامانة خير سياسة»[5].

وهنا نود أن نذكر بعض ما نقل عن العلماء والأعلام في مورد الخطابة الحسينية وتورعهم في النقل حتى يكونوا أسوة للخطباء وعبرة للوعاظ.

ذكر بعض الفضلاء المتدينين أن خطيباً قال على المنبر حاكياً عن سيد الشهداءعَلَيْهِ السَّلَامُ في سياق حكاية انه قال: «يا زينب يا زينب» فصاح به المولى الشيخ محمد إبراهيم الكرباسي[6]

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦ وسورة المائدة، الآية: ١٣.

(٢) تفسير القمي: ٤٦/١، وفي حديث آخر له: «من صدقت لهجته قويت حجته».

(٣) الكميت: هو ابن زيد بن خنيس الأسدي (٦٠ ـ ١٢٦ هـ) شاعر فحل، اختص بالهاشميين، اشتهر في عصره، كان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، من أصحاب الملحمات، طبع ديوان شعره في ثلاثة مجلدات.

(٤) ينسب هذا البيت إلى الكميت، كما في بعض المصادر، إلاّ أننا لم نعثر عليه في ديوانه.

(٥) أمثال الشرق والغرب: ١٠٤.

(٦) محمد إبراهيم: هو ابن محمد حسن بن محمد جعفر الأشتري النخعي (١١٨٠ ـ ١٢٦١ هـ) من أعلام الإمامية وفقهائها، له مصنفات منها: الإشارات في الأصول، الإرشاد في الفقه، الإيقاظات.

في الملأ العام كسر الله فمك... لم يقل الإمام عليه السلام يا زينب مرتين وإنما قال مرة واحدة[1].

١٠ ـ الصبر

لا بد للخطيب أن يكون جَلِداً صبوراً يتحمل الصعاب ليوصل كلمة الحق إلى الناس، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾[2]، وقال علي عليه السلام: «بالصبر تدرك معالي الأمور»[3]، وقال المتنبي[4] ـ من البسيط ـ:

قد هوّن الصبر عندي كلَّ نازلة ... وليّن العَزمُ حدّ المركبِ الخشنِ[5]

وقال النبهاني[6] ـ من الطويل ـ:

تعزَّ فإن الصبر بالحرِّ أجملُ ... وليس على ريب الزمان معوّلُ[7]

وقالوا: «تابع الصبر متبوع النصر»[8]، وقالوا أيضاً: «من صبر ظفر».

---

(١) أعيان الشيعة: ٢/ ٢٠٦ عن شفاء الصدور.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٣) ميزان الحكمة: ٥/ ٢٦٠ عن غرر الحكم.

(٤) المتنبي: هو أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكندي الكوفي (٣٠٣ ـ ٣٥٠ هـ) ولد في الكوفة ونشأ على التشيع، من فحول الشعراء، قتله فاتك على مقربة من عين التمر ـ كربلاء ـ.

(٥) ديوان المتنبي: ٢/ ٤١٨.

(٦) النبهاني: هو إبراهيم بن كُنيف، يقول عنه الزركلي: ١/ ٥٨: شاعر إسلامي، ولم يزد على ذلك.

(٧) الحماسة: ٨/ ٢٥٨ بشرح المرزوقي.

(٨) أمثال الشرق والغرب: ٤٢.

١١ ـ الشجاعة

بما أن الخطيب قد تحمّل مسؤولية كبرىٰ فعليه أن يكون شجاعاً جريئاً في طرح ما يجب طرحه فلا يهاب أحداً، فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1]، وقال الإمام الجواد عليه السلام: «إن الله يحب المؤمن الشجاع»[2].

وقال الشاعر من البسيط:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي مربض المستثفر الحامي[3]

وقالوا: «الشجاع مُوقّىٰ»

هذه هي أهم الصفات التي يجب على الخطيب أن يتصف بها وحينئذٍ تكوّن له حصانة قوية لا تأخذه في الله لومة لائم ولا تحركه العواصف مهما اشتدت ولا تجرفه الأمواج مهما تعالت، حيث انه متحصّن بحصن الله، ومتدرّع بدرع الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام الذين دعوا إلى الفضائل ونبذ الرذائل النفسية، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] الذين لا تقبل الأعمال إلا منهم[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٢) كذا في التبليغ رسالة الأنبياء: ١١، إلا إننا لم نعثر عليه في أمّات المصادر.

(٣) أمثال الشرق والغرب: فرائد الأدب ـ المنجد: ٩٩٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

(٥) إشارة إلى مضمون الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وهناك الكثير من الفضائل لا بد للخطيب أن يتحلىٰ بها كما أن هناك الكثير من الرذائل لا بد أن يتجنبها، إلاّ أنّ هذه الأمور لعلها تكون مفتاحاً لكل الفضائل وسداً لكل الرذائل، ومن أراد التفصيل في ذلك فليراجع الكتب المختصة بذلك[1] والله من وراء القصد[2].

---

(١) كتاب جامع السعادات للنراقي، الفضيلة الإسلامية للشيرازي، والأخلاق لشبر أو غيرها.

(٢) وفي الحقيقة فإن هذا الفصل بالذات بحاجة إلى دراسة وإلى ممارسة ونأمل أن يتولىٰ بعض الأخوة الفضلاء التوسع فيها وعلى أثرها تدرس كمادة لتأهيل الخطباء عبر المعاهد حيث باتت ملحّة ومن هنا نجد أن كبار الخطباء اهتموا بالالتحاق بالحوزات العلمية العامرة في أكثر من موقع للتسلح بالعلوم الدينية والعربية، ثم يلتحقون بالجامعات لأجل أن يتزودوا بالعلوم الحديثة. وربما أخضعوا أنفسهم لدورات تؤهلهم للخطابة، وهذا النوع الفكري بدا مقبولاً أكثر من ذي قبل حتىٰ يمكن أن نعتبرها ظاهرة صحية ظهرت في بعض التجمعات ـ المعد.

وختاماً نود أن نذكر بعض الألقاب التي أُطلقت على الخطيب الحسيني انطلاقاً من عمله الديني الشريف، وسنذكر بعض النماذج التي لها ارتباط باللغة العربية من حيث الاشتقاق أو المصطلح عندهم دون غيرها تاركين التفاصيل إلى باب قاموس النهضة الحسينية[1]، حيث هو المتكفل ببيان اشتقاقاتها ومعانيها وأسبابها: وهي الخطيب، الواعظ، المرشد، الذاكر، المبلّغ، المدّاح، والروضة خون القاري، فإن هذه الألفاظ متداولة عند الجالية العربية ولكن أفضلها هي كلمة، الخطيب حيث إن الذي يباشره هو الخطابة ولا ربط لها بالمحتوىٰ لأن المحتوىٰ قد يختلف، فقد يكون بالفعل ناعياً أو نوّاحاً أو مدّاحاً وقد يكون مبلغاً أو مرشداً أو واعظاً، وما إلى ذلك ولكن الجامع فيما بينها هو الخطيب وذلك اخترناه في مجمل حديثنا عنه.

---

(١) لقد وضع المصنف باباً مفصلاً شرح فيه كل المفردات التي اصطلحت أو استخدمت في القضايا المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام، حيث ذكر جذرها ومعناها اللغوي، ثم استخداماتها مما سهل على القارئ والباحث عملية البحث والفهم، وفيها مفردات ترتبط بالمؤسسة الخطابية ـ المعد.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الذي يريد أن ينخرط في سلك الخطباء عليه أن يكون مستمعاً جيداً قبل أن يكون خطيباً، بل عليه أن يتتلمذ على خطيب ماهر ويتمرن عنده.

نوعية الخطابة

لقد سبق وبحثنا مواضيع مختلفة عن الخطيب والخطابة ولكن هذا البحث جدير بالمناقشة، وقلما يتم التطرق إليه، والذي حدا بنا أن نتكلم عنه هو ما جاء في اللقاء الصحفي للخطيب الشيخ أحمد الوائلي[1] الذي أجرته معه مجلة النور اللندنية[2] من محاولة إبعاد السياسة عن المنبر الحسيني بحجة أن السياسة لا بد لها من اختصاص وهذا خارج عن اختصاص الخطباء، وهذا جانب من كلامه: «يجب أن يتخصص للجانب السياسي جماعة يقتصرون على درسه وفهم متغيرات هذا الجانب الاجتماعي فإنه موضوع غير ثابت وتدخل فيه متغيرات كثيرة في كل يوم، ويفتقر العاملون فيه إلى إلمام واسع بمتغيراته وفهم ثاقب بزواياه ومنعطفاته مما تتعذر معه الإجادة فيه إذا جعل ضميمة إلى غيره، هذا بالإضافة إلى أنه يجب أن يكون السياسي المسلم على باع طويل في فهم الإسلام ليغطي بالأحكام كثيراً من الموضوعات

---

(١) الوائلي: هو أحمد بن حسون، ستأتي ترجمته في هذا الجزء ان شاء الله تعالىٰ.

(٢) مجلة النور: مجلة إسلامية عامة تصدر من لندن بالعربية عن مؤسسة الإمام الخوئي منذ شهر محرم عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م) بإدارة تحرير السيد عبد الحسن الأمين.

السياسية التي لا يمكن أن يمارسها المسلم وهو حر من الالتزام بضوابط الدين، لذلك كله لا بد من إعداد ساسة متخصصين يجمعون بين فهم الإسلام في أحكامه والسياسة في موضوعها للمواءمة بينهما في بناء سياسة إسلامية»[١].

ولا يخفىٰ أن حكم السياسة حكم سائر العلوم التي لا بد للخطيب أن يكتسبها حتىٰ يمكنه توعية الناس سياسياً فيما إذا احتاجت الأمة إلى ذلك، وهذا يختلف عن العمل السياسي وسائر الفروع السياسية الأخرى التي يفضل فيها الاختصاص بل يتحتم في بعضها[٢].

وأما تفصيل الكلام عما يجب طرحه على الخطيب من مواضيع فسنأتي على بيانه.

---

(١) مجلة النور اللندنية العدد: ٤ الصفحة: ٢٠.

(٢) بدأ المنبر الحسيني سياسياً حين استخدمه الإمام الحسين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام وسيبقىٰ يحافظ على نمط متىٰ ما وجد في ذلك ضرورة، ومما تجدر الإشارة إليه أن السياسة أصبح لها مفهوم خاطىء ومن هنا نجد المصنف يشير إلى هذا الأمر في مقدمة العامل السياسي لنهضة الإمام الحسين عليه السلام لدى حديثه عن معنىٰ السياسة إذ عرفه بأنها فن تدبير الأمور، وأما بالنسبة إلىٰ ما شاع استخدامه اليوم فلا بد للخطيب أيضاً أن يكون ملماً بها فمتىٰ ما وجد هناك ضرورة لا بد من الحديث عنها إذ لا توجد مسافة فاصلة بين الدين والسياسة وقد ورد في الحديث «ثم فوض إلى النبي صلى الله عليه وآله أمر الدين والأمة ليسوس عباده»، وعلى أي حال فالأمر متروك للخطيب والحاجة، وهذا لا يختص بهذا الجانب إذ قد يكون تقويم الخطيب التحدث إلى الأمور الأخلاقية فيجب عليه أن ينحو هذا المنحىٰ وهكذا ـ المعد.

وبعد الانتهاء من هذا الجزء وقفت على ما كتبه ديل كارنيجي[١] في موضوع الخطابة وسبل نجاح الخطيب في مهمته، فوجدته جديراً بالمطالعة والإمعان، وانصح كل من يريد ان يسلك طريق الخطابة أن يقرأ هذا الكتاب بإمعان ويقف عند كل مادة من مواده التطبيقية ليختصر طريق الوصول إلى الهدف المنشود.

وفي الحقيقة فإن موضوع كتابه يختلف تماماً عما قدمناه حيث إنه يبحث عن الخطابة من الناحية التطبيقية لا النظرية[٢]، حيث يبين فيها سبل الوصول إلى ما قدمناه ويتحدث عنها عن خبرة ودراسة، ولكي نعطي صورة سريعة عن الكتاب ارتأينا أن نفهرس مواده ونضعها بين يدي القارىء الكريم، وربما ألحقنا بعض المقولات منها ببعض المواد التي سبق وذكرناها دعماً لما قدمناه في هذا المجال، ان استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) ديل كارنيجي: (Dale Carnegie): باحث ومؤلف وخطيب أمريكي له كتاب الخطابة، وكتاب كيف تكسب الأصدقاء، وكتاب دع القلق وابدأ الحياة.

(٢) كان من المفترض أن نضع فصلاً خاصاً بالجانب التطبيقي إلا أننا أعرضنا عن ذلك لأسباب قد لا تخفىٰ على أرباب الفن، وفي كتاب ديل كارنيجي كفاية عن ذلك.

أما فهرسة المواضيع التي تحدث عنها كارنيجي في كتابه فتقع في ستة عشر فصلاً تحمل العناوين[١] التالية[٢]:

١ ـ الاعتماد على النفس والتحلي بالشجاعة[٣].

٢ ـ سبل الاعتماد على النفس في الاستعداد للخطابة[٤].

٣ ـ الطرق التي اعتمدها أشهر الخطباء في التهيؤ للخطابة[٥].

٤ ـ الأساليب الناجحة في تقوية القوة الحافظة[٦].

---

(١) من الجدير ذكره أنا قمنا بترجمة العناوين من الترجمة الفارسية للأصل الذي وضعه بالانگليزية.

(٢) إن أسلوب الكاتب أن يقدم في أول كل فصل من فصول كتابه هذا أقوالاً لكبار الاختصاصيين والخطباء، وفيها من الحكم الجميلة التي لا تنقصنا نحن المسلمين حيث إن الأحاديث الشريفة مليئة بأحسن منها إلا أن في نقل أقوال الآخرين مزيداً من المعرفة بالمجتمعات الأجنبية وبأفكارها في هذا المجال، ولذلك ارتأينا أن نترجم أول المقولات من كل فصل ونضعها في الهامش لمزيد الاطلاع.

(٣) يقول دانيل وبستر: الشجاعة أعظم معرّف للإنسانية ـ ناطقين زبردست: ٥ ـ هذا وقد ذكر الدكتور علي باشا صالح في كتابه آداب سخن: ٧٨، ثمان عشرة طريقة للاعتماد على النفس.

(٤) يقول لوك وود توراب: «أحسن الطرق لتأمين الاعتماد على النفس هو تهيؤ الخطيب للخطابة بشكل لا يدع مجالاً للفشل بأن يخترق عمله» ـ ناطقين زبردست: ١٩ ـ.

(٥) يقول لوريمر: «هناك فرق كبير بين امتلاك الخطيب المواد المختلفة وبين امتلاكه مادة واحدة منسقة» ـ ناطقين زبردست: ٣٤ ـ.

(٦) يقول أي. پي. گوين: «الحافظة الجيدة أهم ما يحتاجه الإنسان» ـ ناطقين زبردست: ٥٠ ـ.

٥ ـ سبل الحفاظ على استمرارية إصغاء المستمعين للخطيب[١].

٦ ـ أسس الخطابة وأصولها[٢].

٧ ـ سر الخطابة الناجحة[٣].

٨ ـ شخصية الخطيب[٤].

٩ ـ كيف يبدأ الخطيب خطابه؟[٥].

١٠ ـ كيف يصغي الناس إلى الخطيب[٦].

---

(١) يقول هازليت: «الأمانة جزء من الفصاحة وبالمثابرة يرغب الآخرون إلى الاستماع إلينا» ـ ناطقين زبردست: ٦١ ـ.

(٢) يقول توماس اديس: «في أي حالة كانت لا أسمح لنفسي باليأس، وهناك أصول ثلاثة للوصول إلى الغاية المتوخاة: السعي، الاستمرارية وحب العمل» ـ ناطقين زبردست: ٧٢ ـ.

(٣) يقول أمَرْسُنْ: «ابحثوا عن الحقيقة واحتضنوها، فإن من أهم الأمور الاندفاع نحو العمل وهو نابع عن الحقيقة» ـ ناطقين زبردست: ٨١ ـ.

(٤) يقول شكسبير: «الفصاحة معجزة، آذان الناس أقل تجربة من عيونهم». ناطقين زبردست: ٩١ ـ.

(٥) يقول فكتور مردك: «إذا كنت في محفل يجمع كبار الخطباء والمتكلمين لتجدنهم يبحثون عن هذه الحكمة: الناجح من بدأ وختم كلامه بالجيد بغض النظر عن المحتوى» ـ ناطقين زبردست: ١٠٥ ـ.

(٦) يقول سيدني ويكس: «على الخطيب أن يسعد السامع ويزيل من خوفه، ويقضي على حالة التردد وسوء الظن، ولا يمكن الوصول إلى هذا إلا بالحديث عما يعنيه ويربطه به» ـ ناطقين زبردست: ١٢٠ ـ.

١١ ـ كيف ينمي الخطيب خطابه؟[١].

١٢ ـ كيف يبين الخطيب مقصوده؟[٢].

١٣ ـ كيف يمكن للخطيب إقناع الناس؟[٣].

١٤ ـ كيف يمكن للخطيب أن يجلب انتباه الناس إليه؟[٤].

١٥ ـ السبيل إلى تحويل الأقوال إلى الأفعال عند المستمعين[٥].

---

(١) يقول جورج رولند: «لختم الكلام أسلوب خاص فالخطيب عندما يشد السامع إليه، عندها يبدأ السامع بنسج كلام الخطيب ويؤسس عليه أفكاره ليجني ثمراته، فلا يحق للخطيب أن يبتر كلامه، ويترك السامع في سدى، بل عليه أن يستمر في كلامه ليوصله إلى النتيجة المتوخاة» ـ ناطقين زبردست: ١٣٧ ـ.

(٢) في دائرة المعارف البريطانية: «تسعة أعشار القرّاء يقتنعون بالموضوع الواضح المفهوم» وفي المثل الصيني: «صورة واحدة تعادل عشرة آلاف كلمة» ـ ناطقين زبردست: ١٤٨ ـ.

(٣) يقول فرانك كرين: «سر النجاح في الحياة عبارة عن فهم كيفية تغيير فكر الآخرين، فإن قدرة التغيير هي من وراء نجاح المحامي المدافع، والسياسي الحاذق، والواعظ الماهر» ـ ناطقين زبردست: ١٦١ ـ.

(٤) يقول لرد بريس: «فليكن لديكم ما تقولونه فمن اشتهر بذلك تتوق الناس للاستماع إليه، وعلى الخطيب أن يجمع أفكاره وينسق موضوعه، وعليه أن لا يهتم بقصر الخطاب بل عليه أن يقسمه إلى ثلاثة أقسام: المقدمة، المحتوى، والخاتمة، وعليه بالبساطة والوضوح» ـ ناطقين زبردست: ١٧٣ ـ.

(٥) يقول هگزلي: «الهدف الأكبر في الحياة هو العمل وليس العلم فقط» ـ ناطقين زبردست: ١٨٥ ـ.

١٦ ـ أساليب الخطابة[١].

وهناك كتب أخرى وضعت لهذه الغاية جديرة بالمطالعة[٢].

(١) يقول ويلسون: «البيان الجميل ووضوح الفكر أداتان ضروريتان للمبلغين والمبشرين» ـ ناطقين زبردست: ٢٠ ـ.

(٢) ومن تلك الكتب كتاب آموزش فن سخن گفتن للدكتور رجب علي المظلومي.

زي الخطيب

غلب على الخطباء أنهم يرتدون زي أهل العلم حيث إنهم شريحة منهم، وزيهم عبارة عن العمامة والعباءة والصاية أو الجبة أو معاً هذا بشكل عام، ولكن قد يختلف زيهم حسب المناطق، ففي الخليج وبالأخص السعودية فإنهم يرتدون الكوفية والثوب الطويل[1] والعباءة وربما الصاية حالهم حال العلماء في تلك المناطق إذ يغلب عليهم ذلك، وأما في البحرين مثلاً فإن كثيراً منهم يرتدي الكوفية والعقال العريض مع الصاية[2] والعباءة، وأما في بلاد الشامات فهناك من يلبس الفينة (الطربوش) بل هناك من يلبس العمامة والجبة والسروال كما في بعض مدن لبنان وإيران، وفي جنوب إيران والعراق كانوا يلبسون العقال الرفيع والكوفية مع الصاية والسترة[3]، وأما في وسط العراق فيلبسون الكشيدة (الفينة)

---

(١) الثوب الطويل اصطلح عليه بالدشداشة.

(٢) الصاية: هو القباء وإنما سميت صاية لصيانة لابسها من البرد وصونه وهي كلمة دارجة في العراق.

(٣) السترة: هي نصف المعطف أو أقصر منه، وإنما يقال لها سترة لأنها تقي الإنسان من البرد وتستره، وهي من الكلمات المستخدمة في العراق.

الملفوف عليها العمامة البيضاء أو الشكرية[١] أو الخضراء أو السوداء، وأما في مجمل بلاد القارة الهندية فيلبسون القبعات العريضة مع ارتداء الجبة القصيرة ذات الأزرار[٢] وفي تركيا وبعض بلاد الغرب فيكتفون بارتداء العباءة على الزي الرسمي والذي هو عبارة عن السروال والسترة، وربما أضافوا عليها القلنسوة البيضاء.

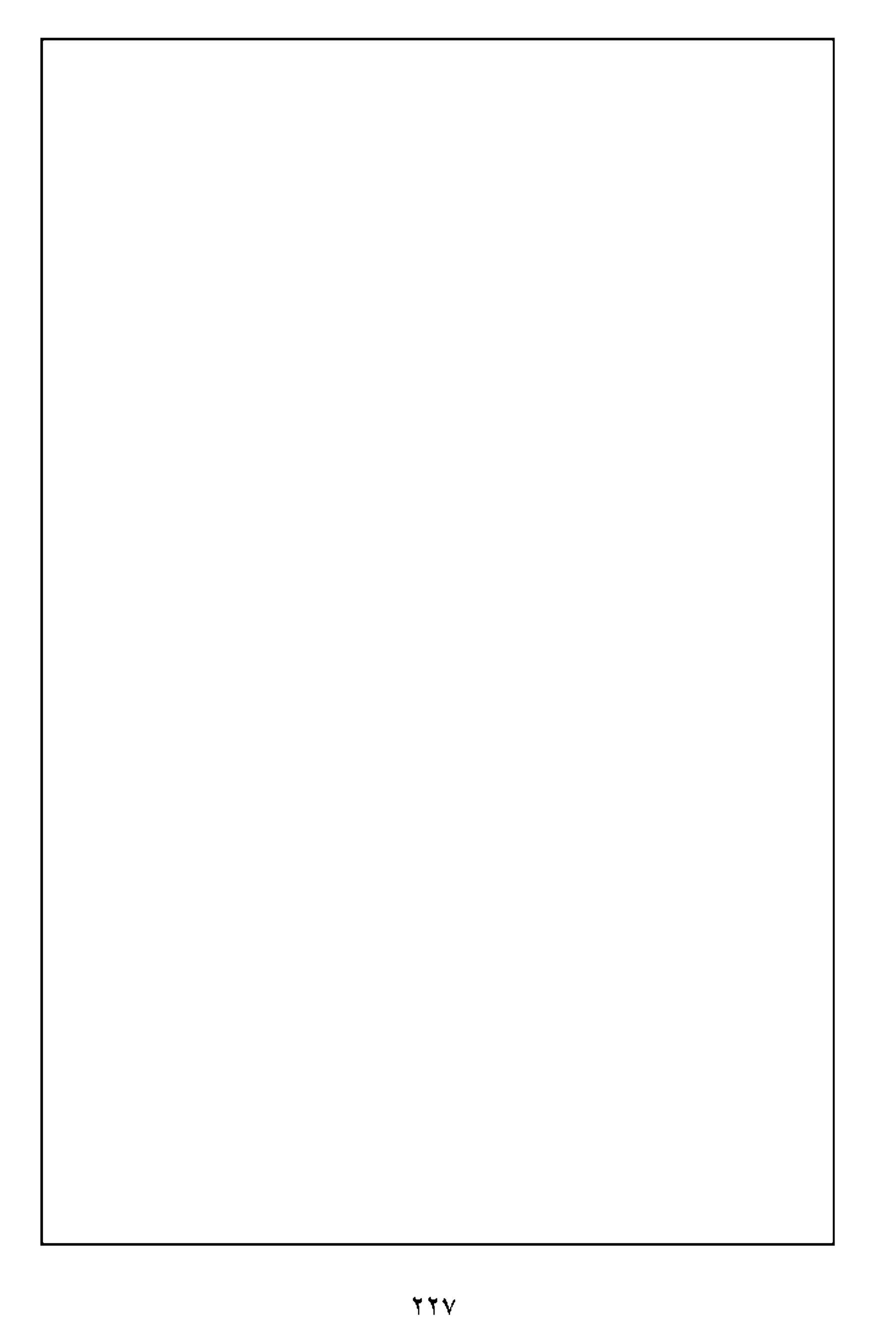
وهذا الاختلاف في الغالب جاء نتيجة تبعية الزي المحلي واستمر نتيجة الوضع الأمني أحياناً، ولكن كلما تلاقت الحضارات وتداخلت توحدت الأزياء وغلب لبس العمامة السوداء إذا كان هاشمياً أو البيضاء إذا لم يكن هاشمياً، ورويداً رويداً أصبح الذاكرون والمداحون وقراء التعزية يرتدون تلك الأزياء المحلية ولكن الخطباء يلتزمون زي أهل العلم[٣].

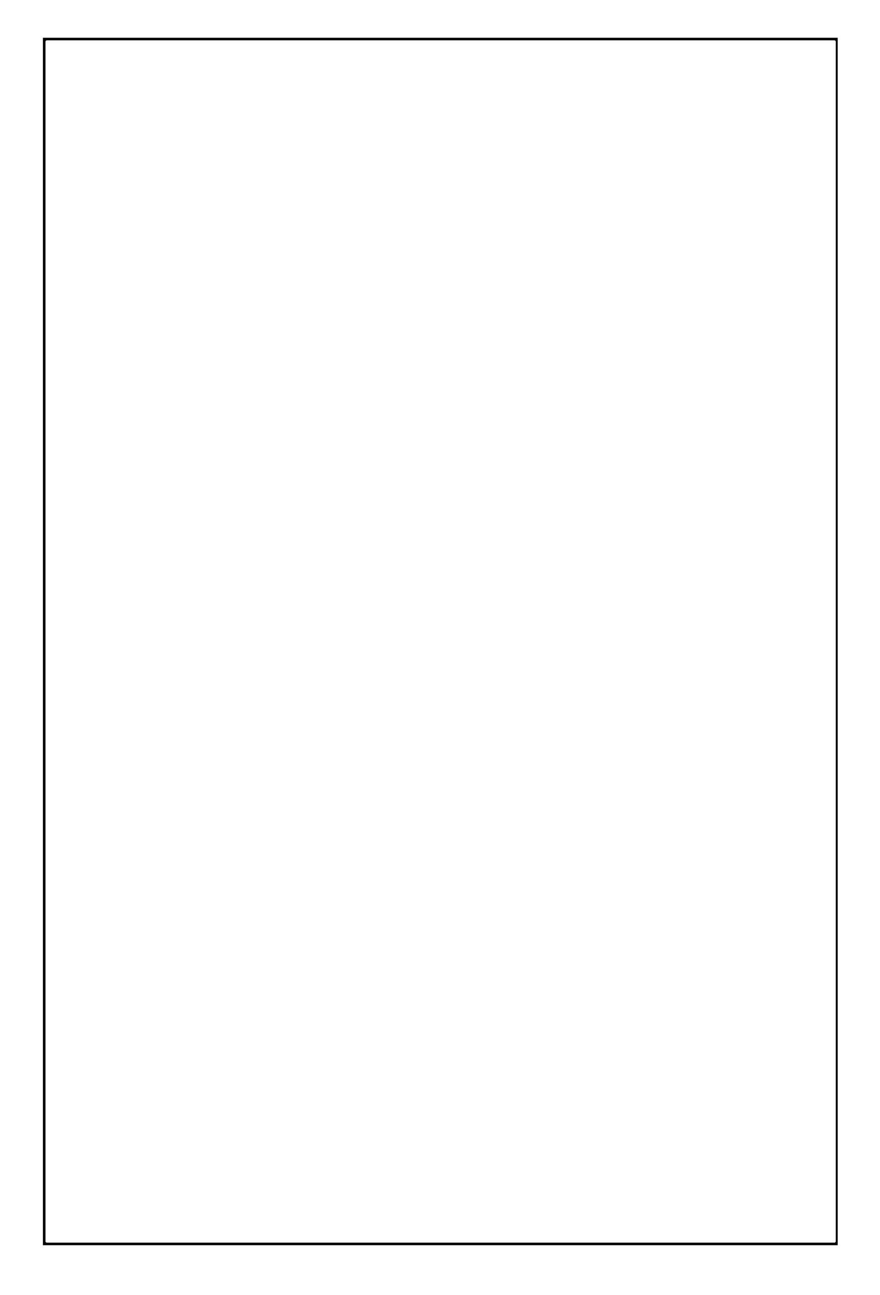
---

(١) الشكرية: هو اللون الأصفر المايل إلى الأبيض، وبما أن القماش المستخدم في العمامة هذه ذات أرضية بيضاء والنقوش النباتية النابتة عليه ذهبية صفراء فيمتص اللون الأبيض شيئاً من اللون الأصفر فيصبح لونه كالسكر الذي كان في السابق يستعمل قبل أن يضاف إليه مادة تبيضه، فلذلك قيل له اللون الشكري، والعامة في العراق تقلب سين السكر شيناً ولعلهم تأثروا بالتلفظ الانكليزي أيام الاحتلال حيث إن الكلمة تلفظ عندهم بالشين شوگر (Sugar) ولا يخفى أن الكلمة أصلها عربية.

(٢) وهي في الحقيقة تعتبر بين الجبة والمعطف.

(٣) إن المصنف حاول بحث كل الجوانب التي تتعلق بالخطابة ولم يغفل حتىٰ عن الأزياء التي يرتديها الخطيب إلى يومنا هذا، وهذه مكرمة منه ـ المعد.





لغة الخطيب

وأما لغة الخطباء فالذي يوحدهم أن جميعهم بشكل عام يعرف اللغة العربية، وهذا لا يعني أنه قادر على ممارستها في خطاباته بالضرورة، حيث إن أكثر المصادر جاءت باللغة العربية وبالأخص القرآن والأحاديث، ورغم التراجم المتعددة وكثرتها فإن الخطيب لا يجد ضالته إلا في الأصول، أما القرآن فلأنه لا يمكن ترجمته إطلاقاً لأن الترجمة لا تحتوي إلا على المعنى الذي فهمه المترجم دون غيره وحيث إن للقرآن ظاهراً وباطناً وتفسيراً وتأويلاً وقد استخدم فيه الكثير من البدائع اللفظية واللطائف المعنوية وفيه من فن التصوير والاختزال ما عجز عنه العرب من الوصول إلى كنهه بالإضافة إلى أن لكل آية تفسيرات متعددة حسب العلوم والفنون، فترجمته الحقيقية تقتصر على واضعه دون غيره.

وأما الأحاديث فإن أغلبها لم تنقل إلى غير العربية أولاً، وستفقد الكثير من الخصوصيات اذا ترجمت ثانياً رغم انها ليست بدرجة القرآن.

وأما التاريخ والسير، وسائر الأمور فإن الكثير منها قد ترجمت إلى غير العربية فلا حاجة إلى النص بالعربية إذا ما ترجم إلى لغة الخطيب.

وأما المرائي فقد أنشأت في جل اللغات إن لم يكن كلها وانشادها بلغة الجماهير تبقى هي الطريق الوحيد لفهم المراد، وتترك أثرها في نفوسهم.

ولكن مع هذا يبقى أمران: الأول: بما أن المراحل العلمية التي طواها الخطيب إنما تمت في الحواضر العلمية والمراكز الإسلامية فإنها تستخدم إلى يومنا هذا النصوص العربية.

الثاني: ان الجماهير تجد في استخدام بعض النصوص العربية كالآيات والأحاديث نكهة أدبية ودينية ترتاح إلى سماعها، فالخطيب يراعي هذه المسألة ويستخدم بعض النصوص العربية، ثم يترجمها إلى لغتهم وهذا ما جعل المسلم إلى جانب القرآن والصلاة يحفظ مجموعة من الكلمات العربية.

وأما نوعية اللغة فهذا لا يمكن تحديده بل يمكن القول بأن الخطابة الحسينية طرقت كل اللغات دون استثناء سواء أكانت عالمية أو اقليمية أو محلية، مكتوبة أم لا، ومن هنا يصح القول إن الحسين عليه السلام كسّر قَيْدَ الزمان والمكان وحواجز اللغات والقوميات[1].

---

(١) أتصور أن المصنف إنما تطرق إلى لغة الخطيب لبيان جانب آخر من عظمة هذه المؤسسة، إذ ان كل الشعوب والشرائح تستمد من الخطيب معلوماتها الدينية والإسلامية وهذه المؤسسة في الواقع مدرسة سيارة وجامعة حضارية سقفها مرتفع جداً لا تقف عند حدود الزمان والمكان واللغة والقوم بل تتعداها ـ المعد.

آراء حول الخطابة والخطيب

إنّ موضوع الخطابة الحسينية من الأبواب التي لم يتطرق لها المؤلفون بشكل مستقل ومركز، فلذلك إرتأينا أن ننقل كلام بعض من تطرق لهذا الجانب وتسليط الضوء عليه للوقوف على أهمية هذا العمل الإسلامي البنّاء.

١ ـ قال السيد علي فضل الله الحسني[١] ضمن الإجابة عن اشكال أورده الأستاذ الشيخ محمد علي الزعبي في كتابه ـ لا سنة ولا شيعة ـ حول المجالس الحسينية:

«المآتم الحسينية هي أقوى صرخة للإسلام، توقظ الغافل من سباته بما تبشر به في قلوب المجتمعين، ولو حققنا النظر لعلمنا بأن خطباء هذه المآتم كلهم دعاة للدين بل هم المبشرون بالإسلام وأن المتخصصين للقيام بهذه المآتم، وهذا العمل الشريف، لا يقصرون عن الألوف، فلو بذل المسلمون شطر أموالهم ليوظّفوا دعاة لدينهم بعدد أولئك الخطباء لما تيسر لهم،

---

(١) علي فضل الله: هو ابن محمد حسن الحسني العاملي ولد عام ١٣٣٨ هـ في النجف الأشرف، رجع إلى بيروت وهو من العلماء الأفاضل بها، له كتاب سيرة أهل البيت، سيرة الرسول وخلفائه في أربعة أجزاء.

وإذا تيسّر لهم، لم يتيسر لهم من يستمع الدعوة على مرّ الدهور كمثل الدعوة الحسينية، إذ تيسر لها ما لم يتيسر لغيرها، وفي الحقيقة ان المآتم الحسينية قد أقضت مضاجع الظالمين وثلّت عروشهم، فهي الفتح المبين، وقد أشار إلى هذا المعنى الحسين سيّد الشهداءعليه‌السلام في كتابه إلى بني هاشم بقوله: «من لحق بنا استشهد ومن لم يلحق بنا لم يبلغ الفتح»[1].

٢ ـ ويقول الخطيب الشيخ جعفر الهلالي[2] في مقال له نشرته مجلة رسالة الحسينعليه‌السلام حول الخطابة الحسينية:

«حقاً ان الخطيب ـ كما قال بعضهم ـ هو لسان العلماء المعبّر، وإذاعتهم الناطقة، والمدرسة السيارة التي لم تحد بحد، ولم يقتصر عليها قطر من الأقطار أو صقع معيّن، فقد اتّسعت رقعة هذه المجالس الحسينية، فشملت كثيراً من أقطار العالم وبلدانها، فهي اليوم تعقد في شتى القارات في استراليا، وافريقيا، وأوربّا، وأمريكا، بالإضافة إلى الأقطار الإسلامية، وهذا الامتداد يجعل مهمة الخطيب من أخطر المهمّات التي تتطلب الالمام الواسع بما ذكرنا، وليست مهمة الخطيب تنتهي عند هذا الحد، بل ان الخطابة عند اتباع مدرسة أهل البيت اتّخذت طابعاً حسينياً من بعد مأساة الطف، وأخذت على عاتقها إحياء هذه الذكرى في نفوس المسلمين، وبعثها في كل فرصة من جديد، لتبقى الذكرى حيةً مستمرة ولتقدّم عطاءها الإنساني لله، في كل وقت من تاريخ

(١) في ظلال الوحي: ٩٨.

(٢) الهلالي: سبقت ترجمته.

هذه الأمة، ولتأخذ حقها في الامتداد والاستمرار ولتقتبس منها الأمة دروس العزّة، والتحرّر، وحب الاستشهاد في سبيل المبدأ، وبذلك تكون قد أخذت بهدف الحسين عليه السلام الذي ثار من أجله، وضحّى بنفسه، وبأهل بيته وصحبه من أجله»[١].

٣ ـ وقال الخطيب الشيخ أحمد الوائلي[٢] في مقابلة صحفية أجرتها معه مجلة النور الصادرة باللغة العربية في لندن:

«بدأ المنبر الحسيني وان شئت قلت المأتم الحسيني بادىء ذي بدء ليحقق أمرين:

الأول: التنفيس عن صورة الحزن التي أصابت كل من يرتبط بأهل البيت وغمرته اللوعة لفداحة النكبة التي أصيب بها آل الرسول صلى الله عليه وآله وسجلت على هذه الأمة مفارقة عظيمة لاقدامها على قتل عدل القرآن وهم العترة الطاهرة، بهذا اللون من الشراسة مما أبقى جرحاً في قلب كل مسلم إلى يوم القيامة.

الثاني: شحن النفوس بالغضب، والاستنكار على الحكم الأموي، وبالتالي خلق رأي عام ضده يفضي إلى الإطاحة به إذا تيسرت الوسائل الأخرى لتحقيق هذا الهدف، وهذا الإسلوب أعني نشر الظلامة والتنديد بالظالم استعمل في كثير من الأمم لنفس الهدف.

وأما عن مساهمة المنبر الحسيني في فعل الإنسان الشيعي

---

(١) مجلة رسالة الحسين القمية العدد: ١ الصفحة: ١٦٥.

(٢) الوائلي: ستأتي ترجمته ضمن هذا الجزء.

يعيش في سقف لم يتجاوزه، فإن ذكرى الحسين عليه السلام وما في أجوائها من فعاليات قد ساهمت ولا شك في تحقيق أمور أخرى بنسب متفاوتة، منها الثقافة العقائدية الدينية والثقافة الاجتماعية والتاريخية كما ساهمت في لون من الجمع والشد بين أفراد مجتمع محبي آل البيت عليهم السلام»[١].

٤ ـ ويقول السيد محمد أمين شبر[٢] في مقال نشر له عن مواصفات الخطيب الحسيني في مجلة رسالة الحسين عليه السلام:

«إن عملية التبليغ والدعوة إلى دين الله هي من مهمات الأنبياء والرسل، وهي عملية شاقة ومهمة ثقيلة لا يقوم بأدائها على الوجه المطلوب إلا من وفقه الله تعالى لحمل رسالة الحق والثبات على الصراط المستقيم، فإن لم يكن المبلّغ محصناً من الداخل بالتقوى والورع والزهد والصبر لا يمكن له أن يتصدى لهذه المسؤولية الخطيرة، وإلا كيف يكون للكلام أثر في نفوس الآخرين إذا كان الخطيب نفسه لا يلتزم بما يحث الجمهور عليه؟

فالواعظ يمثل القدوة للمتعظين، انه ليس كسائر الناس العاديين، إذا فهو يحتاج إلى جهود مضاعفة لصيانة نفسه من الخطأ فخطؤه ليس كخطأ غيره.

فأخطر أمراض الإنسان أن يلهج لسانه بالصلاح والحث

---

(١) مجلة النور العربية اللندنية العدد: ٤ الصفحة: ٢٠.

(٢) محمد أمين شبر الحسيني: كاتب عراقي معاصر سكن قم المقدسة بعدما هجر العراق في ظل الظروف الأمنية، له مقالات نشرت في بعض الصحف العربية.

على فعل الخير وترك الشر لكن أفعاله وسلوكه بخلاف ذلك لأن سريرته وقلبه انطويا على رذائل خفية، اذاً المرشد المثالي والخطيب الإسلامي الذي يريده الله هو الذي يدعو الناس بأعماله الصالحة وسلوكه المهذّب قبل أن يدعوهم بلسانه»[١].

وأود أن أشير إلى مسألة مهمة وهي أن الواعظ والخطيب والعالم والمتصدي لمسألة التبليغ لا يمكن أن ينتهجوا هذا المنهج الرباني ما لم يتعظوا قبل أن يعظوا ويتهذبوا قبل أن يهذبوا ويخافوا الله قبل أن يخوّفوا الناس الله، أي لا بد من الحصول على ملكة التقوى بالتربية الروحية ومن ثم التصدي إلى مسألة الإرشاد والتبليغ وإلا ما فائدة اللسان الطلق من دون تهذيب ومجاهدة نفسية؟

٥ ـ وينقل عن السيد صالح الحلي[٢] المتوفىٰ عام ١٣٥٩ هـ أنه قال: «إن الخطيب يحتاج إلى ثلاث حاءات: الحسن، والحظ، والحفظ»[٣].

٦ ـ وقال مغنية[٤]: «كان المنبر فيما مضىٰ الوسيلة الكبرىٰ

---

(١) مجلة رسالة الحسين عليه‌السلام الصادرة من قم باللغة العربية العدد: ١ الصفحة ١٦٦.

(٢) صالح الحلي: هو ابن حسين بن محمد (١٢٨٩ ـ ١٣٥٩ هـ) من الخطباء المشهورين له مشاركة في ثورة العشرين، ولد في الحلة وتوفي في النجف.

(٣) معجم الخطباء: ١ / ٥٩.

(٤) مغنية: هو محمد جواد بن عبد الكريم بن محمود (١٣٢٣ ـ ١٤٠٠ هـ) ولد في طير دبا قضاء صور بلبنان، درس في النجف، تولى القضاء في

للدعاية والاعلام، ثم تطورت وسائل النشر إلى الكتب، ومنها إلى الصحف والمسرح والإذاعة، ثم إلى التلفزيون والروايات والألواح الفنية، والبعثات التبشيرية، واخطر الوسائل كلها أولئك المأجورون الذين يقبضون في الظلام من أعداء الدين والوطن ويمشون بين الناس كالشرفاء، وإن لي مع هؤلاء لموقفاً أجمع وأوجع.

والشيعة لا يملكون من وسائل الإعلام إلا المنبر الحسيني وبعض المؤلفات، ولكن جماهير منبر الحسين لا يحلم بها كاتب ومؤلف، وهو سلاح له خطره ومضاؤه في محاربة الباطل وأهله، والزندقة والإلحاد، لأن الهدف الأول من هذا المنبر أن يبث في الناس روح الحسين حتىٰ إذا رأوا باطلاً قاوموه وحقاً ناصروه، ومن هنا كان العبء ثقيلاً على خطباء هذا المنبر الخطير إلا على الأكفاء منهم، والحق أن بعضهم أدوا المهمة على وجهها، واهتدى بهم الكثير من الشباب إلى سواء السبيل ولكن هؤلاء للأسف قليلون جداً...

والحديث عن قراء التعزية وخطباء المنبر الحسيني متشعب الأطراف... ولوجدت متسعاً من الوقت لتصديت ووضعت النقاط على الحروف مع مخطط شامل يفي بالغرض المطلوب واكتفي الآن بهذه النصيحة وهي أن يجعل الخطيب نصب عينيه

= المحكمة الجعفرية ببيروت ثم مستشاراً ثم نائباً للرئيس، له مؤلفات جمة منها: دول الشيعة في العالم، والتفسير الكاشف، فقه الإمام الصادق عليه السلام توفي في بيروت ودفن في النجف.

قول سيد البلغاء، وامام الخطباء عليه السلام: (لذكر ذكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين)[1] هذا هو مقياس البلاغة الذي يحفظ للكلمة شرفها»[2].

٧ ـ يقول الخطيب السيد جواد شبر[3] عن الخطيب الحسيني:

«الخطيب مفزع الأمة في مشاكلها، والمعبّر عن آلامها وأدواتها، تقصده الجماهير، تبثه شكواها وتنتظر منه العلاج»[4].

٨ ـ وأما الشيخ مرتضىٰ المطهري[5] فيقول: «بأن الخطابة التي شاعت في اوساطنا فإنها وليدة مأساة عاشوراء وقد أوصى الأئمة الأطهار بممارستها باسم الإمام الحسين عليه السلام، وعقلاء الأمة تقول: ما دام الشعوب تجتمع باسم الحسين عليه السلام فلماذا

---

(١) نهج البلاغة: ٣٨٦.

(٢) أدب الطف: ١/ ١٤.

(٣) جواد شبر: هو ابن علي بن محمد، ولد في النجف عام ١٣٣٢ هـ، من خطباء المنبر الحسيني المشهورين، أديب شاعر، كاتب قدير له عدد من المؤلفات منها: إلى ولدي، أدب الطف في عشر مجلدات.

(٤) مجلة رسالة الحسين العدد: ١/ ١٧٥ عن مجلة الإيمان النجفية: العدد: ٧ ـ ١٠ السنة الثالثة ١٩٦٧ م.

(٥) مرتضى المطهري: هو ابن محمد حسين الخراساني (١٣٣٨ ـ ١٣٩٩ هـ) ولد في المشهد الرضوي، درس فيها وفي قم وطهران، وتخرج من كلية المعقول والمنقول، ومارس الخطابة والتدريس والتأليف، كما انخرط مع الثائرين على النظام الملكي، تولى بعض المهام، قتل في طهران، من مؤلفاته: إنسان كامل، أصول فلسفة، أخلاق جنسي.

لا تستخدم الخطابة الحسينية في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالخطاب الحسيني ذو جنبتين الأولىٰ إثارة الناس لصالح المظلوم على الظالم، والثانية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن المجتمع الإيراني مدين للمنبر الحسيني حيث أخذ على عاتقه إصلاح المجتمع من جميع الانحرافات الخلقية والاجتماعية، فالشعوب لا تجتمع لشيء كما تجتمع باسم الحسين عليه السلام فلا بد من طرح المسائل العقائدية والاجتماعية والدينية فإن الشعوب المجتمعة ببركة الحسين عليه السلام على استعداد لقبول التغيير نحو الأحسن، ولكن على الخطباء أن يتحملوا مسؤوليتهم»[1].

٩ ـ ويقول الشاعر السيد محمود الحبوبي[2] ـ من المتقارب ـ:

وقوم بحفلهمُ أوقفوا	خطيبهم الفذّ كي يخطبا
فأبهم مرتبكاً لفظه	واعجم إذ رام أن يعربا
وكان كخابطة في الظلام	تجوب السهول وتعلو الربىٰ
فقالوا الحسام نبا والجواد	كبا والمساعي تلاشت حبا[3]

(١) مجموعه گفتارها: ١٢٨.

(٢) محمود الحبوبي: هو ابن حسين بن محمود، ولد في النجف عام ١٣٢٣هـ، امتاز عن غيره من شعراء عصره بسرعة البداهة، وكان يرتجل القصيدة أو المقطوعة في بعض الأحيان.

(٣) خطباء المنبر الحسيني: ١/ ٧٣ عن ديوان الحبوبي.

١٠ ـ ويقول الخطيب الشيخ محمد علي الواعظ:[١]

«إن الخطيب الحسيني لكي تكون خطاباته مؤثرة في القلوب ولكي تترك أثراً على سلوك المستمعين لا بد أن يسبق كلامه بالعمل».

ثم يوجه كلامه إلى الخطيب قائلاً: «إياك والكذب من أجل أن تُبكي الناس، عظ نفسك ثم عظ الناس ولا تصعد المنبر لأجل المال»[٢].

١١ ـ ويذكّر الخطيب الشيخ محمد تقي الفلسفي الخطباء بقوله: «ان تعلّم فن الخطابة بالنسبة الى الخطباء والمتكلمين ضرورة قصوىٰ فمتىٰ ما استوعب الخطيب فن الخطابة وأساليبها وطبقه على أرض الواقع في خطاباته كان كلامه مؤثراً وله وقع كبير لدى المستمع»[٣][٤].

---

(١) محمد علي الواعظ الخراساني: كان من أبرز الخطباء والوعاظ في النجف، ولد في قوچان ـ خراسان ـ وتوفي في النجف حدود عام ١٣٨٨ هـ، كان جريئاً في الوعظ، زاهداً في السلوك، لا تأخذه في الله لومة لائم، عرف بأنه واعظ العلماء والمراجع.

(٢) قصص وخواطر: ٥٨٠.

(٣) سخن وسخنوري: المقدمة.

(٤) ومما قدمه سماحة المصنف يمكن أن نلمس رأيه في الخطابة والخطيب، إذ يرىٰ في الأول: إنها المنبر الأكثر فاعلية لإيصال الحقيقة إلى الأمم بشكل مباشر، ومن هنا جاءت ضرورتها، وفي الخطيب: لا بد وأن يكون المثل الأعلى لتحمل المسؤولية بجميع أدوارها.
وأرى بتواضع أن الخطابة الباب المشرع لدخول القلوب والعقول ـ المعد.

لقد اعتاد الموالون لأهل البيت عليهم السلام على إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام من كل عام، فمنذ أن يهل هلال محرم تعقد مجالس العزاء وتستمر حتى نهاية شهر صفر، وذلك لأن موكب آل الحسين عليهم السلام وصل إلى أرض كربلاء يوم الثاني من محرم ولاقىٰ ما لاقاه من مصائب ومحن إلى يوم استشهاده في العاشر منه وبدأت عندها مآسي أهل بيته وترحيلهم إلى ابن زياد والي الكوفة ثم إلى يزيد بن معاوية بدمشق ولما قضىٰ يزيد وطره من الرأس الشريف ومنهم، تركهم وشأنهم فاتجهوا نحو المدينة عن طريق كربلاء، فوصلوها بعد أربعين يوماً من استشهاد الحسين عليه السلام وألحقوا الرأس الشريف بالجسد المبارك وأقاموا المآتم إلى أن وصلوا المدينة في العشرة الأولى من شهر ربيع الأول، ولذلك فإن كثيراً من الموالين يلبسون ثوب الحداد إلى التاسع من شهر ربيع الأول يوم وفاة الإمام العسكري عليه السلام ويخلعونها في العاشر باعتباره يوم تولي الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) مقام الولاية بعد وفاة أبيه.

ولا يخفىٰ أن أعظم الأيام عندهم من هذين الشهرين هو يوم الاستشهاد أي العاشر من محرم، وقد اعتادوا أيضاً أن يقيموا المجالس الحزينة على أئمة المسلمين من آل الرسول صلى الله عليه وآله وابنته

الزهراء عليها السلام وعلي عليه السلام وابنائه الأطهار عليهم السلام وفي نهاية المحاضرة يعرج الخطيب على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام ويقارنها مع مصيبة من أقيم المجلس باسمه من المعصومين عليهم السلام وهذا يعني أن المجلس الحسيني قائم في كل وفيات المعصومين عليهم السلام .

وإلى جانب ذلك هناك موارد أخرىٰ كثيرة تقام المجالس الحسينية لأجلها نذكر أهمها:

١ ـ عند الإصابة بأي مكروه كالموت مثلاً: فيقام على الشخص المتوفى مجلس التأبين ويختم عادة بمجلس حسيني يقوم الخطيب بذكر المتوفىٰ ثم يعرج على سيرة الإمام الحسين عليه السلام ليذكر مصابه ومصاب أهل بيته[1] وذلك ضمن أطر فلسفية نفسية

---

(١) ويصف هذا الأسلوب الشاعر الشيخ محمد علي بن حسن مكي آل الناصر القديحي القطيفي المتولد سنة ١٣٦٣ هـ في أرجوزة عن بلدته القديح بأبيات من الشعر وهذه من عادات الشيعة تقريباً سواء أكانوا من الخليج أو من افريقيا أو من الهند أو من العراق أو من الشرق أو من الغرب، والأبيات نشرتها مجلة الموسم: ٩ ـ ١٠/ ٣٢٥ وهي ـ من الرجز ـ:

لكل ميت في القديح فاتحة	مجالس الإرشاد فيها راجحة
يحضرها الكثير من أهل البلد	شيخ صبي يافع كهل ولد
يستمعون خطبة الخطيب	مختومة بمصرع الغريب
سبط محمد النبي المرسل	وابن البتولة الحسين بن علي
أو بمصارع الكرام البررة	آل النبي العترة المطهرة
ثلاثة أو خمسة تقام	فيها يُعزى أهلها الكرام
ومثلها فاتحة النساء	تقام في الصباح والمساء
خمسة أيام تكون العادة	أنعم بها فكم حوت إفادة

والتي منها ان ذكر مصاب الإمام وأهل بيته يُعتبر أحسن تعزية ومواساة لأهل المتوفىٰ الموالين، وعندها تدخل السكينة على قلوبهم حيث إن الخطيب يبين بأسلوبه الخاص عظمة مصيبة الإمام عليه السلام وإنها أعظم من مصيبتهم هذه فتهون عندئذٍ مصيبتهم وترتاح نفسيتهم، ولقد أجاد الأعسم[1] حين قال ـ من الكامل ـ:

أنست رزيتكم رزايانا التي سلفت وهونت الرزايا الآتية

٢ ـ عند الملمات التي تنذر لأجلها إقامة المجلس الحسيني باسمه عليه السلام أو باسم أحد أهل بيته عليهم السلام وهي من مجربات الإمامية التي اعتادوا على ذلك حيث يعتبرون أن عملهم هذا فيه الأجر والثواب فلذلك يجوز النذر، ومن ناحية أخرىٰ فإن مقام الإمام الحسين عليه السلام عند الله عظيم حيث انه ضحىٰ بكل ما لديه في سبيل الله، فالله سبحانه لا يحبس لطفه عن المتوسل إليه عبره.

٣ ـ عند بناء بيت جديد أو الانتقال إلى بيت آخر فإن ذكره عليه السلام بركة للبيت، ويبعد عنه المكاره لما أن ذكره من ذكر الله سبحانه وتعالى وامتداد لذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ ـ عند السفر أو وصول المسافر، حيث إن الإمام الحسين عليه السلام أحد المعصومين عليهم السلام الوجهاء عند الله وقد ورد في الدعاء مخاطباً أحدهم «يا وجيهاً عند الله اشفع لنا عند الله».

٥ ـ عقد المجالس الأسبوعية في المراكز الإسلامية والبيوت لأجل الوعظ والإرشاد وقد اعتاد الناس على عقد مثل هذه

---

(١) الأعسم: سبقت ترجمته.

المجالس الأسبوعية أو الشهرية في بيوتهم أو مراكزهم الإسلامية أعم من المساجد والحسينيات وغيرها من المجامع الدينية فيختم الخطيب أو المحاضر بذكر الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك نرى أن الشاعر الخطيب الشيخ محمد علي ناصر القديحي يذكر في أرجوزته عن بلدته القديح من قرى القطيف أنها من الخصال الجيدة، والحقيقة أن هذا لا يختص بتلك المدينة بل بالإمامية بشكل عام وهذه أبياته: ـ من الرجز ـ:

في بلدتي من الخصال الجيدة مجالس الوعظ بها مشيدة
مجالس على مدى الأيام يحضرها جمع من الأنام
فخطبة تتلى بها وشعر وآية انبأ عنها الذكر
مختومة بذكر آل المصطفى أعلا بها الله بلادي شرفا[1]

ولعل السبب في إقامة المجالس الحسينية في هذه المناسبات يعود إلى أحد الأسباب التالية أو إلى جميعها:

١ ـ حث أئمة أهل البيت عليهم السلام على إقامة مجلس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام.

٢ ـ ان قضية الإمام الحسين عليه السلام فيها من المصائب ما هو أكبر من واقع الإنسان المعاش، وبما أن مصائب الإمام متعددة ومختلفة فيمكن تطبيقها مع عامة مصائب الناس، من فقد ولد أو عزيز أو ما شابه ذلك.

٣ ـ إنها محاولة لصرف البكاء والتحسر من أجل أمور

---

(١) مجلة الموسم: ٩ ـ ١٠/ ٣٢٧.

شخصية وعواطف خاصة إلى قضية أهم وهدف أسمىٰ ومصير مشترك وبالنتيجة إلى المعتقد الذي كان الإمام الحسين عليه السلام محوراً له حيث أصبحت شخصيته مرتبطة بالسماء وأصبحت شعيرته من الشعائر الإلٰهية التي قال الله عنها ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1].

٤ ـ لقد ورد في حديث الكساء بأن الملائكة تدعو بالرحمة عند ذكرهم كما يوجب البركة لمن حضروا.

٥ ـ اشغال صاحب المصيبة عن مصيبته والتأثير عليه نفسياً.

كل هذه الأمور جعلت من ذكر الإمام الحسين عليه السلام في تلك الموارد السابقة عادة حسنة راجت بين محبي أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم[2].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٢) هذا الموضوع رغم أنه خارج عن البحث إلا أنه لاصق به لا يمكن فكه عنه حيث من قوام المجالس الحسينية هو الخطيب والخطابة فمن هنا جاء الحديث عنه هنا ـ المعد.

طبقات الخطباء

في ظل عملنا الدؤوب في مختلف المجالات الحسينية ومحاولاتنا الجادة في تبويب فصولها بشكل فني ودقيق جاءت فكرة التوزيع الطبقاتي للخطباء كما اعتمده بعضهم لدىٰ ترجمة الشعراء، وعلى سبيل المثال فقد كانت الفكرة على الشكل التالي: الخطيب الفقيه، الخطيب الشاعر، الخطيب الأديب، الخطيب الفيلسوف، الخطيب الناعي، الخطيب الواعظ، الخطيب المحدث، الخطيب المؤرخ الخطيب السياسي وهكذا، إلا اننا انصرفنا عن هذا الأمر لجهتين: أهمها أن هذا التمييز يسبب بعض الحساسيات بين الأوساط الخطابية التي لا زالت تعمل بنشاط في هذا الحقل الشريف، وكثيراً منهم احترفوها وراثياً أباً عن جد مما لا ترتضيه البعض، فعدلنا عن ذلك وحاولنا بيانه ضمن تراجمهم بشكل غير مثير.

وثانيهما أن التمييز بين هذه الطبقات يوجب استهلاك جهد إضافي منّا وصرف فترة كبيرة من الزمن والذي نحن بحاجة إليهما في أمور أخرى لا زالت قيد التنفيذ أو بحاجة إلى اللمسات الأخيرة وما بينهما من مواضيع لا بد من اتمامها.

ولا يخفىٰ على الباحث والقارىء والناقد أن جهد هذه

الموسوعة يختلف عن سائر الموسوعات لأنها متشعبة، مما يجعل الإنسان أن يتشطر إلى أكثر مما تتحمله طاقته من التشطير ليكون تارة فقيهاً وتارة أديباً وأخرىٰ رجالياً وتارة أخرىٰ روائياً أو مؤرخاً بل سياسياً أو اجتماعياً، وهكذا مما هو ملحوظ لمن أمعن بدقة في الموسوعة وكان منصفاً.

ولا يخفىٰ أن الخطباء درجات فمنهم في القمة ومنهم من هو دون ذلك، ويمكن تصنيفهم إلى درجات ثلاث:

الدرجة الأولىٰ: وهم الطبقة المتقدمة.

الدرجة الثانية: وهم الطبقة المتوسطة.

الدرجة الثالثة: وهم الطبقة البدائية.

ولا يخفى أن خطباء الدرجة الأولى هم الأقلية وربما كانت نسبتهم تبلغ حسب احصاءاتنا في حدود ١٠٪ وأما الدرجة المتوسطة فنسبتهم نحو ٧٥٪، وأما الثالثة فنسبتهم حوالى ١٥٪.

ومن الجدير بالذكر أن المراد بالدرجة الأولىٰ من يتمكن من ايفاء حق المنبر بأكمل وجه ويتصف بالمواصفات التي أشرنا إليها سابقاً.

وأما المراد بالدرجة الثالثة وهم الذين بدأوا لتوّهم ارتقاء الأعواد الحسينية وليست لهم ممارسة وخبرة منبرية، وهم عادة طبقة مقلدة للطبقة الأولىٰ في الاسلوب والطور وعادة ما يكونون

من تلامذة أولئك، وهناك من يسميهم بالروضة خون أي قارىء الروضة[1] أو القاري، وهنا لا بد من القول بأن عدداً ضئيلاً من هؤلاء تخونهم القدرة والفطنة أو أن ظروفهم الخاصة لا تتيح لهم الفرصة بالتطور فيبقون طيلة عمرهم من هذه الطبقة ولعل للطموح وعدمه دوراً في القضية أيضاً.

وأما الدرجة الثانية وهم الطبقة المتوسطة بين الأولىٰ والثالثة وهم الذين ساعدتهم ظروفهم وإمكاناتهم الذاتية على التطور لتجاوز المرحلة البدائية الأولىٰ، ولا يمكن تحديد الفترة الانتقالية إلا أنه يمكن التحدث عنها على وجه التقريب والذي لا يقل عن فترة سنتين على الأقل حتى يمكنه تخطي المرحلة الأولىٰ وذلك لأن الممارسة العملية وكسب الخبرة لهما دور أساسي في هذه النقلة بالإضافة إلى الاستعدادات الذاتية وملاءمة الظروف الخارجية.

وأبناء هذه الطبقة يحتلون نسبة الأكثرية، لعلها تبلغ ثلاثة أضعاف الطبقتين، والقلة هم الذين يمكنهم تجاوز هذه المرحلة.

ومن الخليق ذكره أن هناك فصيلتين أُخريين ممن يذكرون الإمام الحسين عليه السلام ومصابه وهما المنشد والرادود، أما الأول فهو الذي يقتصر على الرثاء فقط وإنشاد الشعر في حقه وأهل بيته وأنصاره والذي يسمونه الإيرانيون بالمدّاح والباكستانيون والهنود بالذاكر، وأما الرادود فهو الذي ينشد الشعر بلحن خاص لأجل

---

(١) الروضة: هو كتاب روضة الشهداء للكاشفي، حيث كان الخطباء يقرأون منه على المستمعين.

اللطم والعزاء، والذي يسميه الإيرانيون «نوحه خان» أي قارىء المرثية، والهنود والباكستانيون يسمونه ذاكر.

وقد أوردنا أسماء هؤلاء ضمن القسم الثاني من هذا المعجم رغم اختلاف أدوارهم وتخصصهم، إلا انهم بالنتيجة يقومون بدور الإبكاء على سبط رسول الله ﷺ وقد أشرنا في ترجمة كل واحد منهم إلى دوره واختصاصه، وربما في نهاية الأمر نخصص لكل منهم باباً، ولكن لا يمكننا الوعد بذلك الآن والأمر موكول إلى قبيل الانتهاء من هذا الباب من الموسوعة.

ومن الجدير بالذكر أن شهري[1] في كتابه جعل طبقات الخطباء على الشكل التالي: «نوحه خوان، مداح، روضه خوان، واعظ»[2]، ولكن أخطأ في تقسيماته حيث إن التدرج الصحيح هو ما ذكرناه، فإن الروضة خان والواعظ من صنف واحد، فالروضة خان أي القارىء هو الذي يتدرج ليكون في النهاية خطيباً، وأما النوحه خان والمداح فكل منهما من فصيلة مختلفة فالأول هو الرادود والثاني هو الذاكر والمنشد[3].

---

(١) شهري: هو جعفر شهري باف، كاتب طهراني معاصر، له عدد من المؤلفات منها: علي عليه السلام، طهران قديم في خمسة مجلدات.

(٢) تاريخ اجتماعي تهران در قرن سيزدهم: ٧٢٠.

(٣) لا شك أن للخطباء كما للفقهاء والشعراء والمحدثين طبقات، وهذا وإن كان صعباً إلا أنه ممكن ولكن ليس مكانه هنا، بل لا بد من وضع دراسات لمثل ذلك، وهو ما تجنبه المصنف لأسباب ذكرها ـ المعد.

وبسبب عدم مراعاة الخطيب بالذات القضايا التي ذكرناها نجد أن شريحة كبيرة من المستمعين في مجمل بلاد العالم وبالأخص الشباب المثقف بدؤوا يتذمرون من الخطابات المتكررة وغير المسؤولة والتي دون المستوى ولا تلبي المتطلبات العصرية، حيث لا يجدون ضالتهم في هذا الخطيب أو ذاك.

بينما نجد البعض الآخر منهم يواكب العصر في ثقافته وسياسته وسائر شؤونه، وقد كتب عدد من المثقفين حول ضمور دور الكثير من الخطباء بحيث كتب صالح محمد آل إبراهيم(١) عن مدينة صفوى بالقطيف ودور الخطباء في توعية الناس وعد الخطابة الحسينية القناة الأهم لتوعية الناس، وتثقيفهم فتطرق إلى دور الخطيب الحسيني في بلدته صفوىٰ قائلاً: «الدور الذي يلعبه الخطيب الحسيني في المجتمع دور كبير وعظيم، إذ يستطيع أن

---

(١) صالح بن محمد آل إبراهيم: كاتب معاصر من صفوىٰ بالمنطقة الشرقية من المملكة السعودية له مقالات ومؤلفات.

يتحكم في نفوس مستمعيه وعواطفهم ومشاعرهم، ويتمكن من التأثير الكبير على ثقافتهم وأفكارهم وتوجيهها بالاتجاه الذي يريد، وما نرىٰ من تفاعل هائل واستفادة كبيرة لدى الجمهور من المجالس الحسينية ليس إلا نتيجة لهذا الدور العظيم الذي يقوم به الخطيب الحسيني، إلا أن هذا الدور يتحدد من خلال مستوى وعي الخطيب وثقافته وعلمه، فإذا كان الخطيب واعياً ملتزماً ومسلحاً بسلاح العلم والثقافة الإسلامية فستعود خطابته على المستمعين والمجتمع بالخير والصلاح والنفع الكثير، أما إذا كان دون ذلك فستضيع على مستمعيه فرصة عظيمة في الاستفادة من منبر الحسين عليه السلام».

ثم يتطرق إلى من يُسمّون بالملالي وهم الخطباء من الدرجة البدائية الذين لا يملكون القدرة الكافية لاداء مسؤوليتهم، ويعتبر الكثير منهم دون المستوىٰ العلمي ويعزو أسباب ذلك إلى أمور عدة منها: ضمور التطلع والطموح لدى الخطيب، ومنها عدم الوعي الكامل برسالة الخطيب الحسيني ومنها حالة التخلف العام[1].

هذا وكثيراً ما نرى الشباب في مختلف أرجاء العالم يستنكرون على بعض الخطباء دورهم في المجتمع ويطالبون

---

(١) صفوى تاريخ ورجال: ١٢٦.

بالتجدد في الاسلوب والتطرق إلى ما تحتاجه الأمة من أمر دينها ودنياها وتطبيق ما نهض من أجله الإمام الحسين عليه السلام على حاضرها، وعدم ممارسة المكررات المملة وحصر الخطابة بزاوية محددة[1].

---

(١) لهذا التذمر سببان رئيسيان أحدهما مرتبط بالأداء والآخر بالأرضية، فالأداء الخطابي إذا كان جيداً ومتطابقاً مع حاجة الأمة لما تذمر المستمع من ذلك، ونقصد بالأداء ليس أداء الخطيب فحسب بل إقامة المجالس أيضاً، وأما أرضية المستمع للقبول فإنها شوهت من قبل المتدخلين على الخط العام الإسلامي مما خلقوا حاجزاً نفسياً بين الشعوب وهذه المؤسسات ـ المعد.

الفهرس


الخطابة